صحيح أشراط الساعة

ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة

بقلم

مصطفى أبو النصر الشلبي



صحيح أشراط الساعة

ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة

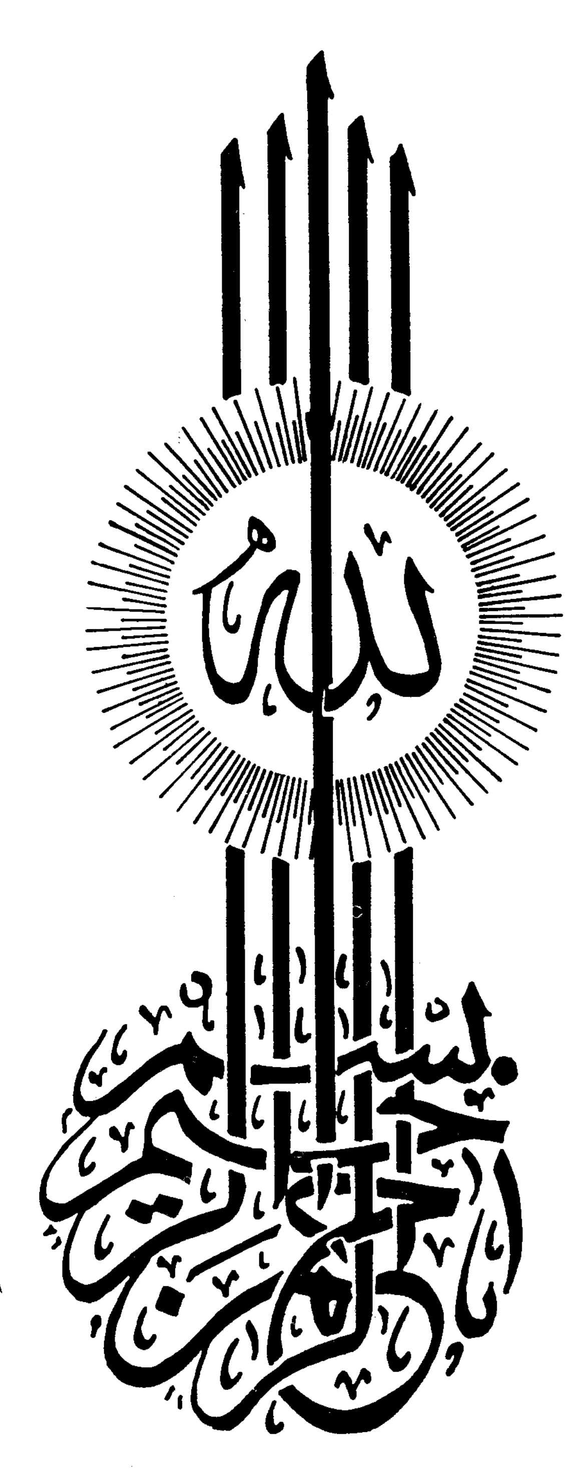
بقلم

مصطفى أبو النصر الشلبي



مكتبة السوادي للتوزيع

جدة - هاتف ٦٨٨٤٢١٢٠



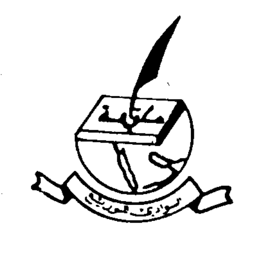
صحيح

أشراط الساعة

ووصف ليوم البعث

وأهوال يوم القيامة

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



الناشر
مكتبة السوادي للتوزيع
ص.ب - ٤٨٩٨ جدة ٢١٤١٢ - ت: ٦٨٨٤٢١٢
فاكس ٦٨٧٨٦٦٤

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله)، ثم قرأ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان آية ٣٤)

أخرجه البخاري

وللقيامة آيات إذا وجبت فليس من توبة تجدي وتلتحِدُ
من ذاك أن تستبين الشمس طالعة من حيث مغربها والخلق قد شهدوا
كذاك دابة للأرض تكلمهم جهراً وتفرق بالتمييز من تجدُ
نزول عيسى الدجال فيقتله وفتح سد عباد ما لهم عددُ
كذا الدخان وريح وهي مرسلة لقبض أنفس من للدين يعتقدُ
وغيرها من أمور في الكتاب جرت
ذكرى وصح بها من السنة السندُ
والنفخ في الصور حق أولاً فزع
فصعقة فقيام بعد ما رقدوا
والوزن بالقسط والأعمال محضرة
في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا[1]

---

(١) من كتاب مجموعة القصائد الزهديات للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ص ٤٩٠.

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

(سورة آل عمران، آية: /١٠٢/)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

(سورة النساء، آية: /١/)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

(سورة الأحزاب، الآية: /٧٠ ـ ٧١/)

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

وبعد:

فإن أصحاب الفطر السليمة يؤمنون من تلقاء أنفسهم بأن الحياة الدنيا لا يمكن أن تبلغ فيها الإنسانية كمالها، وأنه لا يمكن أن يتم فيها العدل تمامه مهما اجتهد الناس. وأنه لا بد ـ بناءً على ذلك ـ من حياة أخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان، والعدل المطلق على الأعمال.

وأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل عن هذه الحقيقة، ويظن أن الموت هو نهاية المطاف، وغاب عن فكره ـ في غمرة

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٧١) ومسلم برقم /٨٦٧/ في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، والنسائي (٣/١٨٨) في العيدين باب كيف الخطبة، وهو عند الجميع من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وهو جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وقد وردت عن عدد كبير من الصحابة منهم (عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله ونبيط بن شريك، وعائشة أم المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين.

اللهووالانغماس في الشهوات ـ بأن الموت ما هـو إلا مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسـان، فقد كـان في عالم المجهـول قبل أن يستقــر في رحم أمــه، ثم لم يلبـث أن انتـقــل إلى عــالم الشهادة، ومنها إلى رحم الأرض (القـبر) ثم الانتقال إلى عـالم الغيب عند قيام الساعة.

ولو كان الموت هو النهاية التي تنتهي عندها الأمور جميعاً كما يقـول أصحاب الفـطر الفاسـدة لانتفت بـذلـك حكمـة خلق الموت والحياة، ولتساوى بذلك الذين أحسنوا العمل، والذين أساءوه، وأصبح الآخذ من زينة الدنيا بـالحلال كـالآخذ منهـا بالحرام سواء، وكل هذا يأباه العقل البشري الناضج، ولذلك كـان السؤال الانكاري من رب العـزة جـل شـأنـه عـلى مثـل هؤلاء: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ؟﴾(1).

وقــال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾(2).

وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾(3)؟.

وهكذا فبالقيامة للجزاء والحساب العادل تتبين الحكمـة في الخلق، والحكمة في جعل مـا على الأرض زينـة لها لـلامتحان والابتلاء.

---

(1) الآية /35/ من سورة القلم.
(2) الآية /28/ من سورة ص.
(3) لآية /28/ من سورة ص.

ولقد شاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل علم الساعة غيباً من جملة عالم الغيب الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وذلك ليبقى الناس من الساعة على حذر دائم، وتوقع دائم، واستعداد كامل لاتخاذ الزاد المناسب لها، فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل. والإيمان بذلك جزء من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر.

هذا ومع اختصاص الرب تبارك وتعالى بعلم الساعة لحكمة يعلمها، فإنه جل شأنه قد ألمح لنا طرفاً منها، ووصف لنا مشاهدها، ووضع لها إمارات وعلامات تدل على قرب حدوثها، وإيذاناً بانتهاء الحياة الدنيا وزوالها. وبذلك يكون ظهور أي علامة من علامات الساعة تذكيراً بليغاً للعباد بدنوها، ودعوة دائمة لهم للتأهب لما بعد الموت.

ولهذا فالبحث في إمارات الساعة وأشراطها له أهمية بالغة في نصح الأمة، وإرشادها إلى الخير، وتحذيرها من الفتن وما يلابسها من شرور عظام، وتقديراً مني لهذه الأهمية البالغة ـ خاصة في هذه الأيام التي يعيشها الناس في غمرات الفتن، والأحداث الجسام التي تحل بالأمة الإسلامية، وتكالب الشرق والغرب عليها لامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال شعوبها، رأيت أن أخرج هذا الكتاب في صحيح أشراط

الساعة وما يلابسها من الفتن، ليرى الناس كيف تقع هذه الفتن، وكيف النجاة منها.

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة، وتمهيد بين يدي البحث، وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أهمية البحث وخطته.

وأما التمهيد (وهو مقدمة بين يدي البحث) فيشمل على عدة مباحث:

فتحدثت أولاً عن حقيقة علم الساعة.

وتحدثت ثانياً عن تعريف علم الساعة لغة واصطلاحاً.

وأخيراً تحدثت عن أقسام أشراط الساعة، وتقسيم العلماء لها من حيث ظهورها.

وأما الباب الأول: فتحدثت فيه عن أشراط الساعة الصغرى التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان متطاولة، وتكون في أصلها معتادة الوقوع، مثل: قبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان، وزخرفة المساجد، إلى آخر ما هنالك من علامات صغرى ثابتة بالنص الصحيح.

وأما الباب الثاني: تحدثت فيه عن أشراط الساعة الكبرى وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع، مثل: ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه

وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك من العلامات الكبرى الثابتة أيضاً بالنص الصحيح.

وأما الباب الثالث: فالحديث فيه كان عن يوم النفخ في الصور ووصف ليوم القيامة وأحوال الناس فيها.

وأما الخاتمة: فتحدثت فيها عن حال المسلمين مع آخر فتنة حدثت لهم.

وإني في الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهة الكريم، وأن ينفع به المسلمين، فيساهم في تصحيح عقائدهم وتقويم سلوكهم، وتوجيههم لعمل الخير، والتزود بزاد التقوى ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم.

مصطفى أبو النصر الشلبي

الطائف في ٢٧ محرم لعام ١٤١١ هـ

الموافق لـ ١٨ آب أغسطس من عام ١٩٩٠ م



تمهيد
بين يدي البحث

حقيقة الساعة
وتعريفها وتقسيمها

١ ـ علم الساعة:

الساعة هي نقطة الصفر بالنسبة لليوم الآخر، ففيها ينتهي عالم الشهادة الحاضر، فتنتهي كل الحياة الدنيا بجميع أوضاعها، وتبدأ القيامة بكل أهوالها التي تشمل السموات والأرض فتغير صورة الكون كله، فتنشق السماء، وتنتثر الكواكب، وتزلزل الأرض. وتنسف الجبال، فلا يعود شيء في مكانه ولا على صورته التي كان عليها.

والإيمان بهذا اليوم (الساعة) جزء من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو ركن من أركان الإيمان، وكما سبق في المقدمة، فإن الساعة هي موعد الحكم العدل، والقول الفصل والموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل الذي تتوجه إليه النفوس والفطر السليمة فتحسب حسابه، فتسير في الطريق إلى هذا اليوم وهي تراقب وتحاسب وتخشى الإنزلاق.

وكما سبق أن ذكرت في المقدمة أيضاً بأن حكمة الله البالغة شاءت أن يجعل الساعة غيباً من الغيب الذي استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه كائناً من كان، يقول جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقوله ﷺ في حديث سؤال جبريل الطويل عن الدين: «... **فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل..**»(٢).

فالمسؤول رسول الله ﷺ، والسائل جبريل عليه السلام، وكلاهما لا يعلم علم الساعة، وفي حكمة الله من الاختصاص والتفرد بعلم الساعة دون عباد الله، يقول من نحسبه عند الله شهيداً الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه القيم «في ظلال القرآن»: (والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه. ولو كان كل شيء مكشوفاً لهم ـ وهم بهذه

---

(١) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

(٢) جزء من حديث جبريل الطويل أخرجه البخاري (١/ ١٨) في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، ومسلم (١/ ٢٩) كتاب الإيمان، أول الباب.

الفطرة ـ لوقف نشاطهم وأسنت حياتهم، فوراء المجهول يجرون فيحذرون ويأملون، ويجرون ويتعلمون. وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد، يحفظهم من الشرود، فهم لا يدرون متى تأتي، فهم من موعدها على حذر دائم وعلى استعداد دائم. ذلك لمن صحت فطرته واستقام، فأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل، فيسقط، ومصيره إلى الردى[1] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[2].

وكما أن الساعة غيب من أحد المغيبات التي اختص الله بعلمها، وأنه لا مصلحة للعباد في معرفة وقتها، فقد أكد لنا جل شأنه في كثير من الآيات على وقوعها بأوثق توكيد فقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

---

(١) كتاب اليوم الآخر في ظلال القرآن ص ٩٨ وهو جمع وإعداد الأستاذ أحمد فائز.

(٢) الآية /١٦/ من سورة طه.

(٣) الآية /٧/ من سورة التغابن.

(٤) الآية /٥٩/ من سورة غافر.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[1].

ومع التأكيد على وقوع الساعة فقد بين لنا سبحانه وتعالى أنها قريبة لنستعد لها، فالأمر خطير وقريب، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[2].

وفي موضع آخر يصور لنا سبحانه عن مقدار قربها الشديد وحتى كأنها قد أتت ووقعت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[3].

وفي الحديث الشريف عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، ويشير بأصبعيه، يمدهما**»[4].

وفي رواية مسلم بيّن أن الأصبعين: الوسطى والتي تلي الإبهام، ومعنى الحديث: أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى، فإن ما بقي منه عند بعثة الرسول ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة. ولكن مقياس الزمن عند الله غير مقاييسنا، ولذلك حين أنذر الرسول ﷺ مشركي العرب

---

(١) الآية /٣/ من سورة سبأ.
(٢) الآية /١/ من سورة القمر.
(٣) الآية /١/ من سورة النحل.
(٤) رواه البخاري (٨/ ١٩٠) في الرقاق باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. ومسلم برقم /٢٩٥٠/ في الفتن، باب قرب الساعة.

باقتراب الساعة حسبوا أنها أياماً معدودة، فلما رأوها لم تأت - حسب تقديراتهم - قالوا للرسول ﷺ: أين ما أنذرتنا به؟ أين يوم القيامة الذي زعمت أنه قريب؟ فردَّ الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

٢ - تعريف الساعة لغة واصطلاحاً:

الساعة لغة: هي جزء من أجزاء الليل أو النهار، وجمعها: ساعات. وجاء في المعجم الوسيط (١/٤٦٦): جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار، وآلة مصنوعة يعرف بها الوقت بالساعات والدقائق والثواني.

وساعة الغفلة: ما بين المغرب والعشاء.

وساعة الصفر في اصطلاح الجيش: الوقت السِّري المحدد لبدء عمل حربي ا.هـ.

والساعة اصطلاحاً: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[2].

---

(١) سورة الحج، الآية /٤٧/.
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٤٢٢).

والساعة تطلق على معانٍ ثلاث:

١ ـ الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فمن مات فقد قامت قيامته، لدخوله عالم البرزخ الذي هو أول عوالم الآخرة.

٢ ـ الساعة الكبرى: والمراد بها: القيامة الكبرى، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾[١] أي عن القيامة التي هي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

٣ ـ الساعة تطلق أحياناً ويراد بها موت أهل القرن الواحد كما في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول: إن يعش هذا لم يدركه الهرم، حتى قامت عليكم الساعة**»، قال هشام: يعني موتهم[٢].

٣ ـ تعريف الأشراط والإمارات

الشرط لغة: العلامة، وأشراط الشيء أوائله، ومنه شُرط

(١) الآية /٦٣/ من سورة الأحزاب.

(٢) رواه البخاري (٨/١٩٣) في الرقاق، باب سكرات الموت، ومسلم برقم /٢٩٥٢/ في الفتن، باب قرب الساعة.

السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنوده.

والشرط اصطلاحاً: العلامات التي تسبق يوم القيامة، وتدل على قدومها[1].

ومعنى الإمارات: أي العلامات الدالة على الشيء. وكذلك الآيات، مثل العلامات التي ترفع على شواطىء البحر لتهدي السفن، أو الأمارات (العلامات أو الآيات) التي توضع في طرق السفر لتدل المسافر على قرب وصوله إلى الأماكن التي توضع قريباً منها.

٤ ـ أقسام أشراط الساعة:

لقد سبق أن علمنا أن الساعة غيب من جملة الغيبيات التي استأثر الله بعلمها ولم يطلع عليها أحداً من خلقه، ومع ذلك فقد أعلمنا بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها. وذلك مبين في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، حتى يستشعر بها القلب فيرهب ويرغب وهو يعاين أو يسمع عن الأحداث العظام من تلك الأشراط.

وتقسم هذه الأشراط والعلامات إلى قسمين:

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٠).

أ ـ **أشراط صغرى**: وهي التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان بعيدة متطاولة، وتكون في أصلها معتادة الوقوع مثل: قبص العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان، إلى آخر ما هنالك من علامات صغرى.

ب ـ **أشراط كبرى**: وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع. مثل: ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وغير ذلك من العلامات الكبرى.

جـ ـ **قسم العلماء**: أشراط الساعة من حيث ظهورهاإلى ثلاثة أقسام:

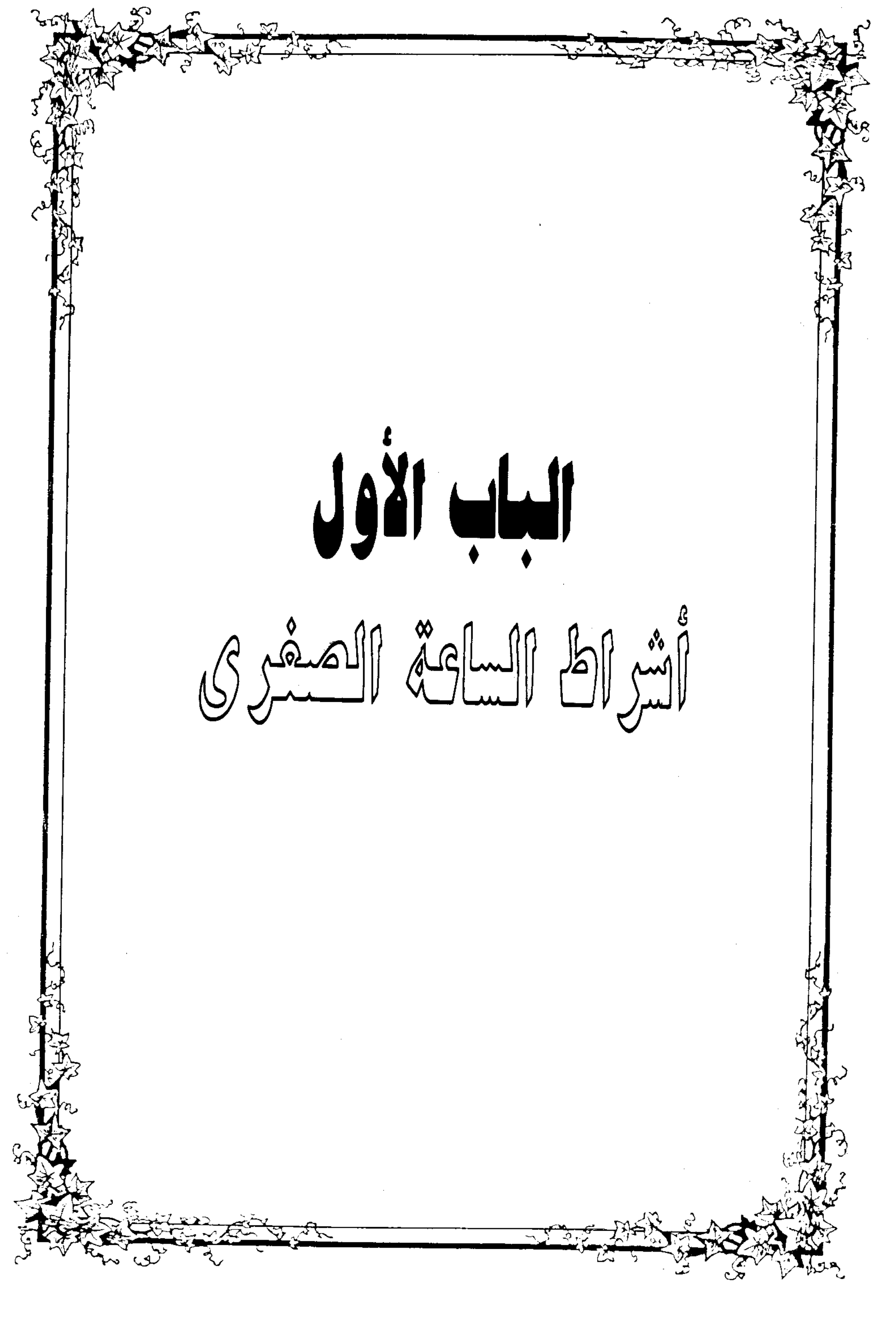
١ ـ أشراط ظهرت وانقضت.

٢ ـ أشراط ظهرت ولا تزال تتابع باستمرار.

٣ ـ أشراط لم تظهر بعد.

وفيما يلي من الفصول سأذكر بحول الله ما ورد من أشراط الساعة الصغرى والكبرى ما ثبت منها في القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة،

وقد جمعت في هذه الرسالة ما صح فقط من علامات الساعة الصغرى والكبرى، فإن في الصحيح غنى عن الضعيف. والخير كل الخير في الوقوف عند الثابت الصحيح، مستمداً من الله العون، فإنه خير مسؤول وأعظم مأمول.



الباب الأول

أشراط الساعة الصغرى

١ ـ في قرب مبعث النبي ﷺ من الساعة

لقد أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام أن بعثته دليل وعلامة على قرب الساعة، وإيذاناً بانتهاء الحياة الدنيا وزوالها، فإن الله تبارك وتعالى ختم ببعثته ﷺ الرسالات السماوية، فلن يأتي نبي بعده، فأنزل الله على رسوله ﷺ قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[١].

وفي الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: **«رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: بعثت أنا والساعة كهاتين»**[٢].

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) الآية /١/ من سورة القمر.

(٢) رواه البخاري (٨/١٩٠) في الرقاق. باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، ومسلم برقم /٢٩٥٠/ في الفتن، باب قرب الساعة.

«بعثت أنا والساعة كهاتين - يعني إصبعين»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى، وضم السبابة والوسطى»**[2].

وعن أبي جبيرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بعثت في نَسَم الساعة»**[3].

وقوله: في نسم الساعة كما ذُكر في النهاية: **«هو من النسيم: أي أول هبوب الريح الضعيفة، أي: بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها»**، وقيل: هو جمع نسمة، أي: بعثت في ذوي أرواحٍ خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة كأنه قال: في آخر النشر من بني آدم[4].

وهذا الحديث هو بمعنى الحديث الآخر: **«بعثت بين يدي**

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٩٠) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب.

(٢) رواه البخاري (٨/ ١٩٠) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة ومسل برقم /٢٩٥١/ في الفتن، باب قرب الساعة، والترمذي برقم (٢٢١٤/ في الفتن، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطى.

(٣) إسناده صحيح رواه الحاكم في الكنى، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقد أشار الشيخ الألباني إلى صحته في صحيح الجامع برقم /٨٠٨/ وعزا، أيضاً للدولابي في الكنى، وابن مندة في المعرفة.

(٤) نقلاً من صحيح الجامع ص ٤٦٨.

الساعة»، فإذا كان هذا شأن الدنيا في عمرها الطويل الممتد، فكيف بشأنها في عمر الإنسان المحدود؟ وما لفظ كلمة (الدنيا) إلا مشعر بقرب نهايتها وحقارة شأنها، فما على الإنسان إلا أن يضبط نفسه، فلا يفتتن بزينة الدنيا ويغرق في ملذاتها وينسى الدار الآخرة دار الخلد والقرار والنعيم المقيم، وليتذكر دوماً قوله تعالى: ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1].

وليذكر أيضاً قوله ﷺ وهو يحذرنا من الدنيا: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[2].

وقوله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم،[3] فلينظر: بم ترجع؟**»[4].

يقول الإمام القرطبي: (أول أشراط الساعة النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي)[5].

---

(١) الآية /٣٨/ من سورة التوبة.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٧٤٢/ في الذكر، باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

(٣) (اليم): أي البحر.

(٤) رواه مسلم برقم /٢٨٥٨/ في الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، والترمذي برقم /١٣٢٤/ في الزهد باب (١٥) وابن ماجة برقم /٤١٠٨/ في الزهد باب مثل الدنيا.

(٥) التذكرة ص /١١١/.

٢ ـ ما في موته ﷺ من قرب الساعة

وكما أخبر عليه الصلاة والسلام أن في مبعثه أمارة من أمارات الساعة، كذلك أخبر أن وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام دليل وعلامة على قرب الساعة.

ففي الحديث الصحيح عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة آدم، فقال: **«اعْدُد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»**[١].

ولقد كانت وفاته صلوات الله عليه وسلامه من أعظم المصائب في حياة المسلمين، حيث أظلمت الدنيا في عيون الصحابة رضوان الله عليهم، واختل التوازن حتى أنكر

---

(١) رواه البخاري (٦/١٩٨) في الجهاد، باب ما يحذر من الغدر، وأحمد في المسند (٦/٢٥ و٢٧) والبغوي في شرح السنة (١٥/٤٧) باب ما يكون من العلامات بين يدي الساعة.

بعضهم موته ﷺ إلى أن هدأهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوة جأشه وكثرة علمه، ومع ذلك قال: لو كان موتك اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس.

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وانتهينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا)[1].

وتقول فاطمة رضي الله عنها لأنس بعد الدفن: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟»[2].

وما كان عتابها عليها السلام إلا لما تعلمه من رقة قلوبهم عليه وشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره ﷺ.

وبكت الزهراء على أبيها، وبكى المسلمون جميعاً نبيهم ﷺ فقد انقطع الوحي من السماء.

ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر

---

(١) انظر تحفة الأحوذي (١٠/٨٧) وقال الترمذي: صحيح غريب، وقال ابن حجر: سنده جيد.

(٢) رواه البخاري (٨/١١٣) كما في الفتح، في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

رضي الله عنـه، بعد وفـاة رسول الله ﷺ لعمـر بن الخـطاب رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورهـا كما كـان رسول الله ﷺ يـزورهـا، فلما انتهينـا إليهـا بكت. فقـالا لهـا: مـا يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لـرسولـه ﷺ، ولكن أبكي أن الـوحي قد انقـطع من السماء، فهيجتهـما على البكـاء، فجعلا يبكيان معها)[1].

ولم تمض فترة طويلة حتى ارتد بعض العرب عن الإسلام، وكان ذلك بداية لظهور الفتن والله المستعان.

ولهـذا قال القـرطبي رحمه الله في تـذكرتـه: أول أمـرٍ دهم الإسلام موت النبي ﷺ، ثم بعده موت عمر.

لأنـه بموت النبي ﷺ انقـطع الوحي ومـاتت النبوة، وكـان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكـان أول انقطاع الخـبر وأول نقصانـه، قال أبـو سعيد: مـا نفضنـا أيـدينـا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

وبموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان، وكـان من قضاء الله وقدره ما يكون..)[2].

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٤٥٤/ في فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٧١٤ ـ ٧١٥.

٣ ـ فتح بيت المقدس

ومن علامات الساعة الصغرى: فتح بيت المقدس، ودليل ذلك ما ورد من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه وقول النبي ﷺ له: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم..**»[(١)].

ويعتبر بيت المقدس ثالث الأماكن الهامة المرتبطة بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإليها أُسري بالرسول ﷺ، ومنها عُرج به إلى السماء، وهي قبلة المسلمين الأولى. وهي أحد المساجد الثلاث التي لا يجوز أن تشد الرحال إلا إليها.

هذا وقد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ هذه الحقيقة فسارعوا إلى تطهير الأقصى من وثنيات الرومان، وتم ذلك للمرة الأولى على عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اجتمعت الجيوش الإسلامية وحاصرت بيت المقدس إلى أن أجاب أهلها إلى الصلح بشرط أن يقدم عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي استجاب وسار إلى بيت المقدس فصالح النصارى، واشترط عليهم

(١) سبق تخريجه في ص ٢٨.

إخراج الروم خلال ثلاثة أيام ثم دخل المسجد من حيث دخل رسول الله يوم الإسراء، وصلى فيه مع المسلمين[1].

وبقيت الأراضي المقدسة تحت سيطرة المسلمين إلى العهد العباسي، حيث أصاب الدولة العباسية الضعف بسبب التفكك، والفتن السياسية، والحركات الباطنية، مع أن الصليبيين كانوا في ذلك الوقت يرصدون أوضاع المسلمين، ويعدون أنفسهم للقضاء على المسلمين والاستيلاء على الأراضي المقدسة. وقد بلغ من تعامي الفاطميين والسلاجقة عن الخطر الصليبي أنهم لم يقدروا خطرهم، بل بلغ الأمر أن استعان الفاطميون بالصليبيين للقضاء على السلاجقة في الشام، ومنح الصليبيين ثقتهم وقدموا لهم امتيازات خاصة لهم. وبالسماح لهم بزيارة القدس.. كل ذلك مقابل التشديد على الأتراك والخلافة العباسية حيث كانوا يعتبرون أن إضعاف السلاجقة والخلافة العباسية نصراً لهم. وتثبيتاً لعروشهم، ولكن أنّى لأعداء الله أن يقر لهم قرار إلا بالقضاء على الإسلام بجميع عناصره وفئاته. وهكذا غدر الصليبيون بحلفائهم من الفاطميين، وتحركت جيوشهم للاستيلاء على القدس. وقد قام الصليبيون بمجازر بشعة في مختلف البلدان التي فتحوها في طريقهم إلى القدس غير مفرقين بين شيخ وطفل، ورجل وامرأة. وقد بلغت المجازر أوجها من الوحشية

---

(١) التاريخ الإسلامي للأستاذ محمود شاكر (٣/١٦٣).

والقسوة في القدس نفسها حيث مالوا على المسلمين يذبحونهم ويقطعون أطرافهم ويلقونهم من على الأسوار، وتم سقوط القدس على يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ.

واستمر الصليبيون في توسعهم في البلاد، وكانوا يعملون دوماً على عزل مصر والشام حتى لا تجتمع القوى الاسلامية ضدهم. وقد استمرت سيطرة الصليبية على بيت المقدس حتى عام ٥٨٣، حيث هيأ الله للأمة رجلاً صالحاً عمل على توحيد الأمة المسلمة تحت راية واحدة، هو صلاح الدين الأيوبي الذي انطلق لعملية الفتح الإسلامي، وبعد معركة حطين توجه نحو **عسقلان، ومنها إلى القدس**،وفرض عليها حصاراً قوياً اضطر معه الصليبيون إلى **الاستسلام**،وذلك في رجب عام ٥٨٣ هـ. وتفيض الروايات في حسن معاملة صلاح الدين لأهل القدس مدفوعاً لهذا بأخلاقه الإسلامية. وبسَلَفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وما إن توفي البطل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله حتى دب الخلاف فيمن خلفه وكان ذلك سبباً في تسليم القدس للصليبيين مرتين دون قتال، دامت المرة الأولى عشر سنين، ودامت المرة الثانية سنة واحدة[1].

---

(١) انظر كتاب الدكتور شفيق جاسر أحمد محمود (القدس تحت الحكم الصليبي ص ٧).

ونتيجة لبعد المسلمين عن دينهم، وتفرق كلمتهم كان وقوع فلسطين تحت الحكم البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك فرصة كبيرة للهجمة العنصرية اليهودية المدعومة بالعون الصليبي، حيث سهلت لهم بريطانيا سبيل الهجرة إلى فلسطين وهيأت لهم الجو المناسب لتنظيم أنفسهم وتدريبهم على السلاح. وحاول الفلسطينيون الوقوف في وجه اليهود وأعوانهم، وكاد جهادهم أن يكلل بالنجاح لولا تخذيل الحكومات العربية لهم وانحياز أمريكا إلى جانب اليهود، وهكذا وقعت فلسطين الحبيبة تحت السيطرة اليهودية الآثمة منذ عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م حيث أعلن اليهود عن إقامة دولة إسرائيل. وما زال الفلسطينيون منذ ذلك اليوم يعانون أشد أنواع الاضطهاد والتعذيب والتشريد على مرأى من جميع دول العالم العربي والإسلامي. وأولى القبلتين تستصرخ المسلمين ليعودوا إلى الله عودة صادقة فيوحدوا صفوفهم تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأخذ كافة الأسباب من إعداد العدة، فهل هناك من يسمع؟ وهل هناك من يستجيب؟ ومن للقدس اليوم بأمثال صلاح الدين ليحقق موعود رسول الله ﷺ بفتح القدس قبل أن تقوم الساعة؟!! وما ذلك على الله بعزيز.

٤ ـ موتان كقعاص الغنم
(طاعون عمواس)[1]

لقد أخبر النبي ﷺ أن الموتان علامة من علامات الساعة ودليل على قُرب وقوعها. ففي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم... الخ الحديث**»[2].

والموتان: بضم الميم وسكون الواو هو الموت الكثير الوقوع، والقُعاص: بضم العين، وتخفيف القاف، والبعض يقدم القاف على العين، وهو على كل حال: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، وقال ابن فارس كما ذكره الحافظ في الفتح: العقاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق[3].

وهذه الآية ظهرت في الأمة الإسلامية في طاعون عمواس في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بعد

---

(١) (عمواس): بلدة فلسطينية تبعد عن الرملة ستة أميال على طريق بيت المقدس انظر معجم البلدان (٤/١٥٧).

(٢) صحيح، سبق تخريجه في ص ٢٨.

(٣) انظر فتح الباري (٦/٢٧٨).

فتح بيت المقدس، حيث انتشر مرض الطاعون (الكوليرا) بين المسلمين في بلدة عمواسا من أرض الشام في سنة ثمان عشر للهجرة فمات خلق كثير بلغ خمس وعشرون ألف رجل من المسلمين، وكان من بينهم: أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح) رضي الله تعالى عنه، وعن الصحابة أجمعين.

٥ ـ استفاضة المال وإخراج الأرض كنوزها

ومن علامات الساعة الصغرى أن يكثر المال، حتى أن الرجل ليُعطى الدنانير الكثيرة من الذهب فيتقالها ويعرض عنها، وإن صاحب المال يسعى بزكاة ماله شهراً يبحث عمن يقبلها فلا يجد من يأخذها، وهذا ما حدثنا عنه معلم البشرية كل خير، عليه أفضل الصلاة والسلام كما في حديث عوف ابن مالك السابق وقول النبي ﷺ له: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم... الخ الحديث**»[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**..وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِمَّ رب المال**[٢] **من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي عرض عليه: لا أرَبَ**[٣] **لي فيه..**»[٤].

---

(١) حديث صحيح، سبق تخريجه ص ٢٨.
(٢) (يهم رب المال): أي يصيبه الهم والحزن آن لا يجد من يقبل صدقته.
(٣) (لا أرَبَ لي فيه): أي لا حاجة لي به.
(٤) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب خروج النار وغيره من الأبواب =

وفي الصحيح من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة[1] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى. قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ[2] طيء الذين سعَّروا البلاد؟ - ولئن طالت بل حياة لتُفتحَنَّ كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه...

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يُخرج ملء كفه...)[3].

= وهو عنده جزء من حديث طويل، ومسلم مختصراً على ما ذكرنا برقم /١٥٧/ في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(١) (الظعينة): المرأة ما دامت في الهودج وهذا هو الأصل، ثم سميت به المرأة ظعينة وإن لم تكن في هودج ولا مسافرة.

(٢) (الدُّعار): قطاع الطرق، والذين يخيفون الناس في مقاصدهم، واصل الدعر: الفساد.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٤٥٠و ٤٥١) في الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام.

وقد تحققت هذه العلامات في أكثر من زمان، ولعلها تتابع أيضاً، فقد ظهرت هذه الآيات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عند تلك الفتوح العظيمة، وظهرت أيضاً في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث كان الرجل يأتي بالمال العظيم، ويقول: اجعلوا هذا حيث ترون من الفقراء، فما يرجع إلا وقد أعاد ماله معه، حيث لا يوجد من يقبل الصدقة أو يستحقها، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس[1].

ولعل هذه العلامة ستظهر أكثر وأكثر، ستظهر عندما يعود الناس إلى دينهم، وينطلق جند الإسلام تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يحررون البلاد والعباد، وستظهر أيضاً في زمن المهدي المنتظر، مهدي أهل السنة والجماعة، لا منتظر الرافضة ومجوس الأمة، وسنذكر الأحاديث الصحيحة إن شاء الله، عند ذكر الخليفة الذي يحثو المال حثواً، وعند ذكر عيسى عليه السلام واستفاضة المال في وقته حتى لا يقبله أحد من الناس. والله أعلم.

(١) انظر فتح الباري (١٣/٨٣).

٦ - ظهور الفتن

الفتن، جمع فتنة، وهي الاختبار والابتلاء، كما قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[١] وتطلق الفتنة أيضاً على معان كثيرة، منها: الاضطراب وبلبلة الأفكار، قال تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾[٢].

وقد اقتضت حكمة الله البالغة أن تتعرض الأمة المسلمة لشتى أنواع الفتن، لتتكشف معادن النفوس، والله سبحانه وتعالى يعلم حقيقة النفوس قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف حتى لأصحاب النفوس ما هو مكشوف لعلم الله. قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[٣].

وقد أطلع الله رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام على كثير من الفتن التي ستبتلى بها الأمة المسلمة، وما كان منه ﷺ إلا أن أخبر الأمة بتلك الفتن، ليعدوا لها العدة، ويسلكوا طريق النجاة والخلاص منها، ولذلك كان اجتهاد الصحابة عظيماً في التعرف على الفتن مخافة الوقوع فيها.

---

(١) الآية /٣٥/ من سورة الأنبياء.
(٢) الآية /٧/ من سورة آل عمران.
(٣) الآية /٢/ من سورة العنكبوت.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذاالخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فقلت: يا رسول الله فما ترى؟ - وفي رواية - فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

وعن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد، فإذا عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون إليه، فأتيتهم، فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا

---

(١) رواه البخاري (٨/٩٢) في الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم برقم /١٨٤٧/ في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال.

منـزِلًا، فمنا من خِبَـاءَه، ومنا مَنْ ينتضـل[1]، ومنا من هـو في جَشَرِه[2]، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ إلى الصلاة جـامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال:

«إنه لم يكن نبي قبلي، إلا كان حقاً عليه أن يدل أمتـه على خير ما يعلمـه لهم، وينذرهم شر مـا يعلمه لهم، وإن أمتكم هـذه جُعِلَ عـافيتها في أولهـا، وسيصيب آخرهـا بلاء وأمـور تنكرونها، وتجيء فتنة فَيُزلِقُ[3] بعضها بعضـاً، وتجيء الفتنة، فيقـول المؤمن: هـذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنـة، فيقول المؤمن: هذه هـذه، فمن أحب أن يزحـزح عن النار، ويُدخل الجنـة، فلتأتـه مَنِيته وهـو يؤمن بالله واليـوم الآخر، وليـأت إلى الناس الـذي يُحب أن يؤتَى إليه، ومن بـايع إمـاماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[4].

---

(١) (ينتضل): الانتضال: الرمي بالسهام.

(٢) (جَشَرَة): الجشر: المـال من المواشي التي تـرعى أمـام البيـوت والـديـار، يُقال: جَشَرْنا دوابنا: أي أخرجناها إلى المرعى.

(٣) (فينزلق) بعضها بعضاً: أي يدفع بعضها بعضاً، كأن الثانية تزحم الأولى لسرعة ورودها عليها.

(٤) رواه مسلم برقم /١٨٤٤/في الإمارة، باب وجوب الـوفاء بسبعـة الخلفاء الأول فـالأول، وأبـو داود بـرقم /٤٢٤٨/ في الفتن. بـاب ذكـر الفتن ودلائلها، والنسائي (١٥٣/٧) في البيعة باب ذكر من بايع الإمام وأعـطاه صفقة يده وثمرة قلبه.

وبعد هذا التحذير من الفتن، ورسم الخطوط العريضة لطريق النجاة منها، بين لنا رسول الله ﷺ أن بعض هذه الفتن شديدة مظلمة، ومنها خفيف. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسَرَّ إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال يوماً - وهو في مجلس يتحدث فيه عن الفتن وبعدهن - : «**منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنها فتن كرياح الصيف**[1] **منها صغار ومنها كبار، فذهب أولئك الرهط الذين سمعوه معي كلهم غيري**»[2].

بل إن بعض الفتن قد يبلغ من شدتها أن تخرج المسلم عن دينه، ولذلك طلب من الناس المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تظاهر الفتن، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**بادروا بالأعمال فِتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا**»[3].

---

(١) (كرياح الصيف): يريد أن فيها بعض الشدة، وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٨٩١/ في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٣) رواه مسلم برقم /١١٨/ في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل=

وقبل البدء بعرض الفتن نشير إلى أن النبي ﷺ قد حدد العام الذي تبدأ فيه الفتن، ففي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

«تدور رَحَى[1] الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا، فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم، يقم سبعين عاماً، قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: مما مضى»[2].

وكما حدد لنا رسول الله ﷺ وقت الفتن، حدد لنا كذلك الجهة التي تجيء منها الفتن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر:

«ألا إن الفتنة ها هنا، يشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان» وفي رواية قال ـ وهو مستقبل المشرق: **«هَا هنا، إن الفتنة ها هنا ـ ثلاثاً ـ وذكره»** وفي أخرى أنه سمع

= تظاهر الفتن، والترمذي برقم /٢١٩٦/ في الفتن، باب ما جاء ستكون فتن لقطع العيل المظلم.

(١) (دوران الرحى): كناية عن الحرب والقتال، فقد شبهها بالرحى الدوارة التي تطحن الحب لشدة ما يكون في الحرب من تلف الأرواح وهلاك الأنفس.

(٢) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٠ و ٣٩١) وأبو داود برقم /٤٢٥٤/ في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، وصححه ابن حبان برقم /١٨٦٥/ كما في الموارد، والحاكم (٤/ ١٢٥) ووافقه الذهبي.

النبي ﷺ ـ وهو مستقبل المشرق ـ يقول: «**ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[1]. ﷺ

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: «وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به»، وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجدُه بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة) ا. هـ[2].

ومما لا شك فيه أن من تتبع التاريخ يعلم يقيناً أن منبع الفتن كان من المشرق، فمنها ثارت الفتنة الأولى التي أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن تلك الجهة، ظهر الخوارج، والشيعة والروافض، والباطنية، والقدرية، والجهمية والمعتزلة، بل أكثر مقالات الكفر والعقائد الفاسدة كانت من جهة الشرق، وسيبقى الأمر كذلك إلا أن تأتي رايات الدجال من خراسان كما أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) رواه البخاري (٨/٩٥) في الفتن، باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق، ومسلم برقم /٢٩٠٥/ في الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان.

(٢) انظر قول الحافظ في الفتح (١٣/٤٧) في الفتن، باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق.

والسؤال الذي يطرح نفسه: فكيف يكون الخلاص وتجنب هذه الفتن؟ والجواب هو ما أجابه رسول الله ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما كان يسأله عن الفتن: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

وفي رواية أخرى قال حذيفة رضي الله عنه قلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف، قال قلت: وهل بعد هذا السيف بقية؟ قال: نعم إمارة على أقذاء[1] وهدنة على دخن، قال قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تنشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه، وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة، قال قلت: ثم ماذا؟ قال يخرج الدجال بعد ذلك... الحديث»[2].

---

(١) (إمارة على أقذاء) القذى هو ما يقع في العين أو الشراب من غبار وغيره، والمراد هنا: أن الناس تبقى منهم بقية ولكن على فساد في قلوبهم.

(٢) رواه البخاري (٦/٦١٥) كما في الفتح ورقمه /٣٦٠٦/، وأيضاً (١٣/٣٥) برقم /٧٠٨٤/ ومسلم برقم /١٨٤٧/ في الإمارة، ورواه الإمام أحمد في المسند (٥/٤٠٣) وأبو داود من طريقين آخرين بقم /٤٢٤٤/ و٤٢٤٥/.

وفي حديث العرباص بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال:

«تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد ينقاد»(1).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنها ستكون فتن، ألا ثم ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر. ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إلى إحدى الفئتين؟ فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه

وإثمك، ويكون من أصحاب النار»[1].

وخلاصة القول في النجاة من الوقوع في الفتن هو ما أرشد إليه معلم البشرية الخير، بالحذر من الافتراق والتنازع، فإن كان لا بد أن يقع فلزوم جماعة المسلمين، المتمثلة بما كان عليه رسول الله ﷺ، ومن سار على هديهم من أهل السنة والجماعة، سواء كان العدد قليلاً أو كثيراً، كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك) وفي لفظ: (إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك)[2].

وهذا في حال عدم وجود إمام شرعي، أماإذا وجد الإمام، فعليه طاعته ولو كان فاسقاً ولكن عليه ألا يطيعه في معصية الله التي يدعو إليها، ولكن يلتزم مذهب أهل السنة والجماعة ويعمل مع أصحابها بالدعوة إلى الحق ومحاربة البدع.

وأما إذا لم يجد المسلم جماعة ولا إمام، ولا يمكن لأحد أن يسمع منه ويقبل دعوته. فلا يجوز له بهذه الحال الركون إلى أحد من أهل البدع، بل عليه الاعتزال حتى يقضي الله ما يشاء أو يموت وهو على اعتزاله كما قال ﷺ لحذيفة.

وفي حال الاشتباك والقتال بين الناس، فعلى المسلم

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٨٨٧/ في الفتن، باب نزول الفتن.
(٢) انظر شرح السنة للالكائي (١/١٠٨ و ١٠٩).

اجتناب الصراع في هذه الحال والهروب إلى مكان ناءٍ يرعى فيه بهائمه أو يعمل في أرضه، فإن اضطر للإنطلاق مع أحد الصفين، أو وصلت إليه سيوف المتحاربين، فليحرص أن يكون عبد الله المقتول، كي لا يقتل مسلماً أو يؤذيه، والله أعلم بالصواب.

والآن عوداً لما بدأناه من عرض علامات الساعة، وما يصاحبها من الفتن العظام والله المستعان، وعليه التكلان.

٧ ـ الفتنة في مقتل الخليفة الراشد
عثمان بن عفان رضي الله عنه وافتراق الأمة

إن من أوائل الفتن وأعظمها في تاريخ الإسلام تلك الفتنة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، ألا وهي مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد طائفة من دعاة الشر، وما تبع ذلك من فرقة المسلمين، واقتتالهم فيما بينهم، وسيلان الدماء الطاهرة من الفريقين المسلمين المتخاصمين، وقد أخبر المصطفى ﷺ إلى أن وقوع هذا الأمر دليل وعلامة من علامات قرب الساعة. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين فتكون بينهما مقتلة عظيمة. ودعواهما واحدة»[١].

وقد وصف الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الفتنة بأنها تموج كموج البحر، كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٧٢) كما في الفتح لفتن، باب خروج النار، ورواه مسلم برقم /١٥٧/ في الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، واللفظ لمسلم.

فقلت: أنا أحفظه كما قال، قال: هات، إنك لجريء، وكيف قال؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر، قال قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً، قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب. فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: عمر» هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم[1].

وفي رواية لمسلم قال: وحدثته: أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر، قال عمر: أكسراً؟ لا أبالك، فلو أنه فتح؟ لعله كان يعود، قال: لا، بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت»[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٨) كما في الفتح في الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ومسلم برقم /١٤٤/ في الفتن، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٢) رواه مسلم برقم /٤٤/ في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

وفي الصحيح أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ إلى حائط من حوائط المدينة. . . فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: فجاء عثمان، فقلت: كما أنت، حتى استأذن لك، فقال النبي ﷺ: أئذن له وبشره بالجنة معها بلاء يصيبه[1].

ومن أجل هذا صبر عثمان رضي الله عنه عندما تحقق موعود رسول الله ﷺ، ونهى الصحابة عن قتال الخارجين عليه كي لا يراق دم من أجله رضي الله عنه.

وصدقت نبوءته ﷺ وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي فئة منحرفة ذات أطماع سياسية ودينية ودنيوية وكانت بقيادة زعيم المصريين الغافقي بن حرب العكي، حيث حاصروا الخليفة الراشد في داره فترة طويلة ثم تسوروا الدار وأحرقوا الباب، كل هذا والخليفة المفترى عليه يقسم على أبناء الصحابة أن يلقوا سيوفهم ولا يدافعوا عنه، وهجم المنحرفون على الخليفة فضربة الغافقي بحديدة وهو يقرأ القرآن الكريم، وكان قتله رضي الله عنه في ١٨ ذي الحجة عام ٣٥ هـ.

وبعد مقتل ذي النورين رضي الله عنه اختار المسلمون

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٨) كما في الفتح، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر.

علياً بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون أميـراً لهم، فلم يقبل وأحب أن يكـون وزيراً من أن يكـون أميراً، إلا أن الصحـابة قد أصروا عليه للخلاص من المأزق الذي وقعوا فيه، فلم يجد بـداً من القبـول وتحمـل المسؤوليـة في غمـرات هـذه الفتنـة العظيمة. وإلا تسلط المتمردون والمنحرفون على المدينة.

واختلطت الأمور على المسلمين، مما أدى إلى اعـتزال بعض الصحابة، ولم يبايع بعضهم، وكانت الشام بـإمرة معـاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. ولم يبايع حتى يستقر الوضع.

وتبـاينت الآراء والاجتهادات في الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه وإقامة الحدود على القتلة المتمردين. وأخيراً اشتد الخلاف في الـرأي، ووقع مـا لم يكن بالحسبـان، وجـرت معـارك بـين الطرفين المسلمين المتخاصمين وكانت مقتلة عظيمة كما وصفها رسول الله ﷺ، وكان ذلك بداية الفتن وعلامـة من علامـات قرب الساعة، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٨ ـ موقعة الجمل

ومن الفتن العظيمة التي وقعت بعد مقتل الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ما وقع من معركة الجمل بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين.

وكما ذكرنا في الفتنة السابقة بأن علياً رضي عنه رفض أن يبايع أميراً للمسلمين في وسط تلك الأمور المختلطة، ولكنه أخيراً وتحت ضغط معظم الصحابة لم يجد بداً من القبول وتحمل المسؤولية في غمرات هذه الفتنة العظيمة، وكان ممن بايع طلحة والزبير رضي الله عنهما، وبعد حديث بينهم وبين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشأن مقتل عثمان رضي الله عنه توجهوا إلى البصرة وطلبوا من الإمام علي رضي الله عنه أن يسلم لهم قتلة عثمان، فلم يجبهم لذلك، لأنه كان ينتظر من أولياء عثمان رضي الله عنه التحاكم إليه، فإذا ثبت على أحدٍ بعينه أنه من القتلة اقتص منه، فاختلفوا بسبب ذلك وتباينت الآراء والاجتهادات في طريقة الأخذ بالمجرمين القتلة وإقامة الحدود عليهم، والتوصل إلى عملية الصلح يكاد يكون وشيكاً، فخشي من نُسب إليهم القتل ـ وهم المتمردون على عثمان رضي الله عنه ـ أن يتم الصلح على إقامة الحدود

عليهم، فأنشبوا الحرب بين الطائفتين المؤمنتين[1].

ومن الأدلة على أن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم لم يخرجوا للقتال وإنما بقصد الإصلاح بين المسلمين، وإقامة الحد على القتلة الخارجين، أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما بلغت قريباً من ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فسألت عن أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب، فقالت رضي الله عنها: (ما أظنني إلا راجعة. فقال لها الزبير رضي الله عنه: لا بعد - أي لم نصل إلى مكان الحوأب بعد - تقدمي ليراك الناس فيصلح الله ذات بينهم، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب**)[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: إن عائشة رضي الله عنها لم تخرج للقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى بحقها، فكانت رضي الله عنها إذا ذكرت خروجها تبكي حتى

---

(١) إن شئت فانظر تفصيل الخبر في فتح الباري (١٣/ ٥٤ وما بعدها).

(٢) حديث الحوأب صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٥٢) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٠) وصححه، وأشار إلى صحته أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٤) وابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٤٧٥/.

تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتله عثمان، وكان علي رضي الله عنه غير راض بقتل عثمان، ولا معيناً عليه، كما يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، وهو الصادق البار.

وخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، وظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها راكبة، لا قاتلت ولا أمرت بالقتال، وهكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[1] ا. هـ.

وهكذا نجد أن حصول القتال بين الطرفين لم يكن في الحسبان، ولم يكن يريده أحدهما، وإنما كان كل ذلك بسبب أهل الأهواء الخائفين من إقامة حدِّ الله عليهم فافتعلوا الحرب وحرضوا على القتال، ووقعت تلك الفتنة كما كان يشير إلى ذلك رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بقوله: «**لا تقوم**

---

(١) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢/ ١٨٥).

الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة»[1].

وكانت الموقعة فاجعة أليمة ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين، ولكن مع هذا نقول أن المعركة لم تكن بين أعداءٍ ألداء كما يصوره المؤرخون، وإنما كانت بين أخوة إسلامية أوقع الشيطان بينهم، ولكل وجهة نظره واجتهاده الخاص وهو مأجور عليه بإذن الله.

هذا وإن العبرة التي نستفيدها من هذا الدرس: هو الحذر كل الحذر من أهل الأهواء والبدع والنفعين المنافقين المنتسبين للإسلام وهو منهم براء، إذ لا همَّ لهم إلا الحصول على المآرب الدنيئة والأغراض الهدامة من بث الفرقة بين المؤمنين. والإيقاع بينهم، والتربص بهم الدوائر. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣/٨) كتاب الفتن، باب خروج النار، ومسلم برقم /١٥٧/ في الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، واللفظ له.

(٢) الآية /٣٠/ من سورة الأنفال.

٩ - موقعة صفين

ومن الفتن العظيمة المؤلمة التي وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم تلك الحرب المشهورة بـ (موقعة صفين) التي وقعت بين الطائفتين المؤمنتين: طائفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وطائفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وهي الموقعة العظيمة التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة**»[1].

وملخص هذه الفتنة أن الخليفة الراشدي الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل إلى معاوية بن أبي سفيان عامل الشام يطلب منه البيعة، وكانت الأخبار قد وصلت الشام بأن عدداً من الصحابة لم يعطوا البيعة. وأن علياً لم يستطع أن يقبض على زمام الأمر وإقامة الحدود على قتلة عثمان الذين لا يزالون يتحكمون في أمر المدينة «وحُمل إليهم قميص عثمان المملوء بالدماء وعليه أصابع زوجه نائلة مقطعة» كل هذا جعل معاوية يتريث بإرسال البيعة.

---

(١) رواه البخاري (٨/١٣) كتاب الفتن، ومسلم برقم /١٥٧/ في الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، واللفظ لمسلم.

ثم وصلت إليهم أخبار جديدة بأن عدداً من الصحابة خرج من مكة إلى البصرة معارضين للخليفة وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير، وفهموا من كل هذه الأخبار أن الأمر لم يستقر لعلي بعد، وأنه لا بد من الانتظار.

وخلال الانتظار حدثت أحداث كبيرة لم تكن في الحسبان ووقعت معركة الجمل التي تحدثنا عنها في الفتنة السابقة، فكل هذا جعل عامل الشام معاوية رضي الله عنه يجتهد بمزيد من التريث والانتظار.

ولكن في الطرف المقابل لم يكن يروق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتأخير البيعة، فأرسل إليه يعزله عن ولاية الشام، ويولي مكانه سهل بن حنيف الذي رُد من حدود بلاد الشام، وتوالت الرسل بين الطرفين تظهر حجة كل منهما واجتهاده، ولكن لم تؤد تلك الرسل إلى نتيجة، ولم يكن بدٌ من التعبئة لتنفيذ أوامر الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، وعلم معاوية بحركة جيش العراق، فعبأ جند الشام، والتقى الفريقان في صفين، وأقام الطرفان عدة أيام يلتقون على الماء، ويسعى بعضهم على بعض، أو ربما يسمرون معاً دون قتال، وأخيراً وقع القتال بشكل مناوشات بسيطة استمرت مدة شهر ذي الحجة، وبإهلال شهر المحرم توقف القتال، وتصافوا لعلهم يتصالحون، وكثرت السفراء بين الفريقين ولكن دون

جـدوى، وبقي كل يصر عـلى رأيه ومـوقفه، فكـان لا بد من القتال.

وعادت الفرق من الجانبين يناوش بعضها بعضها، واستمر ذلك مدة النصف الأول من شهر صفر عـام ٣٧ هـ، ولما رأى الـطرفان أن التـأخير لا يفيـد وأنه لا بـد من حملة عامـة تنهي النزاع، والتحم الفريقان بقتال عنيف استمـر ثلاثـة أيام قتـل فيه من الفريقين عدد كبير، وظهرت علائم الهزيمـة على جيش الشـام، ورفعت المصاحف، وتـوقف القتال، والجميـع ينتـظر بـارقة أمـل ليتم الصلح. وكتبت صحيفة التحكيم، واجتمـع الحكمان في دومة الجندل. ولم يتفقا على شيء، وافترقـا من غير اتفاق[1].

وفي هـذه الأثنـاء انحـازت جمـاعــة من جيش العـراق إلى (حروراء) مخالفين ما في صحيفة التحكيم يصيحون: لا حكم إلا لله، التي يقـول عنها أمـير المؤمنـين: كلمـة حق أريـد بهـا باطل. وهذا ما سنتحدث عنه في الفتنة التالية إن شاء الله.

---

(١) لمزيد من التفصيـل حول هـذا الموضـوع راجع كتـاب التاريـخ الإسلامي (٣/٢٦٣ حتى ٢٨٣) الكتـاب لـلأستـاذ محمـود شـاكـر، طبعــة المكتب الاسلامي.

١٠ ـ ظهور الخوارج

من أوائل الفتن وأعظمها أثاراً في فرقة المسلمين واختلافهم، ظهور فرقة الخوارج، الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد مسألة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعد انتهاء معركة صفين، وانحازوا إلى قرية قرب الكوفة اسمها (حروراء). وكان من أبرز أفكارهم الضالة قولهم بانحراف عثمان بن عفان رضي الله عنه بآخر خلافته، واستوجبوا له القتل أو العزل، ومن أفكارهم الضالة أيضاً: تكفير مرتكب الكبيرة ما لم يتب عنها، واستباحوا دماء مخالفيهم من المسلمين، فأحدثوا في الاسلام دماراً وبلاءً عظيماً، ومع ذلك كانوا يدعون العلم، ويجهدون أنفسهم في العبادة، وكان من أول هؤلاء (ذو الخويصرة)، وآخرهم (ذو الثدية)، وهم الذين قال النبي ﷺ فيهم:

«**سيخرج قوم في آخر الزمان، حدثاء الأسنان**(١)**، سفهاء الأحلام**(٢)**، يقولون من قول خير البرية، يقرؤون القرآن، لا**

---

(١) (حدثاء الأسنان) أي: شباب لم يكبروا حتى يعرفوا الحق.

(٢) (سفهاء الأحلام) أي: فيهم خفة في العقل والجهل.

يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله إعدل، فقال رسول الله ﷺ:ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم» زاد في رواية: يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم: رجل أسود، إحدى عضديه مثل البضعة تدر در[2] وفي رواية: وآية ذلك: أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض، قال أبو سعيد رضي الله عنه، فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتمس فوجد، فأُتي به حتى نظرت إليه على

---

(١) رواه البخاري (٨/٥١) في استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم برقم /١٠٦٦/ في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوابع، وأبو داود برقم /٤٧٦٧/ في السنة، باب في قتال الخوارج. وكذلك أخرجه الإمام أحمد (٦١٦ و٩١٢).

(٢) (تدردر) التدردر: التحرك والترجرج ماراً وجائياً.

نعت رســول الله ﷺ الــذي نعت»[1]. ففي أمــر النبي ﷺ بقتالهم، وبيان الأجر لمن فعل ذلـك، ومن ثم قتال الصحـابة لهم لـدليـل واضـح عـلى فسـاد هـذه الـطائفـة وبعـدهـا عن الإسلام.

قال فيهم الإمام البخاري رحمه الله: كان ابن عمر يـراهم شرار خلق الله، وقـال: (إنهم انـطلقـوا إلى آيـات نـزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[2].

وقد قال فيهم الحـافظ ابن حجر رحمـه الله: «عظم البـلاء بهم، وتوسعوا في معتقدهـم الفاسـد، فأبـطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3].

ومن ضـلال الخوارج أنهم كـانوا يقتلون من اجتـازهم من المسلمين، بينما يتركون الكفرة والمشركين، وحـدث أن مرَّ بهم الصحابي الجليل عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنهما ومعه زوجته، فقتلوه وبقروا بطن زوجته عن ولدها.

---

(١) رواه البخاري (٨/٥١) في استتابة المرتدين، باب قتـال الخوارج، ومسلم برقم /١٠٦٤/ في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، والموطأ (١/٢٠٤) في القرآن، باب ما جاء في القرآن، ولأبي داود والنسائي نحو ذلك.

(٢) صحيح البخاري (١٢/٢٨٣) في استتـابة المـرتدين والمعـاندين وقتـالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

(٣) انظر كلام ابن حجر في الفتح (١٢/٢٨٥).

ولما علم بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سألهم عمن قتله؟ فقالوا: كلنا قتله، فتجهز رضي الله عنه لقتالهم، والتقى بهم في موقعة النهروان المشهورة، فهزمهم شر هزيمة.

هذا وكبار فرق الخوارج ستة: الآزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والأباضية، والثعالبة، والباقون فروعاً لهم.

ومن المؤسف له جداً أن نجد اليوم من جاء ليجدد أفكار تلك الفئة الضالة المندثرة، ويعيد مأساة الخوارج، وخاصة في مسألة التكفير، فلنتق الله، ولنتذكر قول الرسول الكريم: «**من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، وفي رواية: إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**» وفي أخرى: «**أيما امرىء قال لأخيه: كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٧/٩٦) في الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل، ومسلم برقم /٦٠/ في الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، والموطأ (٢/٩٨٤) في الكلام، باب ما يكره من الكلام، وأبو داود برقم /٤٦٨٧/ في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والترمذي برقم /٢٦٣٩/ في الإيمان، باب فيمن رمى أخاه بكفر، وعند الجميع من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

١١ ـ خروج الدجالين الكذابين

أدعياء النبوة

ومن أمارات الساعة وأشراطها خروج الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة، ويثيرون الفتنة بأباطيهم، وقد أخبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بأن عدد هؤلاء الدجالين يقارب الثلاثين، وحدَّدهم ببعض الأحاديث بسبعة وعشرين، وهو عدد قريب من الثلاثين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى.. الخ الحديث»[1].

وليس المراد (بالبعث) الإرسال المقارن للنبوة، بل هو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٥٣/٨) في استتابة المرتدين، باب قول النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة، ومسلم برقم /١٥٧/ في الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٢) الآية /٨٣/ من سورة مريم.

وليس المراد أيضاً كل من ادعى النبوة مطلقاً، فإنهم لا يحصون كثرة لكون معظمهم ينشأ لهم ذلك عن جنون. وإنما المراد من قامت لهم شوكة وبدت لهم شبهة.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون، منهم أربعة نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي**»[1].

وقد ظهر من الكذابين أدعياء النبوة في عصر الصحابة (مسيلمة الكذاب) وقد كثر أتباعه وعظم شره إلى أن أعان الله الصحابة رضوان الله عليهم بالقضاء عليه في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في معركة اليمامة. ومنهم أيضاً الأسود العنسي، الذي ظهر في اليمن وادعى النبوة وقتله الصحابة أيضاً. وطليحة بن خويلد ثم تاب ورجع إلى الإسلام، وتنبأت أيضاً سجاح الكاهنة، ثم تزوجها مسيلمة، ثم رجعت بعده[2].

وظهر منهم في عصر التابعين: المختار الثقفي مدعياً النبوة، ومنذ قرن تقريباً ظهر (الميرزا عباس) في إيران مدعياً النبوة عام

---

(١) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٣٩٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٣٥) وعزاه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم /١٩٩٩/ وصححه وعزاه لمصادره.

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٨٧).

١٢٣٣ هـ وتوفي بفلسطين عام ١٣٠٩ هـ، وظهر في السودان (محمود محمد طه) وقد أضل كثيراً من الخلق، ثم أعدم عام ١٩٨٥ م.

ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون، إلى أن يظهر الدجال الكبير الأعور نعوذبالله من فتنته،فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده: «. . . **وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الكذاب**»[1]. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في موضعه.

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند (١٦/٥).

١٢ - وضع الاحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ

إن من العلامات التي تكون في آخر الزمان بين يدي الساعة انتشار الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ بغية تشويه العقيدة والتلبيس على الناس بأمر دينهم، ولغايات أخرى سياسية أو عصبية أو مذهبية، وقد حذر معلم البشرية ﷺ أمته من هؤلاء الدجالين، حتى لا يقعوا في مصائدهم الخبيثة، مما يؤدي إلى الانحراف والضلال.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم**».

وفي رواية أخرى قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا أباؤكم، فإياكم وإياهم**»[١].

وبذلك فقد كانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ودقة الآداء، وضبط الكلام، وأما الكذب والتدليس والافتراء فهي إمارات النفاق.

---

(١) رواه مسلم برقم /٦ و٧/ في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.

وإذا كان الكذب بشكل عام رذيلة من الرذائل المحضة التي تنبىء عن تغلل الفساد في نفس صاحبها، فإن الكذب بشكل خاص على دين الله يعتبر من أقبح المنكرات، وأول ذلك نسبة شيء إلى الله أو إلى رسوله لم يقله. فهذا النوع من الكذب فاحش في حقيقته وخيم في نتيجته، ففي الحديث الشريف عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحدٍ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

وفي رواية قال: «**من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين**»[1] ويدخل في نطاق هذا الكذب سائر ما ابتدعه الجهال وأقحموه على دين الله من محدثات في الدين لا أصل لها، فضلوا بذلك العوام فحسبوها ديناً وما هي إلا كذب وافتراء على الدين.

ومن أجل هذا حذر رسول الله ﷺ من الانقياد وراء هؤلاء الدجالين حتى لا يقعوا في حبائلهم الخبيثة. والله المستعان.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٠) كما في الفتح، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ومسلم برقم /٤/ في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، والترمذي برقم /٢٦٦٤/ في العلم، باب ما جاء فيمن يروي حديثاً وهو يرى أنه كذب.

١٣ ـ خروج نار من الحجاز
تضيء لها أعناق الابل ببصرى

لقد أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بأن من علامات الساعة خروج نار من أرض الحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى، وهي مدينة من الشام من أعمال حوران. وتبعد عن دمشق ثلاث مراحل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى»[1].

وقد ظهرت هذه الآية العظيمة، وخرجت النار من أرض الحجاز كما حدث عنها رسول الله ﷺ، وكان ذلك في عام أربع وخمسين وستمائة، كما ذكر ذلك العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه القيم (البداية والنهاية) يقول فيه: **«ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة وفيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ**

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم برقم /٢٩٠٢/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه الذيل وشرحه، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة، وكيفية خروجها وأمرها». . .

وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتب الكتب في خامس رجب، والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان، ثم قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم: ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة الرسول ﷺ فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وذكره، ثم قال: فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغة أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب. قال: وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكان في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها، إنما كانت أية من آيات الله عز وجل».

قال أبو شامة: وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها: «لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة النبوية دوي عظيم، ثم زلزلة عظيمة رجت منها الأرض والحيطان والسقوف

والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وقد حدث مسيل شظا وما عاد يسيل، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسير نيراناً، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة، فوقفت بعدما أشفقنا أن تجيء إلينا، ورجعت تسيل في الشرق فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[1].

وقد أكلت الأرض، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تغيرت، وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق عبر الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج، وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة. وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك، والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أصف هذه النار»[2] ا. هـ.

---

(١) الآية /٣٢/ من سورة المرسلات.

(٢) أنظر بقية كتب أبي شامة رحمه الله في البداية والنهاية من ص ١٩٩ وحتى =

هذا، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح بعضاً من كتب أبي شامة، وذكر قول القرطبي في التذكرة: «قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، واستوت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكتت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترى رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت أنها رؤيت من مكة، ومن جبال بصرى»[1] ا. هـ.

وقال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم - وهو ممن عاصر خروج النار: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب

= ٢٠٦، فقد اقتصرت على كتاب واحد للاختصار.

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ٧٩).

المدينة الشرقي، وراء الحرة، تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل أهل الشام»[1] ا. هـ.

ومن تتبع ما كتب حول هذه النار العظيمة وما صاحبها يدرك بأنها كانت - كما يطلق عليه في هذا العصر - بركاناً هائلاً مصحوباً بزلازل قوية.

ومن خلال ما كتبه المشاهدون أيضاً ندرك أن هذه الآية العظيمة كان لها أثراً بالغاً في نفوس الكثير من الناس حيث رجعوا إلى الله وأعلنوا توبتهم، وأقلعوا عن المعاصي، كما قاله الشيخ شهاب الدين أبو شامة: «.. والمدينة قد تاب جميع أهلها، ولا بقي يسمع فيها رباب، ولا دف، ولا شرب... وبات الناس تلك الليلة بين مصلٍ، وتالٍ للقرآن، وراكع وساجد، وداع إلى الله عز وجل، ومتنصل من ذنوبه، ومستغفر وتائب..»[2].

وفي هذا المقام رأينا أنه من المستحسن أن ننقل ما قاله بعضهم من أبيات في هذه المناسبة، لعل الله أن يجعل فيها عبرة وتذكيراً، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا
لقد أحاطت بنا يا رب بأساء

---

(1) انظر شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢٨).
(2) البداية والنهاية ص ٢٠٢.

نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها
حملاً ونحن بها حقاً أحقاء
زلازل تخشعُ الصمُ الصلاب لها
وكيف يقوى على الزلازل شماء
أقام سبعاً يرج الأرض فانصدعت
عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن
من الهضاب لها في الأرض إرساء
كأنما فوقه الأجبال طافية
موج عليه لفرط البهج وعشاء
ترمي لها شرراً كالقصر طائشة
كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت
رعباً وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى
أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سفعة في البدر لفحتها
قليلة التسم بعد النور ليلاء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى
أن كاد يلحقها بالأرض إهواء
فيالها أية من معجزات رسو
ل الله يعقلها القوم الألباء

فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت
منا الذنوب وساء القلب أسواء

فاسمح وهب وتفضل وامح واعف وجِدْ
واصفح فكل لفرط الجهل خطاء

فقوم يونس لما آمنوا كُشِف الـ
ـعذاب عنهم وعم القوم نعماء

ونحن أمة هذا المصطفى ولنا
منه إلى عفوك المرجو دعاء

هذا الرسول الذي لولاه ما سُلكت
محجة في سبيل الله بيضاء

فارحم وصل على المختار ما خطبت
على علا منبر الأوراق ورقاء

ا. هـ[1].

(١) البداية والنهاية ص ٢٠٣.

١٤ ـ ظهور الخسف

أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه سيقع في هذه الأمة أنواع من البلاء بسبب المعاصي والذنوب، ومن هذه البلايا الخسف، وهو علامة من علامات الساعة الدالة على قرب وقوعها.

فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. . . وذكر منها، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. .»[1].

وكما أن الخسف والزلازل والبراكين وغيرها، علامات على قرب الساعة، كذلك هي آيات عظيمة يخوف الله بها عباده، وينذرهم ويحذرهم من الإقدام على المعاصي والذنوب، فإنها سبب من الأسباب التي تستوجب غضب الله وإنزاله العقوبة العاجلة إلى جانب ما ينتظرهم من العقاب الأخروي.

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٠١/ في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف.

فعن عمـران بن حصين رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال:

«في هذه الأمة خسف ومسـخ وقذف، فقـال له رجـل من المسلمـين: يـا رســول الله ومتى ذلـك؟ قــال: إذا ظهـرت القيان[1] والمعازف، وشربت الخمور»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسـخ وقذف، قـالت: قلت: يـا رسول الله، أنهلك وفينـا الصالحـون؟ قال: نعم، إذا ظهر الخبث»[3].

ولقـد استهـان النــاس بمحـارم الله وارتكبـوا كثيـراً من المعاصي، فظهرت القيان والمعـازف. وشربت الخمور، وهـذا وعيد الله على لسان رسوله ﷺ يتحقق تباعاً، وليس عنا ببعيد ذلك الخسف الذي وقع في مدينة الأصنام بالجزائـر، وكذلـك ما يحدث في شتى أنحاء العالم من الزلازل والبراكين، وذلك بما كسبت أيدي الناس، نعوذ بالله من غضبه، ونسأله جل شأنه أن يلهمنا الاعتبار بآياته والانتفاع بها، إنه جواد كريم.

---

(١) (القيان): جمع قنية، وهي المغنية من النساء.

(٢) رواه الـترمذي بـرقم /٢٢١٣/ في الفتن، باب مـا جاء في عـلامة حلول المسخ والخسف، وهو حديث حسن يشهد له ما بعده.

(٣) رواه الترمذي بـرقم /٢١٨٦/ في الفتن، باب مـا جاء في الخسف، وهـو حديث حسن، يتقوى بالشواهد كالذي قبله.

١٥ ـ قتال الترك

من العلامات التي تدل على قرب الساعة قتال الـترك، وقد وصف لنا رسول الله ﷺ صفات هؤلاء وصفاً دقيقاً: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لا تقـوم الساعـة حتى تقاتلوا قـوماً نعـالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك[١] صغار الأعين، حُمْرَ الوجـوه، ذلفَ الأنوف[٢]، كـأن وجوههم المجَّـانُّ المطرقـة[٣]، وتجـدون من خـير النـاس أشـدهم كراهيـة لهذا الأمـر حتى يقع فيـه، والناس معـادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحبُّ إليـه من أن يكون لـه مِثلُ أهله ومـاله» هذه الرواية للبخاري ومسلم.

---

(١) (الترك): يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: اختلف في أصل الترك، فقال الخطابي: هم بنو قنطوراء أمة كانت لإبراهيم عليه السلام، وقـال كراع: هم الـديلم، وتعقب بأنهم جنس من الـذك، وقـال أبـو عمـرو: هم من أولاد يافث، وهم أجناس كثيرة، وقال وهب بن منبه: هم بنو عم يأجوج ومأجوج لما بنى ذو القرنين السدَّ كان بعض يأجوج ومأجوجَ غائبين فتركـوا لم يدخلوا مع قومهم فسموا الترك... انظر الفتح (٦/١٠٤).

(٢) (ذلف الأنوف): الاستواء في طرف الأنف، وليس بالغليظ الكبير.

(٣) (المجان المطرقة): التروس المجلدة طبقاً فوق طبق، وشبه وجوههم بذلك لبسطها وتدويرها وكثرة الوجه.

وفي رواية أخرى للبخاري: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر».

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر**»(١).

وقد وقع قتال هؤلاء الذين وصفهم رسول الله ﷺ وكان ذلك في أول خلافة بني أمية، وانتصر عليهم المسلمون وغنموا منهم.

ووقع هذا أيضاً في عصر مجدد الإسلام الامام ابن تيمية رحمه الله وكان ممن تشرف بقتالهم، وحث المسلمين على جهادهم، فكانت آية كبرى حيث رآها بعينه وعايشها بوجدانه فقال: «**فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكيز خان**» ملكهم الأكبر وأولاده وأولاد أولاده مثل (هولاكو) وغيره من الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٣٣) في الجهاد، باب قتال الذين ينتعلون الشعر، وباب قتال الترك، ومسلم برقم /٢٩١٢/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، وأبو داود برقم /٤٣٠٣/ في الملاحم، باب في قتال الترك، والترمذي برقم /٢٢١٦/ في الفتن، باب ما جاء في قتال الترك، والنسائي (٦/٤٥) في الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة.

لم يحسن أن يصفهم بـأحسن من هـذه الصفـة)[1] أي التي وصفهم بها رسول الله ﷺ.

ويقـول الإمام النـووي رحمه الله عـلى شرح مسلم: «وقـد وجد في زماننا الترك الذين تحدث عنهم الرسول الكـريم ﷺ. هكذا بجميع صفاتهم»[2] ويقول الحافظ ابن حجر رحمـه الله: «وقـاتل المسلمـون الترك في خـلافة بني أميـة، وكان مـا بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فُتح ذلك شيئاً بعـد شيء، وكثر السبي منهم وتنافس الملوك فيهم لما فيهم من الشـدة والبأس، حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم.

ثم غلب الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكـل، ثم أولاده واحـداً بعد واحـد، إلى أن خـالط المملكـة الـديلم، ثم كـان الملوك السامانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم.

ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين، ثم آل سلجوق، وامتـدت مملكتهم إلى العراق والشـام والروم، ثم كـان بقـايـا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي وأتباع هؤلاء وهم بيت أيـوب، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم عـلى المملكة بـالديـار المصرية والشامية والحجازية.

ثم خرج على آل سلجـون في المآئـة الخامسـة الغزُّ فخـربوا البلاد وفتكوا في العباد.

---

(١) انظر كلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الصحيح (٢/ ٨١).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي رحمه الله (١٨/ ٣٨).

ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتر فكان خروج جنكيز خان بعد الستمائة فأسعرت بهم الدنيا ناراً، خصوصاً المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المعتصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم (اللنك)، ومعناه الأعرج واسمه تمر، فطرق الديار الشامية وعاش فيها، وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن آخذه الله وتفرق بنوه في البلاد، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ: «**أن بني قنطورا أول من سلب أمتي ملكهم**» (والمراد ببني قنطورا: الترك)[1] ا. هـ.

ولا بد من الإشارة أخيراً بأنه قد دخل عدد كبير من الترك في الإسلام، نتيجة احتكاكهم بالمسلمين وتأثرهم بسلوكهم وأخلاقهم، وقد ظهر على أيدي المسلمين منهم خير كثير، حيث كونوا دولة إسلامية كبيرة اعتز بها المسلمون عصوراً طويلة. وهذا ما يفسر قوله ﷺ: «**وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر، حتى يقع فيه، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام**»[2].

---

(١) فتح الباري (٦/٦٠٩) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.
(٢) انظر تخريج الحديث في حديث الباب من هذه العلامة.

١٦ ـ ظهور أعوان الظلمة الذين يجلدون الناس

ومن علامات الساعة وأشراطها التي أخبر عنها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ظهور أقوام ظلمة يتسلطون على رقاب العباد قهراً، فيتخذون أعواناً لهم يسخرونهم للمحافظة على عروشهم، فيرهبون الناس، ويسومونهم أشد أنواع العذاب والتنكيل إرضاء لطاغوتهم، لذا فهم يصبحون في غضب الله، ويمسون في سخط الله.

ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك إن طالت بك مدة ـ وفي رؤية ـ حياة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون**[1] **في غضب الله، ويروحون**[2] **في سخط الله**»[3].

وقد بين لنا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام مصير هؤلاء الظلمة الذين يجلدون ظهور العباد ظلماً وعدواناً

---

(١) (يغدون) الغدوة: هي الذهاب باكراً.

(٢) (يروحون) الروحة: هي العودة آخر النهار.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيه برقم /٢٨٥٧/ في صفة الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٠٨ و ٣٢٣).

وطغياناً لإرضاء أسيادهم من الحكام الظلمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

وللأسف فقد ظهرت هذه العلامات، ولكن في ديار الإسلام. حيث تسلم مقاليد الأمور حكام جور لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، لا همَّ لهم إلا المحافظة على تيجانهم وكراسيهم، فأقاموا لهم أعواناً فاسدين يعذبون الناس ويجلدون ظهورهم، متناسين قوله ﷺ:

«إن الذي يعذب الناس في الدنيا، يعذبه الله في الآخرة»(٢).

ومن قدَّر الله له دخول أحد السجون في البلاد العربية التي تحكم بغير ما أنزل الله ليستشعر تماماً حديث رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه الإمام مسلم برقم /٢١٢٨/ في اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات وهو عنده أيضاً في صفة الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٦١٣/ في البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، وهو من حديث هشام بن عروة عن أبيه.

وهـو يجلد بـأنـواع السيـاط التي تشبـه أذنـاب البقـر، وذات المقـاسـات المختلفـة (١٢، ١٦، ١٨.. الـخ) والتي يتسـابق الجلادون أعـوان الـظلمة، بـل ويراهنـون على من يستـطيع أن يشق جلد السجين المسلم بضربة واحـدة أو ضربتين - نـاهيك عن آلات التعـذيب التي لا تخطر عـلى بـال، جـلادون ظلمـة أشبه بالوحوش الكاسرة قلوبهم متحجرة، لذتهم الوحيدة رؤية السيـاط العنيفة تهـوي على أجسـاد المؤمنين، وسـماع أزيـزهـا الحاقد المخلوط بأنين المظلومين على الأنماط البشرية الفريدة في عقيدتها المترفعة في إسـلامها، والتي لا ذنب لهـا إلا أن قالت: ربي الله، فهذا مصلوب على خشبة، وهذا منكفىء على وجهه في دولاب التعـذيب والسياط تمـزق الجلد عن جسمـه، وذاك تنزف الدماء من جبينه الـذي لم ينحن إلا لله.. أما العـذاب الواقع على الفتيات المسلمات فحدث ولا حرج، فالقلم يخجل أن يسجل قاذورات أعوان الظلمة الطواغيت الذين يمارسون - قاتلهم الله - أحدث ما توصلت إليـه التكنولـوجيا الغـربية في بـلاد أسيادهم في فن التعـذيب والتنكيل بـالسياط المحمـومـة كـألسنة اللهب. وتيـارات الكهربـاء العـاليـة. والصلب و.. و.. والألفاظ القبيحة النابية، نـاهيك عن الممـارسات القـذرة الـوحشية في الاعتـداء عـلى الأعـراض، مما يـدل عـلى حقـد وكـراهية لـلإسلام وأهله، نسـأل الله أن يكشف الغمة، وأن يهيء للمسلمـين طريق الخـروج من هذه الفتنـة، إنـه سميـع مجيب.

١٧ ـ ضياع الأمانة
وإسناد الأمر إلى غير أهله

إن الأمانة فضيلة ضخمة، وخلق كريم، لا يستطيع حملها إلا الرجال الأكفاء، وقد ضرب الله تعالى المثل لضخامة هذه الفضيلة العظيمة. حيث أظهر لنا أنها تثقل كاهل الوجود بأكمله، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يستهين بها، أو يفرط بها مما يؤدي إلى ضياعها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١].

وقد أخطأ كل الخطأ من حصر الأمانة في (حفظ الودائع) فقط، لأن حقيقة الأمانة في نظر الشارع الحكيم ترمز إلى معانٍ مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه كما في الحديث الشريف: **«كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته... الخ الحديث»**[٢].

---

(١) الآية /٧٢/ من سورة الأحزاب.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (١٠٤/٨) في الأحكام، باب قول الله تعالى: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**، ومسلم برقم /١٨٢٩، في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

وفي حـديث آخر نفى الإيـمان عمن لا أمـانـة لـه، كـما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**ما خطبنا رسـول الله ﷺ إلا قـال: لا إيـمان لمن لا أمـانـة لـه، ولا دين لمن لا عهد له**»[١].

وقـد أخبرنـا الصادق المصـدوق عليه أفضـل الصـلاة وأتم التسليم بأن الأمانة سترفـع تدريجيـاً، وقد حـدث هذا قـديماً، وهو الآن يزداد بشكـل مخيف ينذر بسـوء الحال، فعن حـذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنـا رسول الله ﷺ حـديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمـانة نـزلت في جذر[٢] قلوب الرجال، ونزل القرآن، فقرؤوا من القـرآن، وعملوا من السنة، ثم حدثنا عن رفعها قال:

«**تـرفع الأمـانة، فينـام الرجـل، ثم يستيقظ، وقـد رفعت الأمانة من قلبه، ويبقى أثرها مثل الوكت**[٣] ثم ينام النـومة، فتقبض الأمانة من قلبـه، فيظل أثـرها مثـل المَجْل[٤] دحـرجته

---

(١) حـديث صحيـح، وإسنـاده جيـد رواه الإمـام أحمـد في المسنـد (٣/١٣٥ و ١٥٤ و ٢١٠ و ٢٥١) والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٨٨) وغيرهم.

(٢) (جذر قلوب الرجال): أي في أصلها وأعماقها.

(٣) (الوكت): جمع وكتة: وهو الأثر اليسير.

(٤) (المجْل): يقال مجلت يده مجلاً: إذا خرج منها شيء يشبه البتر من العمـل (القيح).

علـى رجلك فنفط[1] فتراه منتبـراً[2] وليس فيـه شيء، ثم أخـذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون، لا يكـاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يُقال: إن في بني فـلان رجلًا أمينـاً، حتى يُقال للرجل: مـا أجلده، ما أظـرفه، مـا أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» يقول حذيفة: «ولقـد أتى علي زمان، وما أبالي أيكم بـايعت لئن كان مسلماً لـيردنه عـلي دينه، ولئن كان نصرانيـاً أو يهوديـاً ليردنـه على سـاعيه، وأمـا اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً»[3].

وفي حـديث آخر أخـبرنا رسـول الله ﷺ أن ضياع الأمـانة علامة من عـلامات السـاعة، فعن أبي هـريرة رضي الله عنـه قـال: «بينا رسـول الله ﷺ في مجلس يحدث القـوم، إذ جـاءه أعــرابي، فقـال: متى السـاعـة؟ فمضى رســول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بـل لم يسمـع، حتى إذا قضى حـديثـه، قــال: أين السائل عن الساعة؟ قـال: ها آنـذا يا رسـول الله، قال: إذا ضُيِّعتِ الأمانة فانتظر الساعة، قـال: وكيف إضاعتهـا؟ قال:

---

(١) (فنفط): أي إصابة بقروح.
(٢) (منتبراً): أي مرتفعاً.
(٣) رواه البخـاري (١٨٨/٧) في الرقـاق، باب رفـع الأمانـة، ومسلم بـرقم /١٤٣/ في الإيمـان، بـاب رفـع الأمـانــة والإيمـان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب.

إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[1].

ففي هذا الحديث يرشدنا معلم البشرية ﷺ إلى معنى عظيماً من معاني الأمانة الواسعة، ألا وهو وضع كل شيء في المكان الجدير به، واللائق له، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الجدير به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها، فإذا اختلت هذه الموازين ووسد الأمر إلى غير أهله فقد ضاعت الأمانة واقتربت الساعة.

وها نحن أولاء نشاهد البلايا العظام قد حلَّت بأمة الإسلام، فقد تولى أمور المسلمين رجال مستبدون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا همَّ لهم إلا التمتع بالشهوات واللذائذ، ونشر البدع والمنكرات، واستغلال مناصبهم لجر المنافع الشخصية لهم ولقرابتهم من أهل السوء والفجور، والمحسوبيات على حساب أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتقى.

يقول العلامة القرطبي: ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب وغيره قد شاع بين الناس معظمه، ووسد الأمر إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافلهم، وفشت في الناس الخيانة وسوء الأخلاق.

---

(١) رواه البخاري (١٤/١١٦) في الرقاق، باب رفع الأمانة، وفي العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث.

فإذا كان هذا قد وقع وشاع في عصر الإمام القرطبي رحمه الله، فما بالك في هذه الأيام حيث يغلب الجهل، وضعف الإيمان، وذهاب التقوى من القلوب، حتى أصبح الناس لا يكترثون بدينهم، ولا من يتولى أمورهم. نعوذ بالله من سخطه وغضبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

١٨ ـ التقليد واتباع سنن الامة الماضية

إن من أعظم الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية، فتنة التقليد الأعمى، والتشبه المقيت بعادات أعداء الإسلام عامة، وأخلاق اليهود والنصارى خاصة، ولا شك أن الوقوع في قذارات التقليد هو الانهزام الداخلي، والتوهم والانخداع بالمظاهر الجوفاء، والخلود إلى دنس الأهواء والشهوات.

فإذا انتكست الأمة عن مصدر عزتها واستعلائها، وأخذت بمبادىء وقيم الأمم الضالة فاعلم أن الساعة قد اقتربت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، قيل له: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: من الناسُ إلا أولئك؟»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع،

(١) رواه البخاري (١٥١/٨) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم.

حتى لـو دخلوا جحر ضب لتبعتمـوهم، قلنا: يـا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟»[1].

والشبر والذراع ودخـول الجحر التي أشـار إليها المصـطفى ﷺ مـا هي إلا إشـارات لشـدة الاتبـاع والتقليـد لتلك الأمم الضالة، وها قد وقع معظم ما حذر منه معلم البشرية ﷺ من تشبـه وتقليد في معـظم مناحي الحيـاة، لدرجـة أن الكثير ممن ينسبون إلى الأمة الإسلامية أصبحوا يكبرون كـل شيء غربي، وأن يتعبـدوا لكل مـدنية أجنبيـة لأنها أجنبيـة فقط، فقـد رأوا القـوة والتقدم المـاديين في الغـرب ووازنوا بينهـما وبـين الحيـاة المؤسفة في بيئتهم، فنشأت لديهم هذه الانهزامية القاتلة بسبب شعورهم بالضعف.

ومن أجـل هذا حـذر الدين الحنيف من التقليـد ونهى عنه أشد النهي لأن الدين الإسلامي يحرص عـلى إيجاد الشخصيـة المسلمـة القويـة التي تعتز بمـا لـديهـا من خلق ودين، وتحمـل غيرها على أن يتأثر بها، وتأبى أن تذوب في غيرها كل الإباء.

ولهذا السبب الوجيه نهى الله سبحانـه وتعالى المؤمنـين عن مشـابهة اليهـود حتى في الـدعـاء لله سبحـانـه وتعـالى ليقـطع

---

(١) رواه البخـاري (١٥١/٨) في الاعتصـام، بـاب قـول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم، ومسلم برقم /٢٦٦٩/ في العلم، بـاب اتباع سنن اليهود والنصارى.

الإلتقاء معهم حتى في ألفاظ دعائه، وليتميز المؤمنون في دعاء الله بأسلوب خاص لا يشابههم فيه غيرهم فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(1).

فقد كانت اليهود تقول في دعائها (راعنا) من الرعاية، فنهانا الله عن مشابهتهم، وذلك لأن اليهود عليهم لعائن الله لا يخلو كلامهم من الدس والغش والتلبيس ليوقعوا المسلمين في الشر من حيث لا يدرون، أو يتخذونه ذريعة لشتم النبي ﷺ، فأمرهم الله سبحانه أن يستبدلوا هذه اللفظة بلفظة مرادفة في المعنى لا يقدر اليهود على تحريفها حسب ما يريدون من إيذاء النبي عليه الصلاة والسلام، ليفوتوا على اليهود غرضهم الدنيء الحقير في البعد عن مشابهتهم حتى في أدنى الأمور.

ولما كان المسلمون كذلك علا شأنهم، وقوي سلطانهم، واحتلوا مكان الصدارة في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، والعلمية والسياسية، فكانوا قوة مؤثرة حقاً، انهارت أمامها الحضارات السابقة.

ولم يصل المسلمون إلى حالتهم المؤلمة من الضعف والوهن والانحلال إلا بعد أن قطعوا صلتهم بإسلامهم، وفقدوا

---

(1) سورة البقرة، الآية /١٠٤/.

ثقتهم بأنفسهم، وظنوا جهلاً أو تجاهلاً بأن تقليد الغرب والشرق هو سبيل التقدم والرقى. وما زال هذا الاتجاه التقليدي يقودهم نحو الانحدار والضياع إلى أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من ذوبان الشخصية، والتخلي عن مبادىء الإسلام.

وهذا هو بالضبط ما أشار إليه معلم البشرية الخير صلوات الله عليه وسلامه وهو يبين لأمته عواقب التقليد الوخيمة وآثاره المدمرة فقال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1].

ولقد أجاد الأستاذ محمد أسد وأفاد وهو يناقش مسألة التقليد الخطيرة حيث قال: (إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق، فهو يستطيع أن يظل واقفاً مكانه، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان: (نحو المدنية الغربية) ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، وأنه يستطيع أن يختار الطريق التي كتب عليها: (إلى حقيقة الإسلام وهذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يؤمنون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي)[2].

---

(١) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند بسند صحيح (٢/ ٥٠ و٩٢) وأبو داود برقم /٤٠٣١/ في اللباس، باب في لبس الشهرة، وهو من حديث عبد الدين عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر كلام محمد أسد في كتابه (الطرين إلى مكة).

فيجب على المسلم أن ينبذ التقليد، وأن يشعر بأنه متميز عمن لا يدين بدينه، وأن يكون عالي الرأس، موفور الكرامة، يأبى أن يذوب في غيره كل الإباء، وليحذر أن يكون ممن يوالون اليهود والنصارى وينخدعون بالمظاهر الجوفاء،

والمقصود من الحديث الشريف أنه يجب علينا أخذ الحذر والحيطة التامة من أعداء الله خاصة النصارى واليهود فإن اليهود هم أمة الخبث والإفساد. ولا تجد مذهباً شارداً عن صراط الله إلا وراءه يهودي أو فرخ من أفراخهم بدءاً من عبد الله بن سبأ ـ اليهودي مؤسس المذاهب الغالية في الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ والجعد بن درهم وجهم بن صفوان طواغيت أكثر المذاهب المبتدعة، ومعلمهم هو حفيد لابن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ. ومروراً بجد العبيد بن عبد الله بن ميمون بن القداح وذريته من منتحلي النسب الفاطمي والمذهب الباطني الهدام أساسهم من اليهود، وانتهاءً بالماسونية الماكرة التي غزت الطبقات العليا في المجتمعات بأنواع الترف والميوعة واللهو والسكر والزنا والربا وفصل الدين عن الدولة، وقد اتبع سنن اليهود في هذا التشريع المخالف لحكم الله جميع من بعدهم من أهل الملل، إلى أن وصل الأمر إلى سقوط الخلافة الإسلامية وتعطيل الحكم بشرع الله، ومشابهة اليهود في العمل ببعض كتاب الله وترك البعض الآخر، مع أن كل هذا الكفر يوجب الخزي في الحياة الدنيا

قبل الآخرة. ولكن مع كل هذا فالأمـة الإسلاميـة والحمد لله أمـة مرحـومة مهـما ابتليت بمشابهـة اليهود والنصـارى، ومهـما عبثت الماسونيـة بعقائـدها وأخـلاقها فـإن الله سبحانـه وتعالى حباها بمكر متين:

(إحداهما) أنها لا يزال فيها طائفة منصـورة قائمـة بالحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله.

و(ثانيهما) أن الله قيض لدينه من يجدده ويذب عنـه تحريف الغـالين وانتحـال المبطلين، وتـأويل الجـاهلين، إضافـة لنعمة حفظ الله للقـرآن الكريم مصـدر عزتنـا وسعادتنـا في الـدنيـا والآخرة. والحمد لله رب العالمين.

١٩ ـ ظهور نساء كاسيات عاريات

ومن علائم الساعة التي أخبرنا عنها معلم البشرية ﷺ ظهور نساء انسلخن من لباس العفة والتقوى والحياء، ولبسن ألبسة ضيقة تبين مقاطع الجسم، وألبسة خفيفة تصف لون البشرة، وتظهر العورات في الجلوس والمشي غير آبهات بالنظر إليهن من كل سافل رذيل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

فقد سمّى النبي ﷺ هذا الصنف من النساء بأنهن كاسيات عاريات لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر، عاريات في الحقيقة، أو أنهن يكشفن بعض أجسادهن، ويسترن الأخر.

ووصفهن أيضاً بأنهن (مائلات مميلات) أي زائغات عن

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام البخاري، وقد سبق تخريجه ص ٨٤.

الحق وعن طاعة الله وعما يلزمهن من لباس الستر والعفة. ومميلات: أي يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن من الفساد وقلة الحياء، وقيل أن معنى ذلك: متبخترات في مشيهن يملن أعطافهن وأكتافهن ليملن أنظار الرجال إلى الفتنة والشر.

ووصفهن أيضاً بأن (رؤوسهن كأسنمة البخت) لأنهن يكبرن رؤوسهن بطريقة التسريحة أو بوصل الشعر (بالباروكة).

ومن المؤسف أن كثيراً من بنات المسلمين قد ابتلين بهذا الداء الخطير الفتاك ولم يعدن كاسيات عاريات، بل عاريات عاريات ساقطات، يتبزلن ويكشفن عن الشعور، والصدور، والأفخاذ والنحور مما تشمئز له النفوس الطيبة والفطر السليمة، وقد وصل بهن الأمر حيث أصبح جلَّ اهتمامهن بصور الإغراء، والأدب المكشوف الهابط، والموسيقى الراقصة، والأغاني الماجنة، ومزاحمة الرجال في محلات البيع والشراء إن لم نقل في البيوتات، وهنَّ بأسفل وأحط أنواع التبرج والخلاعة والمجون.

وقد وقعت هذه الأوصاف التي حدثنا عنها رسول ﷺ وشاعت في الأمة أصناف وأوصاف أهل النار، ولم يبق أمامنا إلا انتظار الساعة، عياذاً بالله من سخطه وعذابه.

٢٠ ـ ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء بالبنيان

ومن أمارات الساعة التي ظهرت وأخبر عنها المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ولادة الأمة ولداً يكون له السيادة عليها، وتفاخر الناس بالعمارات الشاهقة، وزخرفة البيوت بعد أن كانوا حفاة يعيشون في خيام الشعر ويرعون الشياه والبعير.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، قال له جبريل عليه السلام: «... **فأخبرني عن الساعة؟ فقال ـ ﷺ ـ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»[1].

ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث أن تنقلب الموازين، وتصبح الأمور في غير محلها اللائق بها. كأن يصبح الولد سيداً ومولى لأمه، ويحدث هذا عندما يتسع

---

(١) رواه مسلم برقم /٩ و١٠/ في الإيمان، باب الإسلام والإيمان والإحسان، وللحديث روايات أخرى من طرق أخرى رواها البخاري وغيره من أصحاب السنن.

الإسلام، ويكثر السراري، ويتخذ الناس السراري، ويكثر منهن الأولاد، فيكون الرجل من أمته في معنى السيد لأمه، إذ كانت مملوكة لأبيه، وملك الأب راجع إلى الولد، وكذلك ابنتها، لأنها في الحسب كأبيها.

وكذلك بالنسبة للحفاة العراة رعاء الشاء، أهل الجهل والجفاء عندما تختل الموازين بكثرة الأموال بين أيديهم، يصبحون هم رؤوس الناس، فيتطاولون في البنيان، ويتنافسون على وجه التفاخر والخيلاء، في زخرفة العمارات وعدد أدوارها بعد أن كانوا أهل النجع لا تستقر بهم دار.

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: (ومعنى التطاول في البنيان: أن كل من كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد: المباهاة في الزينة والزخرفة، أو أعمَّ من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد)[1].

هذا وقد أخبر النبي ﷺ في حديث آخر أن الناس في آخر الزمان يبنون بيوتاً يزخرفونها ويخططونها مثل تخطيط الملابس وزركشتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/٨٨).

«لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحيل»(١). والمراحيل: هي الثياب المخططة.

ويقول الحافظ بن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: (فإذا صار الحفاة العراة رعاء الشاة وهم أهل الجهل والجفاء رؤوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا)(٢).

ويقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: (والمراد بقوله: أن تلد الأمة ربتها: أي سيدتها ومالكتها، قال العلماء هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بتصريح أبيه له بالإذن، وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال، وقيل: معناه أن يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته وهو سيدها، وسيد غيرها من رعيته)(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد اختلف العلماء

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٦٣، باب البناء برقم /٧٧٨/ ورجال سنده كلهم ثقات، رجال البخاري في صحيحه غير عبد الله بن محمد بن أبي يحيى وهو ثقة كما ذكر الحافظ في التقريب ص ٣٢٢.

(٢) أنظر إن شئت جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي رحمه الله ص ٣٩.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٨).

قديماً وحديثاً في معنى ذلك، قال ابن التين: اختلف فيه على سبعة أوجه، فذكرها لكنها متداخلة، وقد لخصتها بلا تداخل فإذا هي أربعة أقوال:

الأول: قال الخطابي: معناه اتساع الاسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد فيها بمنزلة ربها لأنه وليد سيدها، قال النووي وغيره: إن قول الأكثرين، قلت: لكن في كونه المراد نظر، لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة.

الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد أو الاستهانة بالأحكام الشرعية.

الثالث: وهو من نمط الذي قبله، قال النووي: لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن، بأن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقاً بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها.

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصلة الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربياً، والسافل عالياً[1]، ا. هـ.

نقول: وقد يكون المراد ـ والله أعلم ـ عند اختلاف ما يطلق عليه بالجنسية، فيصبح الولد كفيلاً والوالد أو الوالدة مكفولة وما يترتب على ذلك من تبعات يندى لها الجبين، والله المستعان.

---

(١) فتح الباري (١/١٢٢) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة.

٢١ ـ استحلال الحر
والحرير، والخمر، والمعازف

إن الأمم تقاس بأخلاقها الفاضلة، وبآدابها العالية، ونظافتها من الرجس والتلوث، وطهارتها من التدلي والتسفل، ومن أجل ذلك فقد شدَّد الإسلام في تحريم ومحاربة الأسباب الموجبة للفساد وانحطاط الآداب كالزنا والخمور والمعازف.

وقد أخبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بأن شرب الخمور، وفشو الزنا، من علامات قرب الساعة وشرط من أشراطها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ـ عند قرب وفاته ـ : (ألا أحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ، لا يحدثكم به أحد عنه بعدي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تقوم الساعة ـ أو قال: إن من أشراط الساعة ـ: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزنا، ويذهب الرجال، ويبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم[1] واحد»[2].

---

(١) (قيم واحد) قيم المرأة: زوجها لأنه يقوم بأمرها وبما تحتاج إليه من نفقة وغيرها.

(٢) رواه البخاري (١/٢٨) في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، =

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن سمع النبي ﷺ يقول:

«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ[1] والحرير والخمر والمعازف.. الحديث بطوله»[2].

وقد وقع هذا، فانتشرت تلك الرذائل الخبيثة في الأمة، فشُربت الخمور وسميت بغير اسمها، وأصبحت تباع في كثير من بلاد المسلمين علناً بدون رقيب، بل الأدهى من ذلك أن حكام تلك الدول قد خففت العقوبة عن مرتكب الجرائم إذا كان بحالة سكر، وانتشرت المخدرات بكل أنواعها وتفننوا بطرق تناولها من أكل، أو شرب، أو شم، أو احتقان، وأصبح خطر تعاطي المسكرات يهدد الأمة بأسرها بماله من آثار وخيمة لا حد لها، كالقتل، والعدوان، والفحش، وإفشاء الأسرار، وخيانة الأوطان و.. و..

وكذلك جريمة الزنا قد فشت وفتحت لها بيوت الدعارة،

= ومسلم برقم /٢٦٧١/ في العلم، باب رفع العلم وقبضه، والترمذي برقم /٢٢٠٦/ في الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة.

(١) (الحِرَ): الفرج، والمقصود به أن الناس يستحلون الفروج (الزنا).

(٢) رواه البخاري تعليقاً (٦/٢٤٣) في الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، وقد وصله أبو داود دون قوله والمعازف برقم /٤٠٣٩/ في اللباس، باب ما جاء في الخز، ووصله أيضاً الطبراني والبيهقي وغيرهم، ومن ضعف الحديث كابن حزم فما أصاب انظر أقوال الحافظ ابن حجر على ذلك في الفتح (١٠/٤٥ ـ ٤٩).

وهيئت لها كل الوسائل التي تؤدي إليها كالاختلاط، والرقص، والصور المثيرة، والغناء الفاحش، وكل ما من شأنه أن يثير الغريزة ويدعو إلى الفحش، وأصبحت الأمة مهددة بالفناء والانقراض، لأن الزنا سبب مباشر في انتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالأبدان، وتنتقل بالوراثة من الآباء والأبناء، كالزهري، والسيلان، والقرحة، ومرض العصر الإيدز، . . إلى جانب ما يسببه من تهديد يهز كيان الأسر، وضياع الأنساب، وتناسى الناس قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

وأما ظهور المعازف ـ آلات الملاهي ـ واستحلالها فحدث ولا حرج فقد وقعت هذه العلامة في العصور السابقة، وهي الآن أشد انتشاراً وتنوعاً، وقد استهان بحرمتها كثير من الناس، بل ممن ينتسبون إلى أهل العلم، نسأل الله السلامة، وبات التهديد بالمسخ والقذف والخسف قريباً، ما دامت الأمة لاهية تستحل ما حرم الله عليها من تعاطي أسباب الفسق والفجور.

والغريب في الأمر أن بعضاً من طلبة العلم يحتجون بتضعيف ابن حزم للحديث ليبرروا لأنفسهم وللناس إباحة المعازف، مع العلم أن هذا الصنف من الناس لو ناقشته في مسألة أخرى جوهرية في العقيدة أو الأحكام وغيرها وكانت مما يقول به ابن حزم رحمه الله، لقال لك: إن ابن حزم لا يعتد

بقوله.. وواقع الحال يقول لك أن هذا المسكين ما قال قـولته هذه إلا لأنها توافق هوىً في نفسه لا غير. ودليلي على ذلك أن معظم العلماء قد ردّوا على ابن حزم رحمـه الله في هذه المسـألة مثل ابن الصلاح في مقـدمته وابن القيم الـذي بين خـطأ ابن حزم من ستة وجوه كما في تهذيب السنن.

نسأل الله السداد والثبات على الحق إنه سميع مجيب.

٢٢ ـ تسليم الخاصة، وفشو التجارة وقطع الأرحام، وشهادة الزور

ومن العلامات التي تكون بين يدي الساعة كما أخبر المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام أن يدع الناس التحية التي شرعها الله لعباده المؤمنين وجعلها سبباً للتحاب والتآخي. فأصبحوا يقصرونها على معارفهم فقط، كما أن من أشراط الساعة تعلق قلوب الناس في الدنيا وجمع المال لدرجة أن تصبح علائقهم مبنية على الأسس المادية فقط كالتجارة وغيرها، فتقطع الأرحام التي أمر الله بها أن توصل، وتكثر شهادة الزور والبهتان لأكل أموال الناس وحقوقهم بالباطل، وتكتم شهادة الحق، وقول الحق.

ففي الحديث الصحيح عن طارق بن شهاب قال: كنَّا عند عبد الله ـ أي ابن مسعود ـ جلوساً، فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبر وركع وركعنا، ثم مشينا، وصنعنا مثل الذي صنع، فمر رجل يُسرع فقال: عليك السلام يا أبا عبد الرحمن، فقال: صدق الله ورسوله، فلما صلينا ورجعنا دخل إلى أهله، جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم ردَّه على الرجل: صدق الله وبلغت

رُسُله؟ أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج، فذكر عن النبي ﷺ:

«إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»[1].

ومن الملاحظ في النص أن مراد النبي ﷺ بتسليم الخاصة: اقتصار الرجل بسلامه على معارفه فقط، كما في الحديث الآخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة، وفي رواية: أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة»[2].

ونحن أولاء نشاهد وقوع هذه العلامات كما أخبر عنها

---

(١) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (١/٤٠٧ و٤٠٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣١) ونسبه للبزار وأحمد وقال: ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح، ورواه الحاكم بنحوه في المستدرك (٤/٤٤٥ و٤٤٦) من طريق بشير بن سلمان وصححه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٦٤٧/.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٨٧ و٤٠٥ و٤٠٦) وقد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٦٤٨/.

النبي ﷺ، بل هي في ازدياد مضطرد وينذر بسوء العاقبة، فالناس قد هجروا تحية الإسلام مما نتج عنه تقطع وشائج المحبة، وتنافر القلوب، وانتشرت التجارة وتوسعت، وأصبح جُلَّ اهتمام الناس في جمع المال، فالمرأة إلى جانب زوجها والولد إلى جانب أبيه كلهم يلهث وراء المادة كما ورد في أحد الروايات «وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض فيرجع فيقول: لم أربح شيئاً»[1].

وعن قطيعة الرحم فحدث ولا حرج، فقد تخلى معظم الناس عن أقرب المقربين لهم، ووجدوا في صلة الرحم أعباء وتكاليف تستنفذ شيئاً من وقتهم أو مالهم، ولو فقه هؤلاء في دين الله لعلموا أن في صلة الرحم مصلحة لهم في الدنيا والآخرة، إذ هي سبب لطول العمر وكثرة الرزق، ورضاء الرب تبارك وتعالى، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من سرَّه أن يبسط الله في رزقه، أو ينسأ في أثره فليصل رحمه»[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٥) من طريق السري بن خزيمة، وقد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٥١) برقم /٦٤٧.

(٢) رواه البخاري (٧ ـ ٧٢) في الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم برقم /٢٥٥٧/ في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وأبو داود برقم /١٦٩٣/ في الزكاة، باب في صلة الرحم.

وأما شهادة الزور الكاذبة فقد فشت في معظم المجتمعات والعياذ بالله إما بدافع الحمية لمناصرة المشهود له بالباطل، وإما بدافع الطمع مما يأخذه من المشهود له مكافأة على كذبه الذي ليس له أساس من الصحة غير مبالٍ بما تجره هذه الشهادة الباطلة من تضييع للحقوق، وإزهاق للأرواح، وعواقب أخرى وخيمة تفسد الدنيا والدين، ولخطورة هذا فقد قرن الله تبارك وتعالى بين الشرك به وبين قول الزور فقال جل شأنه: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1].

وإذا كان الإنسان مطالباً باجتناب قول الزور فكذلك هو مطالب أن يشهد بالحق ولو على نفسه أو أقرب قريب له لا تأخذه في ذلك لومة لائم، ولا يصرفه عن ذلك طمع أو خوف أو محاباة، ويحرم عليه كتمان الشهادة، لأن كتمها كالشهادة بالباطل فيها ضياع الحقوق، وفساد المعاملات.

وأخيراً لعل المراد من قوله ﷺ في آخر الحديث (وظهور القلم) أي ظهور الكتب الكثيرة وانتشارها حتى أصبحت متوفرة لكل الناس بسبب ما أنعمه الله على الإنسان من اختراع الآلات الحديثة، ومع هذا وللأسف الشديد نجد الجهل أكثر ما يكون تفشياً بين الناس لا سيما في أمور عقيدتهم، والله أعلم بالصواب.

---

(١) آية /٣٠/ من سورة الحج.

٢٣ - التباهي بالمساجد وزخرفتها

من علامات الساعة التي ظهرت. وحدَّث عنها رسول الله ﷺ تباهي الناس بالمساجد، والمبالغة بتزيينها مضاهاة لليهود والنصارى.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»[١].

وله في رواية أخرى قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد**»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ما أمرت بتشييد المساجد**» وقال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»[٣].

يقصد ابن عباس رضي الله عنه: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا بيعهم وكنائسهم عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم، وأنتم أيها المسلمون ستصيرون إلى مثل حالهم من المراءات بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها.

---

(١) رواه أبو داود برقم /٤٤٩/ في الصلاة، باب في بناء المساجد، وإسناده صحيح، ورواه ابن جان وصححه برقم /٣٠/ وابن ماجة برقم /٧٣٩/ في المساجد، باب تشييد المساجد.

(٢) رواه النسائي (٢/٣٢) في المساجد، باب المباهاة في المسجد، والدارمي (١/٣٢٦) في الصلاة، باب في تزويق المساجد، وإسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح، انظر سنن أبي داود برقم /٤٤٨/ في الصلاة، باب في بناء المسجد، وأخرج البخاري في صحيحه قول ابن عباس تعليقاً.

لقد كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً **باللَّبِن**، وسقفه الجريد، وعُمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر رضي الله عنه شيئاً، وزاد فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان بن عفان رضي الله عنه فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، وسقفه من الخشب[1].

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء مسجدٍ، فقال: (أكِنَّ النـاسَ من المطر، وإيـاك أن تحمِّر وتصفِّر، فتفِتنَ الناس)[2].

ولقد رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه أترجة من جص معلقة في المسجد فأمر بها فقطعت.

ولما نظر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى ما في الجامع الأموي بدمشق من زينة وزخارف، عزم على إبطالها وقال: «لقد هممت أن أعمد إلى تلك الفسيفساء، وذلك الرخام فأقلعه وأجعل مكانه طوباً، وأنزع تلك السلاسل

---

(١) رواه البخاري (١/٤٤٩) في المساجد، باب بنيان المسجد، وأبو داود برقم /٤٥١/ في الصلاة.

(٢) من معلقات البخاري، وقال الحافظ ابن حجر: هو طرف من قصة تحديد المسجد النبوي.

واجعل مكانها حبالاً، وأنزل تلك البطائن (الستائر) فأبيع جميع ذلك وأدخله بيت المال».

وفي العصور الحديثة، ومع انحسار المفاهيم الإسلامية الصحيحة، أصبحت مضاهاة الأمم الأخرى غاية بذاتها، فلما رأى الناس أن اليهود والنصارى قد زخرفوا بيعهم وكنائسهم، عمدوا إلى المراءات بالمساجد والمباهات بتشييدها، والمبالغة والإسراف في زخرفتها وتزيينها، فكل ما يشاهد الآن في معظم المساجد من الجدران المزخرفة بالنقوش والألوان والكتابات، والنوافذ المزخرفة بالزجاج الملون، والقبب الكبيرة المنقوشة بالكتابات والأسماء وغير ذلك، وكذا الأرض المزخرفة بالفراش الفاخر، والثريات البراقة الكبيرة والصغيرة المتدلية من السقوف، والقناديل المفضضة أو المذهبة، كل هذا ونظائره من البدع المستحدثة في بناء المساجد، التي تفتن المصلين وتصرفهم عن الخشوع في الصلاة، وقد كان الإنسان يلوذ ببيوت الله ليهرب من زينة الدنيا ومباهجها، ليعيش ولو لحظات حيث التواضع والبساطة، أمَّا الآن فقد تغير الحال فالمساجد فيها من الزينة والترف ما لا يوجد في غيرها، ولم يبق ملاذاً للإنسان، والله المستعان.

وقد قال الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه: (إذا حليتم مصاحفكم، وزخرفتم مساجدكم، فالدمار عليكم).

وأي دمار أعظم مما وقع فيه المسلمون من هجران لحقائق

دينهم، وانشغالهم بمظاهر كاذبة، ظاهرها الدين وإعمار بيوت الله، ولسان الحال يكذب ذلك، فالداخل إلى المساجد لا يكاد يستشعر معنى الذل والعبودية لله عز وجل، وإنما يستشعر التباهي والافتخار بما ارتقى إليه فن الهندسة المعمارية، وفنون الزخرفة العربية، وبهذا اختلت الحكمة التي من أجلها شرع بناء المساجد. بل الأدهى من ذلك أن من يتظاهرون ببناء المساجد وزخرفتها من الحكام وأتباعهم لغاية في نفوسهم هم في واقع الأمر الذين يسعون في خراب المساجد خراباً معنوياً بوسائل كثيرة خطط لها أسيادهم من يهود وأذنابهم من الدول النصرانية. فها هم يستولون على أوقاف المسلمين تارة ويجعلون المساجد تحت إدارتهم ورقابتهم فلا يعلوا المنابر إلا من يريدون ممن يسترخص نفسه لهم ليسبح بحمدهم ويدعو لهم، ويمنعون ذكر الله حسبما يقتضيه مدلول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيخرسون الخطيب الحر عن النطق بكلمة الحق وتوضيح مدلول الشهادتين المستلزم للكفر بالطاغوت وبيان أحوال الطواغيت وأنواعهم، وبعضهم يسخر منابر المسلمين أبواقاً له يملي على أهلها الخطبة التي يريد فتدعم سياسته الخبيثة في الولاء لأعداء الله والبراء من أهل الحق والصلاح.

ومن التخريب المعنوي للمساجد تلك الرواتب الزهيدة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فيبتعد الصالحون - غالباً -

عن التفرغ لهذا العمل العظيم، فلا يتوظف فيها إلا كل جاهل يكتفي بالراتب الزهيد، وبذلك تكون المساجد بصورة مشوهة كما يريد اليهود وأذيالهم من الدول العلمانية.

هذه نماذج من الخراب المعنوي للمساجد ممن يعمرونها ظاهراً ويزخرفونها حتى أصبح العديد منها مجرد تماثيل يشاهدها أهل السياحة والسفر.

أما عن الخراب الحسي للمساجد فقد تولى كبره اليهودية المجرمة فقد عملت قبل القرون الوسطى على إحداث القرامطة الذين خربوا المساجدَ تخريباً حسياً بالهدم والإهانة حتى المسجد الحرام والكعبة المشرفة التي اقتلعوا الحجر الأسود منها، ودام بأيديهم مدة طويلة، وقصة إحراق المسجد الأقصى وتدنيس الحرم الإبراهيمي آخر ما فعلوه في العصر الحديث. إلى جانب المهمات التخريبية الحسية التي أوكلوها إلى أذنابهم من حكام العرب الذين قاموا بتهديم المساجد فوق رؤوس المصلين، واقتحامها بالدبابات والمصفحات، وإطلاق النار على صدور المصلين الذين لم يكن ذنبهم إلا أن قالوا ربنا الله.

فعلى المسلمين عموماً والدعاة إلى الله خصوصاً التنبه إلى كل ما خططته الدول العلمانية والعمل الدؤوب الخالص لإفساد مخططات من يسعون بخراب المساجد حسياً أو معنوياً، وذلك بالاحتساب للصلاة والأذان والوعظ والإرشاد، وإنكار البدع المستحدثة في بناء المساجد والتفنن في زخرفتها، ورصد

وفضح مخططات اليهود وأفراخهم النصارى، وتلاميذ أفراخهم من العلمانيين من المحسوبين على الإسلام من أبناء جلدتنا الذين يتشدقون ويتبجحون بالحرية والتحرر، حرية الفساد والإفساد حتى في بيوت الله التي أصبحت مطية لتبرير أعمالهم الخبيثة، وجعلوها بأسمائهم تخليداً لأعمالهم القذرة بحق الإسلام والمسلمين، حتى يُلعنوا كلما ذكرهم الذاكرون.
والأدهى من ذلك أن جيف الطغاة أصبحت أضرحة في المساجد ليطوف بها اليهود والنصارى وأفراخهم ويذرفوا الدموع على فقدان تلك الخدمات الجليلة التي هم لم يستطيعوا القيام بها. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٤ - رفع العلم وكثرة الجهل والهرج

لقد أخبر النبي ﷺ أن من العلامات التي تكون بين يدي الساعة ظهور الجهل، ورفع العلم، وكثرة القتل.

فعن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج. والهرج القتل»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويُلْقَى الشحُّ، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: القتل القتل»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨/٨٩) في الفتن، باب ظهور الفتن، ومسلم برقم /٢٦٧٢/ في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

(٢) رواه البخاري (١/٢٩) في العلم، باب من أجاب الفتا بإشارة اليد والرأس، ومسلم برقم /١٥٧/ في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، وأبو داود برقم /٤٢٥٥/ في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها.

وأما تقارب الـزمان فسنتحـدث عنه منفصلاً في الفقرة التي تليها إن شاء الله تعالى. وأما رفـع العلم وكثرة الجهـل فيكون ذلك بموت العلماء، كما ورد تفسير ذلـك من حديث عبـد الله بن عمـرو بن العـاص رضي الله عنـه قـال: سمعت رســول الله ﷺ يقول:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينـتزعه من العبـاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عـالماً اتخـذ الناس رؤوساً جهالاً فسألوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[1].

ومن أجـل هذا قـال عبد الله بن مسعـود رضي الله عنـه: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه: ذهاب أهله، وعليكم بالعمل، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق.

وقال أيضاً: لا يـزال الناس صـالحين متـماسكين مـا أتاهم العلم من أصحـاب محمد ﷺ ومن أكـابرهم، فـإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا.

وقيل لسعيد بن جبير: (ما علامة هـلاك الناس؟ قـال: إذا هلك علماؤهم).

وليس هـذا غـريبـاً فـإن الجهـل من شر البـلايـا التي تحـل بالأمم، إذ هو مصدر كل الآفـات والمصائب التي حلت وتحـل

---

(١) رواه البخاري (١/٣٣) في العلم، باب كيف يقبض العلم، ومسلم برقم /١٥٧/ في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل.

بالأمة الإسلامية. ولذلك كان سفيان رحمه الله يقول: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

فإذا أرادت أمة الإسلام تحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة، فما عليها - إلا أن تأخذ من ميراث نبيها عليه الصلاة والسلام الذي قال: «**وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في العلم: به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.

هذا والعلم المقصود محصور في أمرين اثنين: علم بالله وعلم بأوامر الله.

أما العلم بالله تعالى فهو العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله وأقواله والتعبد بها واسقاطها على واقع الحال، وهذا يورث في القلب الخشية والانكسار لله رب العالمين، ويورث الجوارح الانقياد والامتثال والطاعة لله عز وجل.

---

(١) رواه أبو داود برقم /٢٦٤١/ في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي برقم /٢٦٨٣/ في العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ورواه أيضاً الإمام أحمد وابن ماجة والدارمي وابن حبان في صحيحه، وإسناده حسن.

وأما العلم بأوامر الله تعالى فهو العلم بالحلال والحرام ومختلف الأحكام وطريقة استنباطها ونحو ذلك. . حيث يجب على كل مسلم أن يتعلم فقه الإيمان (التوحيد) وفقه الأحكام (التشريع). ففي فقه الإيمان يتعلم المسلم كيف يصحح عقيدته وإيمانه الذي سيلقى به ربه عز وجل، وفي فقه الأحكام يتعلم كيف يتابع رسول الله ﷺ في عباداته[1].

وأما علوم الدنيا فهي من فروض الكفاية في بعض الأحيان ـ وليس ذلك هو المراد من الأحاديث والله أعلم.

وأما كثرة الهرج (القتل) فقد بدأ بمقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. واستمر ذلك، إلا أنه يكثر في أماكن ويقل في أخرى، وهو يكثر في هذا العصر بواسطة تلك الأسلحة المدمرة التي تهلك الحرث والنسل. وبسبب طيش العقول وضلالها، وإهدار قيمة الإنسان، فقتل الناس وسفك دمائهم أصبح ظاهرة عامة لا يخلو يوم إلا ونسمع فيه عن مقتل عشرات بل مئات وآلاف الناس دون اكتراث ولا اهتمام وكأن شيئاً لم يكن، والعجب كل العجب أنه في كثيرٍ من حالات القتل تجد القاتل لا يعرف لـمَ قتل، ولم المقتول قُتل. وهذا مصداق ما أخبر به رسول الله صلوات الله عليه

---

(١) لمزيد من العلم في موضوع فقه الإيمان وفقه الأحكام راجع إن شئت الرسالة القيمة (برنامج عملي للمتفقهين) لفضيلة الدكتور عبد العزيز القارىء حفظه الله.

وسلامه: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قَتَلْ، ولا المقتول فيم قُتِل؟ فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار**»[1].

نسأل الله العافية، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما ما ذكر من علامات أخرى في هذا الحديث فقد تم الكلام عن بعضها في غير هذا الموضع، وبعضها الآخر سنتكلم عنه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ٣٥) كما في صحيح مسلم بشرح النووي في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

٢٥ ـ تقارب الزمان

ومن علامات الساعة التي أخبر عنها نبينا عليه الصلاة والسلام أن يتقارب الزمان، فتصبح السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السَّعَفة.

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان و. .**»[١].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعَفة**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١/٢٩) في العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ومسلم برقم /١٥٧/ في العلم، باب رفع العلم وقبضه، وأبو داود برقم /٤٢٥٥/ في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٥٣٧)، وابن حبان في صحيحه برقم /١٨٨٧/ كما في الموارد. وكلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٣١) وقال: رجاله رجال الصحيح، وأشار إلي صحته شيخنا الألباني حفظه الله في صحيح الجامع برقم /٧٤٢٢/.

ولعل المراد من تقارب الزمان ـ والله أعلم ـ قلة البركة في الأعمار، أو بسبب التقدم العلمي في المخترعات من وسائل النقل والاتصالات، والإذاعات المرئية والمسموعة وغيرها. . .

هذا وللعلماء أقوال في معنى تقارب الزمان ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح ونحن نذكرها بشكل موجز فيه بعض التصرف.

القول الأول: وهو قول ابن بطال حيث قال: ومعنى يتقارب الزمان والله أعلم ـ تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله.

القول الثاني: وهو قول الخطابي: حيث ذكر أن المراد والله أعلم وقوع ذلك الأمر عند خروج المهدي، ووقوع الأمنة في الأرض، وغلبة العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، وما زال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت.

القول الثالث: وهو قول الطحاوي: ويذكر فيه أن المراد بتقارب الزمان هو قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة، فالطبقة الأخيرة أقصر أعماراً من الطبقة التي تليها.

القول الرابع: وهو قول البيضاوي، ويرى أن المقصود

بتقارب الزمان تسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم.

القول الخامس: وهو قول ابن أبي جمرة حيث قال فيه: ويحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في حديث لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر، وعلى هذا فالقصر يحتمل أن يكون حسياً، ويحتمل أن يكون معنوياً.

أما الحسي فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة.

وأما المعنوي فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويشكون ذلك ولا يدرون العلة فيه، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتى أن كثيراً من الناس لا يتوقف في شيء ومهما قدر على تحصيل شيء هجم عليه ولا يبالي، والواقع أن البركة في الزمان والرزق وفي النبت إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر، واجتناب النهي، والشاهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[الأعراف، آية: ٩٦]

القـول السادس: وهـو قول ابن حجـر رحمـه الله واختيـار النـووي تبعاً لعيـاض وغيره ومجمـل هذا القـول أن المـراد من تقارب الزمان: نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وأن اليوم يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحـدة[1] وهذا موافق للقول الخامس. وهو عنـدي أرجح الأقـوال والله أعلم فإنه أظهر وأكثر فائدة وأوفق لبقية الأحاديث.

---

(١) فتح الباري (١٣/١٦ ـ ١٧) كتاب الفتن.

٢٦ ـ غبطة أهل القبور وتمني الرجل أن يكون مكان الميت من شدة البلاء

لقد أخبر المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بأن الساعة لن تقوم، حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت، وذلك من شدة ما يلاقيه من البلاء والمحن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه»(١).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّينُ إلا البلاء»(٢).

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن الحامل للرجل على تمني

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، ومسلم برقم /١٥٧/ في الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٢) رواه مسلم برقم /١٥٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

المـوت ليس التدين والتقـرب إلى الله، وحباً في لقـائه، وإنمـا بسبب البـلاء وكثرة المحن والفتن وسـائر الضراء ـ أعـاذنا الله منها ـ.

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه.

وقال أحدهم شعراً:

وهـذا المـوت مـا لا خـير فيـه ألا مـوت يـبـاع فـاشـتريـه

وفي الأحاديث السالفـة إشارة إلى جـواز تمني الموت تـديناً، ولا ينافي ذلك قوله ﷺ:

«لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابـه، فإن كـان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحيـاة خيراً لي، وتـوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»(١).

لأن ذلك خاص بمـا إذا كان التمني لأمـر دنيوي أو مصيبـة في النفس أو المـال، أما من الخـوف على الـدين لفساد الـزمان فلا يكره، وهذا موافق لما ورد في الدعاء: «وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٥٥) في الدعاء، باب الدعاء بالموت والحياة، ومسلم /٢٦٨٠/ في الذكر والدعاء باب كراهة تمني الموت لضر نزل به.

(٢) قطعة من حديث صحيح أخـرجه أحمـد برقم /٣٤٨٤/ والـترمذي بـرقم /٣٢٣١/ من حديث ابن عباس.

قال ابن عبد البر كما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح: (ظن بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك، وإنما في هذا أن هذا القدر سيكون لشدةٍ تنزل بالناس من فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه، لا لضررٍ ينزل في الجسم)(١).

وقال الحافظ ابن حجر: ويمكن أخذ الحكم من الإشارة في قوله: (وليس به الدين إنما هو البلاء فإنه سيق مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محموداً، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف. قال النووي: لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم. ثم قال القرطبي: كأن في الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشة نفسه وما يتعلق به، ومن ثم عظم قدر العبادة، ويؤخذ من قوله (حتى يمر الرجل بقبر الرجل) ان التمني المذكور وإنما يحصل عند رؤية القبر، وليس ذلك مراداً بل فيه إشارة إلى قوة هذا التمني لأن الذي يتمنى الموت بسبب الشدة التي تحصل عنده قد يذهب ذلك التمني أو يخف عند مشاهدة القبر فيتذكر

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٥) كتاب الفتن.

هول المقام فيضعف تمنيه. فإذا تمادى على ذلـك دل على تـأكد أمـر تلك الشدة عنـده حيث لم يصرفه مـا شاهـده من وحشـة القبر وتذكر ما فيه عن استمراره على تمني الموت) ا. هـ[1].

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٥) كتاب الفتن.

٢٧ ـ المدينة تنفي الخبيث

سيأتي زمان تكثر فيه الفتوحات ويعم الرخاء في معظم أرجاء المعمورة، ويقدر الله أن يبقى في مدينة الرسول ﷺ شدة وقحط وخوف، وذلك ابتلاء وامتحان،فيتسابق ضعاف الإيمان وأصحاب الشرور إلى أماكن الترف والرخاء حيث الفتوحات، ولا يبقى في المدينة إلا الأتقياء الصالحون، الصابرون على موعود الله عز وجل ورسوله ﷺ. ويكون ذلك إيذاناً بقرب الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«سيأتي على الناس زمان يدعو الرجل قريبه وابن عمه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا وإن المدينة كالكير يخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد»**[1].

وعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم /١٣٨١/ في الحج، باب المدينة تنفي شرارها.

«تفتح اليمن، فيأتي قوم يَبُسُّون[1]، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يَبُسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[2].

وعن الزمن الذي تنفي فيه المدينة شرارها تفاوتت أقوال العلماء:

فذهب القاضي عياض إلى أن ذلك مختص بزمن النبي ﷺ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه[3].

وذهب النووي لاستبعاد قول القاضي فقال: ليس هذا بظاهر، لأن عند مسلم: لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة

---

(١) (يَبُسُّون): أي يسوقون بهائمهم سائرين عن المدينة إلى غيرها وأصل الكلمة من البس (بس، بس): وهي كلمة تقال لزجر الإبل وحثها على الإسراع في المشي.

(٢) رواه البخاري (٢/٢٢١) في فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ومسلم برقم /١٣٨٨/ في الحج، باب المترغب في المدينة عند فتح الأمصار، والموطأ (٢/٨٨٧) في الجامع، باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها.

(٣) شرح مسلم للنووي (٩/١٥٤)، وذكره عنه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/٨٨) كتاب فضائل المدينة.

شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد، وهذا والله أعلم في زمن الدجال. انتهى)[1].

وذهب الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى احتمال الزمنين، فقال: ويحتمل أن يكون المراد كلا الزمنين. فكان الأمر في حياته ﷺ كذلك السبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي الآتية والتي ذكرها البخاري رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محموماً فقال: أقلني[2] فأبى - ثلاث مرار - فقال: المدينة كالكير تنفي خبثها ويَنصَع طَيِّبها)[3].

ثم يكون ذلك أيضاً في آخر الزمان عندما ينزل بها الدجال فترجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج. كما ورد في الحديث الذي ذكره البخاري رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق»**[4].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٩/١٥٤) والفتح (٤/٨٨).

(٢) ظاهر طلب الإقالة أنها من الإسلام وهذا ما جزم به عياص، وقال غيره: إنما استقاله من الهجرة وإلا لكان قتله على الردة. انظر الفتح (٤/٩٧).

(٣) الحديث رواه البخاري (٤/٩٦) في فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث. ومعنى الناصع: الخالص، والمراد به: ويظهر طيبها.

(٤) الحديث رواه البخاري (٤/٩٥) في فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث.

وأما بين ذلك من الأزمان فلا، وكذلك من خرج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل في معنى الحديث[1] ا. هـ.

وقال ابن حجر أيضاً: (وفي هذا الحديث فضل المدينة على البلاد المذكورة، وهو أمر مجمع عليه، وفيه دليل على أن بعض البقاعِ أفضل من بعض، ولم يختلف العلماء في أن للمدينة فضلاً على غيرها، وإنما اختلفوا في الأفضلية بينها وبين مكة)[2].

وقال البيضاوي في معنى قوله ﷺ: «**تفتح اليمن فيأتي.. الحديث**» أن المعنى تفتح اليمن فيعجب قوماً بلادها وعيش أهلها فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم وأهليهم حتى يخرجوا من المدينة، والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم رسول الله ﷺ وجواره ومهبط الوحي ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة فيها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها[3].

ومن خلال أقوال العلماء الكثيرة يتضح لنا أن المدينة حرسها الله ستبقى باقية عامرة حتى أيام الدجال ونزول عيسى

---

(١) انظر فتح الباري (٤/٨٨ و٩٣) بتصرف بسيط.
(٢) الفتح (٤/٩٢).
(٣) فتح الباري (٤/٩٢).

عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. وأما خروج الناس من المدينة بالكلية فإن هذا سيكون في آخر الزمان عند خروج النار التي تحشر الناس وتسوقهم من كل جانب إلى محلة الحشر، وأرض المحشر هي الشام. وهذا من آخر أشراط الساعة وأول العلامات الدالة على قيام الساعة، ويومها تصبح المدينة في آخر الزمان غير محمية ولا ممتنعة فتنتابها السباع والوحوش بسبب خلوها من الساكنين كما سنتحدث عنه في بحث خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم إن شاء الله تعالى.

والله أعلم بالصواب.

٢٨ ـ انحسار الفرات عن جبل من ذهب

ومن علامات الساعة انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب يكون فتنة للناس فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يُحْسَرَ الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا أنجو»(١).

وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»(٢).

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم برقم /٢٨٩٤/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

(٢) رواه البخاري ومسلم في نفس المراجع السابقة، ورواه أيضاً أبو داود برقم /٤٣١٣/ في الملاحم، باب في حسر الفرات عن كنز، والترمذي برقم /٢٥٧٢/ في صفة الجنة، باب رقم /٢٦/.

كنت واقفاً مع أبي بن كعب، فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. قلت: أجل، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يوشك الفرات أن ينحسر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال: فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»[1].

وفي معنى انحسار الفرات يقول الإمام النووي رحمه الله: ومعنى انحساره: انكشافه لذهاب مائه، وقد يكون بسبب تحول مجراه، فإن هذا الكنز أو هذا الجبل مطمور بالتراب وهو غير معروف، فإذا ما تحول مجرى النهر لسبب من الأسباب ومرَّ قريباً من هذا الجبل كشفه، والله أعلم بالصواب. ا. هـ[2].

هـذا وإن ما ذهب إليه بعض المعاصرين من أن المراد من الذهب في الحديث هو النفط باطل لا أساس له من الصحة، فلفظ الذهب والكنز، والجبل من الذهب، وتحديد نهر الفرات بالذات.. كل هذا وغيره يؤكد كونه ذلك المعدن المعروف باسم الذهب والذي هو مجال مطامِح أصحاب الحظوظ الدنيوية على مرِّ الدهور.

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٨٩٥/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

(٢) انظر كلام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١٨/٩٨).

وخشيـة الفتنة في طلب الـدنيا. وحـدوث القتـال وسفـك الدماء فقد حذر معلم البشرية صلوات الله عليه وسلامه كـل من حضر انحسار نهر الفرات عن الكنـز، ألا يغتر بـذلك ولا يأخذ من ذلك الحطام الزائل شيئاً.

٢٩ ـ عودة جزيرة العرب مروجاً وانهاراً

ومن أخباره ﷺ عن علامات الساعة، عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً بعدما كانت صحراء قاحلة لا تنبت الكلأ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض، وحتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»(١).

وموضع الشاهد في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ: **«وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»**. حيث تم الكلام على صدر الحديث عند الحديث عن علامة استفاضة المال وإخراج الأرض كنوزها.

وعودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً، إما أنه سيكون بسبب النشاط الزراعي المتزايد في هذه الأيام، وما يقوم به أهل تلك المنطقة من حفر الآبار، وزراعة الأرض بشكل لم يكن معهوداً من قبل. وإما بسبب تغير المناخ بقدرة قادر مما يؤدي إلى تغير في طبيعة الأرض تحيل الصحراء إلى جنات وأنهاراً.

---

(١) رواه مسلم برقم /١٥٧/ في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أنه لا يوجد من يقبلها، والإمام أحمد في مسنده برقم ٨٨١٩.

ومما يؤيد ذلك ما ذكرته في كتابي الآخر (صحيح معجزات النبي ﷺ) حيث ذكرت هناك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وما جرى من معجزته ﷺ في غزوة تبوك من تفجير ماء العين ببركة فضل غسل ماء يديه ووجهه الشريف ﷺ، وتبشيره لمعاذ بأنه إن طالت به حياة سيرى ما هنالك قد ملىء جناناً. وإليك نص الحديث بتمامه:

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشِّراك تبض[1] بشيء من ماء، قال فسألهما رسول الله ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، أو قال غزير، حتى استقى الناس، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد مُلِيء جناناً»**[2].

وها نحن أولاء نرى مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد ملئت أرض تبوك جناناً،

---

(١) (تبض بشيء من ماء): أي تبرق بما يُعلم أن هناك شيء من الماء قليل.
(٢) رواه مسلم برقم (١٥/٤١) كما في شرح مسلم للنووي.

وكـثرت بها البسـاتين والـزراعة بكـل أنـواعهـا حتى أصبحت تصدر كثيراً من أنواع الخضر والفواكه والحبوب، ولحـوم الطير والحيـوان، والبشائـر الكثيرة تنبىء عن انتشـار هـذا الأمـر في معظم أرجاء الجزيرة العربية، وتحقيق مـوعود رسـول الله ﷺ كاملاً غير منقوص.

هذا وقد أشار الشيخ عبد المجيد الـزنداني إلى أن الـزحف الجليدي يتقدم الآن باتجاه جزيرة العـرب، حامـلاً معه الثلوج والأمطار، وهذه سنة من سنن الله في الكون تؤدي إلى إنبـات الزرع وكثرة الخيرات. والله أعلم.

٣٠ ـ صدق رؤيا المؤمن

إن الصدق في الرؤيا للمؤمن علامة على اقتراب الساعة ودنو وقتها، حيث تكون الرؤيا أكثر صدقاً، والمؤمن أكثر تمسكاً وغربة بين الناس، فتكون الرؤيا الصالحة بذلك أنيساً له في غربته، إذ قلما تكذب رؤياه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا اقترب الزمان، لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

وفي رواية أخرى: **«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا، أصدقكم حديثاً. . .»**[(١)].

وإنما كان الأصدق بالرؤيا هو الأصدق بالحديث، لأن من كثر صدقه يتولد عنده صفاء ظاهري وباطني ينور قلبه ويقوي مشاعره وأحاسيسه، فتنتقش فيه المعاني على وجه الصحة، وكذلك من كان غالب حاله الصدق في يقظته استصحب ذلك

---

(١) رواه البخاري (٧٦/٨) في التعبير، باب القيد في المنام، ومسلم برقم /٢٢٦٣/ في الرؤيا، وأبو داود برقم /٥٠٩٩/ في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، والترمذي /٢٢٧١/ في الرؤيا، باب أن الرؤيا جزء من ستة داود بين جزءاً من النبوة.

في نـومه فـلا يرى إلا صـدقاً، وهـذا بخلاف الكـاذب الذي اعتاد الكذب واستمرأه فإنه يفسد قلبه ويغشيـه بالـظلمة فـلا يرى إلا تخليطاً وأوهاماً كما هو حـاله في يقـظته، وهـذا لا يمنع أن يـرى الصادق مـا لا يصح، أو يـرى الكـاذب مـا يصـح، ولكن الأغلب والأكثر هو مـا ذكرنـا. وهو أن صـلاح الظاهـر يؤثر في صلاح الباطن، والعكس بالعكس.

قال الحافظ ابن حجـر في الفتح نقـلاً عن أبي جمرة: ومعنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب لأنها غالباً تقع عـلى الوجـه الذي لا يحتـاج إلى تعبير فـلا يدخلهـا الكـذب، بخلاف ما قبلها فإنها قد يخفي تأويلها فيعبرها العابـر فلا تقـع كما قال فيدخلها الكذب بهذا الاعتبار.

قال أيضاً: والحكمة في اختصاص ذلك بآخـر الزمـان: أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريباً فيقل أنيسه ومعينه في ذلـك الوقت فيكرم بالرؤيا الصادقة. ا. هـ[1].

ولتحـديد الـزمن الذي يقـع فيه صـدق رؤيا المؤمن هنـاك ثلاثة احتمالات والله أعلم:

١ ـ أن ذلـك يقـع إذا قبض العلم ودرست معـالم الشريعـة بسبب الفتن، فيصبـح المؤمن غـريبـاً فيعـوض بـالـرؤيـا الصالحة.

---

(١) انظر فتح الباري (١٢/٤٠٦).

٢ ـ أن ذلـك يقـع في حـال غلبـة الكفـر والجهـل وقلة عـدد المؤمنين، حيث يصبح القـابض على دينـه كالقـابض عـلى الجمر،فهنا يؤنس المؤمن ويعان بالرؤيا الصالحة إكراماً له.

٣ ـ أن ذلـك يقع في زمـان نبي الله عيسى عليـه وعـلى نبينـا أفضل الصلاة والسلام، لأن أهل زمـانه أصلح زمـان في هـذه الأمة بعـد الصدر الأول وخـير القرون، وأصـدقهم أقوالاً، ورؤياهم لا تكاد تكذب.

والله أعلم بالصواب.

٣١ ـ تكليم السباع والجماد للإنسان

ومن الأمارات التي تكون بين يدي الساعة كما أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام: تكليم السباع للإنس، وتكليم النعل والسوط لصاحبه بما يحدث أهله.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ، فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال الراعي: أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ:

«صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله،

ويخبره فخذه بما حدث أهله بعده»[1].

وفي رواية أخرى لأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصَعِدَ الذئب على تلٍ، فأقعى واستثفر[2]، فقال: عَمدْتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم[3]، ذئباً يتكلم! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين، يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهودياً، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ وخبره، فصدقه النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ:

«إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهلُه بعدَه»[4].

---

(١) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٨٣ و ٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٦٧ و ٤٦٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً ابن حيان برقم /٢١٠٩/، وروى الترمذي منه قوله: (والذي نفسي بيده.. الخ)، وقال: حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقه مأمون.

(٢) (استنفر) مصحفة، في الأصل استشفر: أي أدخل ذنبه بين رجليه.

(٣) (تالله إن رأيت كاليوم) تعجباً أي: لم يرَ مثل هذا اليوم، تعجباً مما شاهد وسمع من كلام الذئب.

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/٣٠٦)، وذكره الحافظ ابن كثير في التاريخ =

فتكليم السباع الوحش كالذئب وغيره من الحيوانات المفترسة، وتكليم طرف السوط، أو سيور النعل، أو غيرها من الجمادات، كلها أمارات بين يدي الساعة كما أخبر النبي ﷺ، وقد حدثت علامة تكليم السباع في عهده ﷺ كما في الحديث ولعلها تتكرر ثانية، أما باقي العلامات، وإن لم تحدث بعد، ولكن كل ما هو آت قريب.

= (١٤٤/٦) وقال: تفرد به أحمد، وهو على شرط السنن، ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضاً يشير بذلك إلى الرواية الأولى. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤/٨)، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: في سنده شهر بن حوشب صدوق كثير الأوهام والإرسال كما في التقريب ص ٢٦٩، وقد أشار الشيخ أحمد شاكر إلى صحة إسناده برقم /٨٠٤٩/.

٣٢ ـ سعادة لكع بن لكع

عندما تكثر الفتن وتموج كقطع الليل المظلم، تختل الموازين، فيصبح الحليم حيراناً، حزيناً يخشى على دينه من الفساد، بينما يظهر في المقابل الرجل الرديء الأحمق الذي لا يعرف له أصل وقد أصبح سعيداً لا يأبه بما يجري حوله، فإذا حدث ذلك فاعلم أن الساعة قد اقتربت.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع**»[1].

واللكع عند العرب: العبد، وقيل: هو اللئيم، وقيل: هو الوسخ القذر، وقيل: رديء الحسب والنسب الذي لا يعرف له أصل، ولا يحمد على خلق.

وها نحن أولاء نشاهد أجيالاً قد رفعت رؤوسها في خضم الفتن تلهو وتلعب، غير آبهة بما يجري حولها، والمسلمون يذبحون كالنعاج في كل مكان، والاضطهاد والظلم لا يوصف، والقلب يتفطر دماً، ولكع العرب من المستسلمين يعيش على جماجم الضحايا، ويقبض ثمن الدماء الطاهرة البريئة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٨٩) والترمذي برقم /٢٢١٠/ في الفتن، باب أشراط الساعة، والبيهقي في دلائل النبوة وغيرهم.

٣٣ ـ قتال اليهود

ومن أمارات الساعة وأشراطها قتال المسلمين لليهود، فقد أخبر النبي ﷺ أن الساعة لن تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود ويتسلطون عليهم فيقهرونهم بالقتل، فيلتجىء اليهود للاحتماء خلف الأحجار والأشجار، ولكن الله بعزته وقدرته يجعل الحجر والشجر يتعاطف مع المسلمين تأييداً لهم ونصراً لدين الله، فينطق الحجر والشجر ويخبر المسلم بالنذل المختبىء خلفه من يهود، إلا شجر الغرقد فهو من شجر اليهود ومزروعاتهم خاصة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: «يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**».

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال:

«**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٣٢) في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم برقم=

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله**».

وفي رواية أخرى قال: «**تقتتلون أنتم ويهود، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله**»[1].

هذا ولا يجوز بحق مسلم أن ينكر تكليم الجمادات، أو يؤولها، أو يدعي المجاز في ذلك، فالنصوص واضحة صريحة. ولا شك في قدرة الله على إنطاقها. وقد ذكرت كثيراً من النصوص في تكليم الجمادات للنبي ﷺ في كتابي الآخر (صحيح معجزات النبي ﷺ)، فلتراجع هناك ففيها خير كثير إن شاء الله.

● كلمة أخيرة لا بد منها:

إن المتتبع لأخبار يهود عبر مراحل التاريخ الطويلة يدرك أنهم يمتازون بخصائص نفسية شاذة، كالحقد على البشرية جمعاء، وحب الفتنة، ونشر الفساد، ولعل ذلك يعود إلى عقيدتهم المحرفة التي اخترعها أحبارهم فادعوا أنهم شعب الله

= /٢٩٢٢/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي، انظر المصدر السابق نفسه.

المختار، اختارهم لسيادة العالم، وخلق بقية الشعوب للقيام بخدمتهم وطاعتهم.

وبما أن شعوب الأرض قاطبة أنكرت عليهم ذلك وسلبتهم هذه الخاصية، لذا فهم قد أباحوا لأنفسهم أن يسلكوا كل السبل لاستعادة امتيازهم، فسرقة اليهودي، وزنى اليهودية، والخداع، والفتنة، وما شابه ذلك من المنكرات والمفاسد مباح عندهم ما دام يخدمهم ويساعدهم للوصول إلى تحقيق أغراضهم. فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

هذا وعداء يهود للمسلمين خاصة يتركز منذ أن ظهر نبينا محمد ﷺ حيث عمدوا إلى عدة محاولات من الغدر المشين لاغتياله صلوات الله عليه وسلامه وما ذلك إلا نتيجة الحسد الكمين في صدورهم والانفعال الخسيس والحقد اللئيم على نعمة الاسلام التي عرفوا أنها الحق، وأن وراءها السؤدد والسعادة في الدارين. والسيادة من الله ليس عليهم فقط بل على جميع الناس، ولما شق عليهم أتباع المسلمين تمنوا حرمانهم هذه النعمة، وعملوا على الدس والتشكيك والتخطيط لردة جاهلية جديدة مصطبغة بشتى الأسماء والألقاب من قومية واشتراكية وإباحية وتحرر. إلى جانب المؤامرات الدنيئة بالاغتيالات. فاشتركوا باغتيال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعدها أثاروا الفتنة على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم أذكوا أوار الخلاف بين علي

ومعاوية رضي الله عنهما. وساهموا بخبثهم ومكرهم في القضاء على الخلافة الإسلامية، وإبعاد الإسلام عن الحياة العلمية والعملية، ومن ثم احتلال الأراضي المقدسة في فلسطين. وأجزاء كثيرة من الوطن العربي، وها هم يتداعون من جميع أرجاء العالم للتجمع في فلسطين لمتابعة تحقيق أغراضهم لإقامة حكومة عالمية برئاسة ملك منهم، تمحو القوميات والأديان والحدود.

والسؤال الذي يفرض نفسه: وهل ينجح يهود في مؤامراتهم على العالم؟!

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى أخبر بأن يهود سيعلون في الأرض المقدسة، ويصبح لهم فيها قوة وسلطان، فيفسدون فيها، فيبعث الله عليهم عباداً أولي بطش وقوة فيذيقونهم ويلات القهر والذل، ثم تعود الكرة ويعلو يهود من جديد، ويتكرر الإفساد منهم، فتتكرر سنة الله التي لا تتغير فيسلط عليهم من يشردهم في الأرض ثانية ويدمر مملكتهم. وقد حدث هذا كما ذكر ذلك ابن كثير وغيره من المفسرين.

ولكن سنة الله ماضية فكلما عاد يهود إلى الإفساد في الأرض - وما أكثر عودتهم لذلك - سلط الله عليهم من ينتقم منهم، فعندما أفسدوا وغدروا في جزيرة العرب سلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ولما عادوا مرة أخرى للإفساد في العالم سلط الله عليهم عباداً آخرين أنزلوا

بهم أنواعاً من الاضطهادات والقتل الجماعي . . وهكذا . . وهكذا . .

وأخيراً عادوا إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي سلطها الله على العرب بعدما نسوا ما ذكرهم الله به، وأهملوا واجب الدعوة إلى الله، وتركوا الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ووفقاً لسنة الله التي لا تختلف سوف يسلط الله على يهود بعد هذا الإجرام والإفساد أناساً يحبهم الله ويحبونه، يحكمون شرع الله، ويجاهدون في سبيل الله كل من يقف بجانب الباطل ويؤمن بالطاغوت، سواء كان هذا الطاغوت والجبروت يهودياً أم عربياً، غريباً أم قريباً. ما دام يحاد الله ورسوله.

والمسلم الصادق على ثقة تامة بأن وعد الله سيتحقق، وما هذه الصحوة المباركة للشباب المسلم إلا مؤشر خير لما بشر به معلم البشرية عليه أفضل الصلاة والسلام من قتال يهود والانتصار عليهم بإذن الله، فالساعة لن تقوم حتى يتحقق ذلك كما سبق ذكره في أحاديث الباب. ولكن على يد من وصفه رسول الله ﷺ: المسلم الذي يحقق عبوديته الكاملة لله ويقوم بمقتضاها: يا مسلم يا عبد الله.

ومع كل ما حصل عليه يهود في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام بالمكر والخديعة لا يعتبر في الحقيقة نصراً لهم، وإنما هو تأديب من الله للمفرط في رسالته، والمخالف لوحيه، والرافض المتمرد على ألوهيته سبحانه وتعالى باستباحة ما حرمه، وإيقاظ لمن خدعهم يهود بسلوك هذا المسلك البعيد

عن منهج الله فيتلقون الضربات من اليهود الجبناء ـ هذا من جهة ـ ومن جهة ثانية فإن الله يستدرجهم بهذا النصر المؤقت كي يتجمعوا ويهاجروا من جميع أطراف الأرض كما نشاهده ونلمسه في هذه الأيام إلى أن تستكمل هجرتهم فتأتيهم الضربة، القاصمة القاضية بإذن الله على يد من شاء الله أن يستلم قيادة الأمة من المؤمنين المخلصين.

٣٤ ـ فتنة الأحلاس والدهماء

أخبر النبي المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بأن الدجال لن يظهر ـ وهو من العلامات الكبرى لقيام الساعة ـ حتى يسبق ذلك ثلاث فتن: فتنة مظلمة قاتمة السواد تدوم طويلاً، يذهب فيها الأهل والأموال، وهي فتنة الأحلاس.

وفتنة السرَّاء (النعم) حيث يبتلى الناس بشتى أنواع الخيرات، وغالباً ما تكون الفتنة بالنعمة أضر على دين الناس من الفتنة بالأهل والمال.

وفتنة الدهيماء، التي تدهم الناس بشرورها، وعندما يحصل التمايز والتفاصل، إما إيمان خالص من شوائب الشرك والنفاق، وإما نفاق خالص لا أثر للإيمان فيه، فإذا كانت هذه الفتن الثلاث فليتوقع الناس ظهور الدجال بين عشية وضحاها، نعوذ بالله العظيم من شر فتنة الدجال.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كنّا قعوداً عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس[1]، فقال قائل: يا رسول الله ما فتنة

---

(١) (فتنة الأحلاس): قال الخطابي كما في شرح السنة للبغوي (٢٠٨٥) فتنة =

الأحلاس؟ قال: هي هَرَبٌ وحَرَبٌ[1].

ثم فتنة السَّرَّاء دخناً[2] من تحت قدم رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح النَّاس على رجل كَوَرِكٍ على ضلع[3].

ثم فتنة الدهيماء[4]، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت، تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان، ذلكم، فانتظروا الدجال من يومه، أو مِن غدٍ»[5].

ولمن أراد النجاة من الوقوع في حبائل هذه الفتن وما بعدها

= الأحلاس إنما أُضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، ويحتمل أن يكون شبهه بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها.

(١) (الحَرَب): ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل: إذا سُلب ماله وأهله.

(٢) (دخناً): يريد بذلك أنها تثور كالدخان من تحت قدميه.

(٣) (كورك على ضلع): هو مثل، ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، لأن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، ويريد بذلك في الحديث أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به.

(٤) (الدهمياء)؛ تصغير الدهماء، يريد الذم بتلك الفتنة لشدة شرورها.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٣٣)، وأبو داود برقم /٤٢٤٢/ في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، والحاكم في المستدرك (٤/٤٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

من ظهور الدجال فما عليه إلا التزود بزاد العلم والتقوى، العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفهمهما على فهم السلف الصالح ، فهما العاصم من كل الشرور.

والتزود بزاد التقوى، فالتقوى هي مفتاح الخلاص لنا من كل المزلات والمنقذ من الزيغ والضلال، ومن كل ضيق وكرب. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1] ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[2].

---

(١) آل عمران. ١٠٢

(٢) البقرة آية ١٩٧ / .

٣٥ ـ الفرار بالدين إلى شغف الجبال من شدة الفتن

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال(١) ومواقع القطر(٢) يفر بدينه من الفتن».

وفي رواية أخرى للبخاري رحمه الله، قال عبد الرحمن بن أبي صعصعة: قال لي أبو سعيد: إني أراك تحب الغنم وتتخذها، فأَصْلِحْها واصلح رُعَامها(٣)، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يأتي على الناس زمان تكون الغنم فيه خير مال المسلم، يتبع بها شغف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»(٤).

---

(١) (شغف الجبال): رؤوس الجبال وأعاليها.

(٢) (مواقع القطر): المواضع التي ينزل بها المطر.

(٣) (رعامها): المخاط الذي ينزل من آنف الشاة من داء أصابها.

(٤) رواه البخاري (٨/ ٩٤) في الفتن، باب التعرف في الفتنة، والموطأ (٢/ ٩٧٠) في الاستئذان، باب ما جاء في أمر الغنم، وأبو داود برقم /٤٢٦٧/ في الفتن، باب ما يرخص من البداوة في الفتنة، والنسائي (٨/ ١٢٣) في الإيمان، باب الفرار بالدين من الفتن.

فمما لا شك فيه أن رأس مال المسلم دينه، ففي الدين عصمته في أموره كلها، وفيه سعادته في الدارين، الدنيا والآخرة، ولذا كانت الفتنة والمصيبة في الدين هي أعظم الفتن وأشدها، وكل مصيبة دون الدين تهون، ومن أجل هذا كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام يقول في دعائه: **«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري. . الخ الدعاء»** [1].

وكان يقول أيضاً: «. . اللهم ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا. .»[2].

وفي حديث الباب إشارة إلى فضيلة العزلة لمن خاف على دينه من الفتنة، وجواز الهروب إلى أعالي الجبال، ومعه أبرك مالٍ (الغنم). إلا أن السلف رضي الله عنهم قد اختلفوا في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الاسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك، وقال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة بشرط معرفة ما يتعين، وقال النووي رحمه الله: المختار تفضيل

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٧٢٠/ في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، وهو جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي برقم /٣٤٩٧/ في الدعوات، باب رقم (٨٣) وحسنه، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أن يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى، وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح، وأما إذا تساويا فيختلف باختلاف الأشخاص. فمن كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه المخالطة، وكذلك من يترجح في ظنه أنه يسلم نفسه إذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما من كانت الفتنة سبباً في وقوعه في المحذور أو غلب على ظنه ذلك فالعزلة بحقه أولى. والله أعلم[1].

---

(١) بتصرف بسيط من كلام الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٤٣).

٣٦ ـ رفض السنة النبوية

ومن علامات الساعة التي أخبرنا عنها مربي البشرية وهاديها إلى كل خير، ومحذرها من كل شر ﷺ: ظهور أناس يدَّعون أنهم قرآنيون يهتدون بهدي القرآن فقط، ويرفضون السنة النبوية، ولا يحتجون بها، ولا يعتبرونها أصلاً يرجع إليه زاعمين أنهم متبعون للقرآن الكريم لأنه متواتر الوصول إلينا، وأما السنة فإنما وصلت عن طريق الآحاد وهو لا يفيد إلا الظن في الحكم. أو أنها في بعض النصوص تخالف العقل والعلم.

وقد جهل هؤلاء، أو تجاهلوا، بأنه من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة، من أمور غيبية اعتقادية، أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (السنة إذا ثبتت، فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها)[١].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٥).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]. يقول: أجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد مماته واتفقوا على أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علماً ولا يقيناً لم يكن للرد إليه وجه)[2].

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله: (قد شاع فاشياً عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد، من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول)[3].

وقال ابن أبي العز: خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»[4].

وهذا هو المنقول والمحفوظ من أقوال السلف الصالح كالإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهم لم يفرقوا بين خبر

---

(١) سورة النساء، الآية /٥٩/.
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٥٢).
(٣) فتح الباري (١٣/٢٣٤).
(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الألباني ص ٣٩٩.

الـواحد وبـين الخبر المتـواتـر سـواء كـان ذلـك في العقيـدة أو الأحكام العملية[1].

وبذلك نعلم أن هؤلاء النفر الذين يرفضون السنـة النبويـة المطهرة، إنما يريـدون بذلـك رفض الإسلام كله بـالبعد عن أحكامه وتشريعاته، وما دعوتهم لـلاهتداء بهـدي القرآن فقط إلا سبيـلاً لتحقيق أغراضهم الخبيثـة الماكـرة ليتـأولـوا القـرآن الكريم كما يشاؤون حسب ميولهم وأهوائهم.

ومن أجل هذا فقد حذرنا معلم البشرية ﷺ من خطر هذه النوعية من الناس لنكون على بينة من الأمـر، فلا نخـدع بمثل هذه الدعوات الخطيرة الضالة عن المنهـج الصحيح، والشـاذة عن إجماع الأمة.

ففي الحـديث الصحيح عن المقـدام بن معد يكـرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن يقعـد الرجـل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقـول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللنـاه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**».

وفي رواية أخرى:

---

(١) لمزيد من الاطلاع راجع إن شئت رسالة وجوب الأخذ بحـديث الأحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، لشيخنا الألباني حفظه الله تعالى.

«ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة[1] معاهد[2]، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه[3]، فإن لم يُقْروه، فله أن يعقبَهُمْ[4] بمثل قِراهُ»[5].

ومن حديث أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا ألفينَّ[6] أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[7].

---

(١) (اللقطة): هي ما يوجد في الأرض مرمياً لا يعرف له صاحب.

(٢) (المعاهد): كل من كان بينه وبين المسلمين معاقدة وموادعة ومهادنة، فلا يجوز أن تتملك لقطته، لأنه معصوم المال، يجري حكمه مجرى حكم الذمي.

(٣) (يقروه): ايقرى: كل ما يعد للضيف النازل من النزل إكراماً له.

(٤) (يعقبهم): أي يأخذ منهم ويغنم من أموالهم بقدر قراه.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/١٣٠) وأبو داود برقم /٤٦٠٤/ في السنة، باب الزر) السنة، والترمذي برقم /٢٦٦٦/ في العمل، باب رقم (٦٠)، وابن ماجة في المقدمة رقم (١٢)، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والحاكم (١/١٠٩) وابن حبان برقم (١١) وسنده صحيح.

(٦) (لا ألفين): ألفيت الشيء ألفيه: إذا وجدته وصادفته.

(٧) نفس المصادر السابقة.

وقد ظهرت هذه الفئة من الناس في فترات، وهي الآن أكثر وضوحاً، وبالوصف الذي وصفه رسول الله ﷺ لرافضي السنة، حيث وصفهم بالشبع والجلوس على الآرائك، وهذه صفة أصحاب الترفُه والدّعة من الحكام ومن شاكلهم فمن لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه. فوقعوا في هذا الجهل المركب لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فإنهم لوفقهوا كتاب الله لعلموا أن فيه وجوب طاعة رسوله واتباع سنته، وأن من أوحى له بالكتاب جل شأنه أوحى له بالسنة ليبين ما في الكتاب، فيعم ويخص، ويزيد عليه، ويشرع ما ليس فيه، فيكون وجوب العمل بالسنة وقبولها مثل ما يتوجب من القرآن الكريم. كما جاء ذلك مصرحاً فيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض».

فاللهم ارزقنا العصمة من الانحراف والضلال بالتمسك بكتابك وسنة نبيك ﷺ.

٣٧ ـ تغير الزمان حتى تعبد الاوثان ويظهر الشرك في الامة

من علامات الساعة أن يعود الإسلام ضعيفاً، ويصبح غريباً كما بدأ، فترتد قبائل عن الإسلام، ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فتطوف نساؤهم بذي الخلصة، فترتج أردافهن من شدة السعي. وذلك فعلهم في الجاهلية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تقوم الساعة حتى تضطرب آلَيَّاتُ نساء دوسٍ حول ذي الخَلَصَةِ، وذو الخلصة: طاغية دوسٍ التي كانوا يعبدون في الجاهلية».

وفي رواية: وذو الخلصة: صنم كان يعبده دوس في الجاهلية بتَبَالَةَ[1]»[2].

---

(١) (تبالة): بفتح التاء وتخفيف الباء: هي تأنيث قرية تقع بين الطائف واليمن بينهما ستة أيام، وليست التي يضرب بها المثل، فيقال: أهون من تبالة على الحجاج، لأن تلك **بالطائف**.

(٢) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب تغير الزمان حتى نعبد الأوثان، ومسلم برقم /٢٩٠٦/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«. . . ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»(١).

والمراد من الأحاديث والله أعلم أن الزمان سوف يتغير حتى يصل الأمر إلى الكفر والعودة إلى الجاهلية الجهلاء بمعتقداتها الضالة وأعمالها المنحرفة التي لا يقبلها عقل ولا فطرة.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن عبادة الأصنام لا تتمثل فقط في صورة عبادة الجاهلية الأولى لأوثانها من الحجارة أو الأشجار أو الحيوان وغير ذلك، فصور الشرك كثيرة لا نهاية لها ولا بد للمسلم من التعرف عليها في كل صورها القديمة والحديثة، فالصنم ليس من الضروري أن يتمثل في حجر أو خشبة، إنما يكون الصنم مذهباً أو شعاراً.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (إن الشرك المخالف لشهادة أن لا إله إلا الله يتمثل في كل وضع وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شؤون الحياة خالصة لله وحده.

(١) رواه أبو داود برقم /٤٢٥٢/ في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، والترمذي برقم /٢١٧٧/ في الفتن، باب سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته، وقال هذا حديث صحيح، وهو جزء من حديث طويل، أصله عند الإمام مسلم بدون هذه الزيادة برقم /٢٨٨٩/ في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

ويكفي أن يدين العبد لله في جانب من جوانب حياته، بينما هو يدين في جوانب أخرى لغير الله، حتى تتحقق صورة الشرك وحقيقته..).

ويقول أيضاً: إن العبد الذي يتوجه إلى الله بالاعتقاد ويدين لله في الوضوء والطهارة والصلاة والصوم والحج وسائر الشعائر، بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع من عند غير الله.. ويدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته لأرباب من البشر تفرض عليه هذه الأخلاق والتقاليد والعادات والأزياء فإن هذا العبد يزاول الشرك في أخص حقيقتها..).

ويقول رحمه الله: (والذين يظنون أنفسهم في دين الله لأنهم يقولون بأفواههم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدينون فعلاً لله في الشعائر والزواج والميراث.. بينما هم يدينون وراء ذلك ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله - فهؤلاء أرادوا أو لم يريدوا فإنما هم يحققون ما تطلبه منهم الأصنام الجديدة..)[1].

وهكذا نجد أن عبادة الأوثان والوقوع في الشرك يتمثل ابتداء في تحكيم أرباب من دون الله سواء كان ذلك في

---

(١) مقتطفات من كتاب طريق الدعوة في ظلال القرآن جمع أحمد فائز (١/ ٢٨ - ٣٠).

الشعائر أو الشرائع، وأهل الكتاب لم يعبدوا الأحبار والرهبان ولكنهم اتبعوا منهجهم في التحليل والتحريم فسماهم الله عباداً لهم وسماهم مشركين.

ومع أننا نشاهد الآن ردة كبيرة، وجاهلية حديثة تتمثل في عبادة أشخاص، الأصنام أطهر منهم، إلا أن هذا ليس هو المراد من الحديث الأول وإنما المراد يخص العودة لعبادة أصنام كانت لدوس وكانوا يعظمونها، فيعود الأمر كما كان، وتعود نساؤهم (أي نساء دوس) لفعل أسلافهم في الجاهلية من الطواف حول الصنم المذكور، والذي كان يمثل طاغية دوس، وما أكثر أصنام الطغاة في هذه الأيام!! نعوذ بالله من سخطه وعقابه.

٣٨ ـ خروج رجل من قحطان تدين له الناس

ومما أخبرنا عنه نبينا محمد ﷺ من أخبار الساعة وأشراطها وعلاماتها خروج رجل شديد ينقاد له الناس، من كثرة خشونته عليهم، وتعسفه بهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»(١).

والمراد من قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: (يسوق الناس بعصاه) أي: يغلب على الناس فينقادون له بالطاعة، ولفظ العصا يدل على خشونته عليهم، وعسفه بهم. وقيل إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (يسوق الناس بعصاه: كناية عن استقامة الناس، وانقيادهم إليه، واتفاقهم عليه، ولم يُرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له، واستيلائه

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٠) في الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، وفي الأنبياء، باب ذكر قحطان، ومسلم برقم /٢٩١٠/ في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

عليهم، إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعنفه بهم)[1].

ويقول أيضاً رحمه الله: ولعله جهجاه المذكور في الحديث الآخر، وأصل الجهجاه الصياح، وهي صفة تناسب ذكر العصا[2].

ويقصد بالحديث الآخر قوله ﷺ:

«لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له الجهجاه»[3].

وقد ردَّ القول باحتمال كونه الجهجاه الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح حيث يقول: ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان فإن ظاهره من الأحرار، وتقييده في جهجاه بأنه من الموالي[4].

هذا وإن إيراد البخاري رحمه الله الحديث في باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، إشارة إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان، والله أعلم.

وأما عن وجود أشخاص متعسفين ظلمة يقودون الناس قسراً كما تساق الإبل فحدث عنه ولا حرج، فمعظم حكام العرب من هذا النوع، والشعوب العربية أصبحت مذللة لهم أكثر من الماشية، وهم أكثر تذللاً لأسيادهم الكفرة من أهل الشرق والغرب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١ و٢) انظر التذكرة للقرطبي ص ٦٣٥، وفتح الباري (١٣/ ٧٨).

(٣) رواه مسلم برقم /٢٩١١/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٤) أنظر فتح الباري (١٣/ ٧٧ و٧٨).

٣٩ - تداعي الأمم على الأمة الاسلامية

ومن علامات الساعة التي أخبرنا عنها نبينا محمد ﷺ: تكالب أعداء الإسلام من أمم الشرق والغرب على بلاد المسلمين للقضاء على أي شكل من أشكال القوة عند المسلمين، وللقضاء على كل أثر للصحوة الإسلامية لأنها العائق الوحيد الذي يقف في طريق أطماع الأمم في الاستعمار واستنزاف خيرات الأمة الإسلامية.

ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٨) وسنده قوي، رجاله كلهم ثقات، ورواه أيضاً أبو داود برقم /٤٢٩٧/ في الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، ولكن في سنده مجهول، ولكنه يتقوى بالمتابعة كما عند أحمد. =

وبالنظر في أحداث التاريخ يُلاحَظُ وقوع هذا الأمر عدة مرات: فكان ذلك مرة بتداعي الأمم الصليبية الماكرة، وكان ذلك مرة أخرى عند اجتياح التتار للعالم الإسلامي، وكان ذلك عند تآمر الأمم قاطبة على إسقاط الخلافة الإسلامية، وتقاسم ديار المسلمين فيما بينهم.

وفي هذه الأيام العصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية نجد الصورة أوضح ما تكون، فأمم الأرض قاطبة من الشرق والغرب تتابع على ديار المسلمين يدعو بعضها بعضاً فتجيب دون تردد، مما يدل على أن هناك مخططاً قديماً قد حِيك منذ سنوات عديدة من أجل هذه الهجمة الشرسة على أمة الاسلام، لامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال شعوبها.

وللسائل عن أسباب هذا التداعي يبين لنا معلم البشرية ﷺ بأن ذلك ليس بسبب قلة العدد، فالمسلمون كثرة، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، فالعبرة ليست بالكم، ولكنها بالكيف، فالسبب الأساسي: هو ضعف الروح عند المسلمين، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والانهزام الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله لبني الإنسان، فتكونت عندها قابلية

= والحديث ذكره شيخنا الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة برقم /٩٥٨/.

الاستذلال والخضوع، وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطواغيت في إذلال الشعوب.

وللسائل عن أسباب هذه الهزيمة الداخلية، يجيب رسول الله ﷺ أن السرَّ يكمن في حب الدنيا وكراهية الموت.

وها نحن أولاء نشاهد أن الناس في الأمة قد ركنوا إلى الدنيا وملذاتها، وانهمكوا فيها حتى أصبحت أكبر همهم، فشغلت قلوبهم وفكرهم وأبدانهم في الحصول عليها غير مبالين بطريقة جمع المال، أمن حلال أم من حرام؟ ولا بكيفية انفاقه، وكأن الناس قد خلقوا للخلود في الدنيا، وتناسوا ذكر الآخرة دار الخلود والنعيم المقيم، وتناسوا الموت وخافوه حتى لا يفوت عليهم فرصة الاستقرار والاستمتاع بالحياة الدنيا.
ونحن لا ننكر أن حب الدنيا وكراهة الموت أمر فطري في النفس الإنسانية، ولكن العقيدة الإسلامية تهذب كل هذا، وتصوغ صاحبها صياغة أخرى تحمله على البذل والعطاء، والأقدام للجهاد في سبيل الله غير مبالٍ برزق، ولا خائف من الموت، فإن الأرزاق والأجال بيد الله، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، والمنية تدرك الإنسان في فراشه وساحة الجهاد لا تنقص في عمر الإنسان، وليست مكاناً لقبض الأرواح، ولكنه البعد عن العقيدة وضعف الإيمان هو الذي يولد حب الدنيا وكراهية الموت التي تجعل الأعداء يطمعون في البلاد والعباد.

وثمة سبب آخر في هذا التداعي من الأمم علينا وأطماعها فينا، ألا وهو حالة التفرق والتمزق والتشرذم التي تعيشها أمة الإسلام اليوم، وعيون أعداء الله ترصد ذلك بعين فرحة وقلوب ترقص طرباً وهي تشاهد أمة الإسلام تدمر نفسها بنفسها، وأصبح بأسها بينها **شديداً**، عندما تخلت عن الاعتصام بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وأصبحت بذلك لقمة سائغة لكل طامع. والله المستعان.

٤٠ ـ قطع المال والغذاء عن العراق وغيرها من بلاد الإسلام

ومن علامات الساعة في آخر الزمان وأشراطها استيلاء العجم والروم على البلاد، أو يحاصرونها سياسياً واقتصادياً، فيمنعون عنها المال والغذاء لإجبارها على الخضوع لإرادتها وسيطرتها على البلاد والعباد، والتحكم في أرزاقهم ومعاشهم، وسلب ما عندهم من الخيرات، كالبترول وغيره مما أنعم الله به على هذه البلاد.

فعن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يُجْبَى إليهم قفيز[1] ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: مِن قِبَلِ العجم يمنعون ذاك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجْبَى إليهم دينار ولا مُدْي[2]. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم. ثم أسكت هنية ثم قال: قال رسول الله ﷺ:

«يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً».

---

(١) (القفيز) مكيال معروف لأهل العراق. قال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف وهو خمس كيلجات.

(٢) (المدي): مكيال معروف لأهل الشام، قال العلماء: يسع خمس عشر مكوكاً.

قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: «أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا»[1].

يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث: وفي معنى منعت العراق وغيرها قولان مشهوران:

أحدهما: لإسلامهم (أي الروم والعجم) فتسقط عنهم الجزية، وهذا قد وُجد.

الثاني: وهو الأشهر: أن معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وهذا قد وُجِد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود[2].

قلت: لا يعني من قوله أنه قد وُجِدَ في زمانهم أن ذلك لا يتكرر، فإن من أشراط الساعة ما يتكرر أكثر من مرة، كما في حديث تداعي الأمم على الأمة الإسلامية فقد حدث هذا أكثر من مرة في تاريخ الأمة، وهو يحدث الآن بشكل أوسع وأوضح.

وقيل لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون ما لزمهم من

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩١٣/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من شدة البلاء.
(٢) انظر كلام النووي رحمه الله على شرح مسلم (١٨/ ٢٠ و ٢١).

الزكاة وغيرها، وقيـل معناه: أن الكفـار الذين عليهم الجـزية تقوي شوكتهم في آخر الزمـان فيمتنعون ممـا كانـوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك. والله أعلم بالمراد.

٤١ ـ فضل الروم وكثرتهم

لقد أخبر المصطفى ﷺ بأن الروم عند قيام الساعة **يكونون** من أكثر الناس، كما ورد في الحديث الصحيح عند مسلم من حديث المستورد القرشي رضي الله عنه قال عند **عمرو بن** العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**».

فقال له عمرو بن العاص رضي الله عنه: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك، إنَّ فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحْلَمُ الناس عند فتنة. وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّة بعد فرَّة. وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف. وخامسة حسنة جميلة: وأمنعُهُم من ظلم الملوك»[1].

ففي الحديث إشارة واضحة إلى أن الروم تكون من أكثر الناس عدداً عند قيام الساعة، كما فيه إشارة لفضل الروم وما يتحلون به من صفات طيبة، وخلق كريم، وسلوك قويم، ولا شك أن هذه الصفات هي أحد الأسباب الرئيسة التي

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم /٢٨٩٨/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة والروم أكثر الناس.

ساهمت على بقائهم، وحافظت على وجودهم، وبالتالي كثرتهم.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا(1)

ومعنى أحلم الناس عند فتنة: أي أعقلهم وأفطنهم بمعالجة الفتنة بروية للخروج منها، فلا تطيش عقولهم ولا يقعون في الحيرة.

ومعنى أسرعهم إفاقة بعد مصيبة: أي سرعتهم في العودة إلى حالتهم الطبيعية الأولى قبل وقوع المصيبة بهم.

ومعنى أو شكهم كرَّة بعد فرَّة: أي أنهم أسرع الناس إقداماً في الحرب وإكراراً على العدو إن حصل لهم في بعض المواقع فراراً.

ومعنى خيرهم لمسكين ويتيم وضعيف: أي أنهم خير الناس وأفضلهم في معاملة المساكين والأيتام والضعفاء، والقيام على مصالحهم.

وأخيراً أقول: وهذا يدل ـ والله أعلم ـ أن الروم سيسلمون في آخر الزمان لأن هذه الصفات قلما توجد إلا في أصحاب الإيمان الصادق، ودليلي على ما أقول قوله ﷺ:

---

(1) قائل البيت: الشاعر أحمد شوقي رحمه الله.

«والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء»[1].

يعني فارس والروم.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٦/٦٣) في تفسير سورة الجمعة، باب قول الله تعالى: ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾، ومسلم برقم /٢٥٤٦/ في فضائل الصحابة، باب فضل فارس، والترمذي برقم /٣٩٢٩/ في المناقب، باب في فضل العجم.

٤٢ ـ فتح القسطنطينية وروما

ومن علامات قرب الساعة فتح القسطنطينية وروما كما أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[1] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منّا نقاتلهم، فيقول المسلمون، لا والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله. ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية..»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) (الإعماق ودابق): موضعان بالشام، بقرب مدينة حلب.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٨٩٧/ في الفتن، باب **فتح قسطنطينية** ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

«مدينة هرقل تفتح أولاً: يعني القسطنطينية»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«سمعتم بمدينة جانبٌ منها في البر، وجانبٌ منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[2].**

ذكر الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم قول القاضي عياض في المدينة التي بعضها في البر وبعضها في البحر (يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، قال: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم من بني إسحاق، قال: وقال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه

---

(١) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٧٦) والحاكم في المستدرك (٤/٥٥٥) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه مسلم (١٨/٤٣) كما في شرح النووي.

الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية)[1].

وقد استدل كثير من العلماء من هذا الحديث على أن الروم يسلمون في آخر الزمان وأنهم يساهمون مع الجيش الإسلامي في فتح القسطنطينية، ولعل في حديثنا عن فضل الروم ما يؤكد ذلك والله أعلم.

وفتح القسطنطينية المراد بالحديث ما يكون بغير قتال، والسلاح في ذلك: هو التكبير والتهليل، وأما ما جرى من فتح على يد الترك وغيرهم لها فإنما كان بالقتال، وهذا الفتح الجهادي القتالي يعتبر تمهيداً للفتح الأعظم، وخروج القسطنطينية من أيدي المسلمين بعد هدم الخلافة الإسلامية يؤكد عودة الفتح إن شاء الله تعالى، وإليك التفصيل في الفتح التركي للقسطنطينية:

«فحين قامت دولة العثمانيين، وكانوا من أشد الناس حماساً للإسلام، حيث تجاوز نفوذهم آسيا الصغرى، وعبروا بحر مرمرة، وأرسوا حكمهم شرقي أوروبا، فقد سيطرت عليهم بواعث الجهاد في سبيل الله، وإعزاز دينه، والرغبة في الشهادة، فتطلعوا آنذاك إلى القسطنطينية ـ (المدينة العظمى معقل النصرانية) ـ فآلوا على أنفسهم إعزازاً لدين الله أن

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي (١٨ / ٤٤).

يمضوا قدماً لتحقيق هدفهم بقيادة البطل المسلم (محمد الثاني) السلطان العثماني الذي نظم جيوشه، وأحكم خطته وحاصر أسوار القسطنطينية براً وبحراً، وهي ترمي بحممها ليل نهار واحداً وخمسين يوماً، إلى أن أعانهم الله على فتحها، وصدع بالآذان لأول مرة في الكنيسة العظيمة ذات التاريخ العريق (سالت صوفيا) وأصبحت مسجداً جامعاً ما زال يعرف حتى اليوم بجامع (أيا صوفيا)، وكان ذلك الفتح في ٢٠ جمادى الأول عام ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م، وأصبحت القسطنطينية عاصمة للدولة الاسلامية وأخذت إسماً إسلامياً هو (إسلام بول) أي عاصمة الإسلام، الذي تحول في النطق التركي إلى (استانبول).

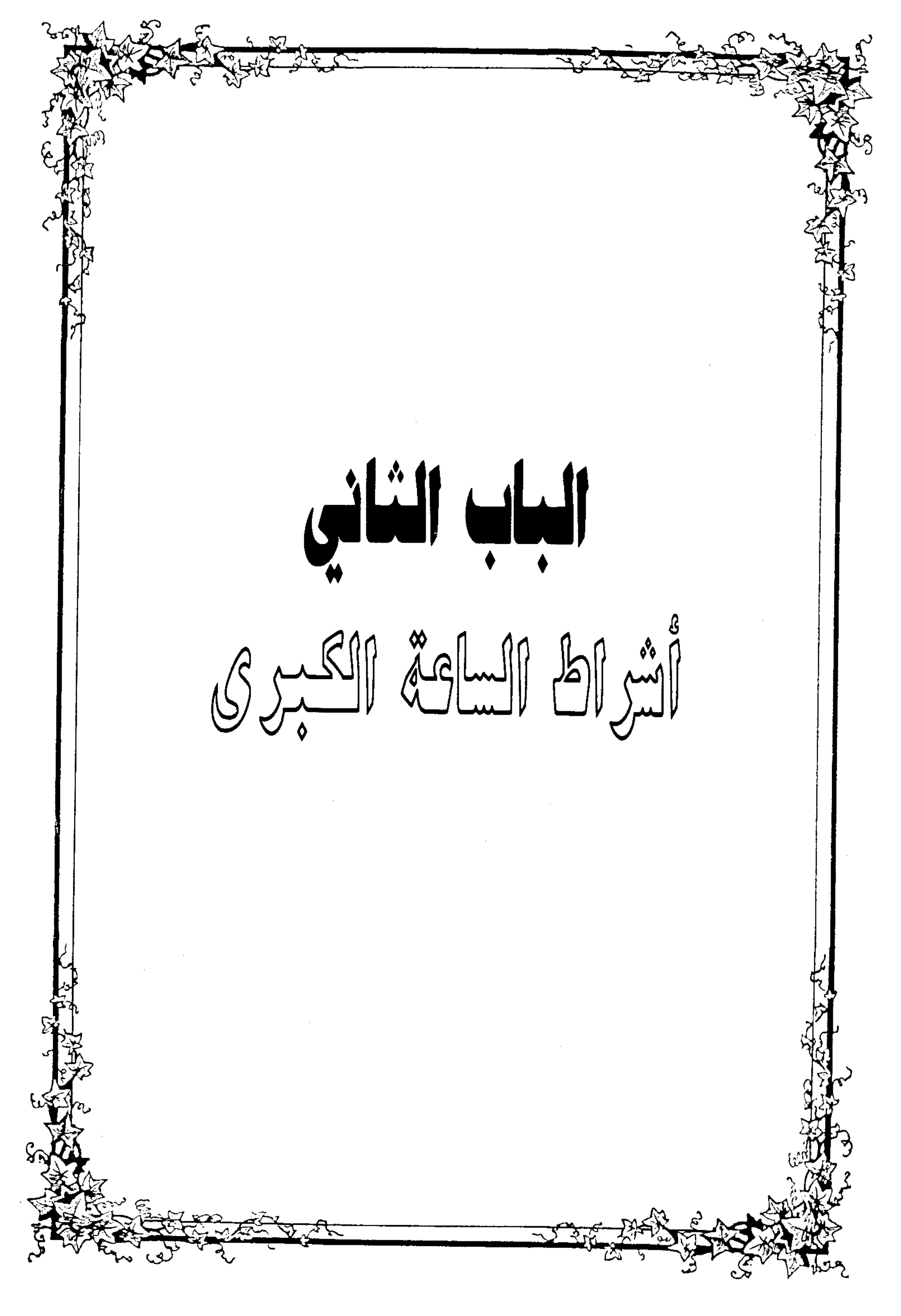
ونال البطل المجاهد محمد الفاتح وجنوده البواسل البشارة الكريمة من رسول الله ﷺ حيث قال: «لتفتحن القُسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[1].

وعندما حلَّ الضعف في عقيدة المسلمين وابتعدوا عن مصدر عزتهم وقوتهم وانشغلت قلوبهم وفكرهم بملذات الدنيا ونعيمها سقطت الخلافة الإسلامية، وأضاعت الأمة جهود وجهاد البطل محمد الفاتح، وعادت القسطنطينية تحت سيطرة

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٣٥) والحاكم في المستدرك (٤/٤٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الحكومة التركية العلمانية الكافرة، نسأل الله تعالى أن يهيىء لأمة الإسلام قائداً ربانياً يقودها بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيعيد الأمجاد والعزة ويتحقق ما بشر به رسول الله ﷺ.



الباب الثاني

أشراط الساعة الكبرى

١ ـ خروج المهدي

إن من أول أشراط الساعة الكبرى وعلاماتها العظمى ظهور المهدي، يلي أمر هذه الأمة، ويجدد لها دينها، فيحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الناس، لا يترك سنة من سنن الإسلام إلا أقامها، ولا يدع بدعة إلا رفعها، وتنعم الأمة بأسرها في زمانه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط، هذا وخروج المهدي عند العلماء وأهل السنة والجماعة حقيقة ثابتة بالنصوص الصحيحة.

وها أنا أستعرض مع القارىء الكريم ما ورد في شأن المهدي مما تدعو إليه الحاجة مثل: اسمه، واسم أبيه، ونسبه، وشيئاً من سيرته، مع ذكر الأحاديث الصحيحة التي تدل على ظهوره، وبالله التوفيق.

● اسمه واسم أبيه:

لقد ورد في السنة الصحيحة أن اسم المهدي واسم أبيه، يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض... الحديث».

وفي رواية أخرى: «**لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي**».

وفي رواية أخرى: «**يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي. قال: وقال أبو هريرة: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي**»(١).

وهكذا فاسم المهدي (محمد)، واسم أبيه (عبد الله).

● نسب المهدي:

وأما نسب المهدي فلا شك أيضاً أنه من أهل بيت رسول

---

(١) رواه أبو داود برقم /٤٢٨٢/ في المهدي في أول الكتاب، والترمذي برقم /٢٢٣١ و٢٢٣٢/ في الفتن، باب ما جاء في المهدي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وذكر الحديث شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في منهاج السنة (٤/٢١١) وأشار إلى صحته، وذكره أيضاً شيخنا الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة برقم /١٥٢٩/ ص ٤١.

الله ﷺ، فالروايات الكثيرة تنطق أنه من ولد فاطمة البتول، ابنة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام. رضي الله عنها وعن أولادها الطاهرين.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»(٢).

وقوله ﷺ في كل الروايات السابقة عند الكلام عن نسب المهدي:

«.. ثم يخرج رجل من عترتي، أو من أهل بيتي.. الأحاديث»(٣).

---

(١) حديث حسن، رواه أبو داود برقم /٤٢٨٤/ في المهدي، وابن ماجة برقم /٤١٣٥/ في الفتن، باب خروج المهدي، والحاكم في المستدرك (٤١/٥٥٧).

(٢) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (١/٨٤) وابن ماجة برقم /٤١٣٦/ في الفتن، باب خروج المهدي. ومعنى يصلحه الله في ليلة كما ورد عن ابن كثير في شرع السندي: أي يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بقدر لم يكن..

(٣) سبق تخريج هذه الروايات في الفقرة السابقة.

فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ من ولد فاطمة الزهراء، وهذا ما عليه جماهير الأمة، فلا يسوغ العدول عنه ولا الالتفات إلى غيره من الأحاديث الضعيفة الموضوعة لأغراض وأهواء خاصة.

● صفات المهدي وأعماله الدالة عليه:

من صفات المهدي الواردة في السنة أنه خفيف شعر النزعتين عن الصدغين، إذ قد ذهب شعر رأسه إلى نصفه، ومن صفاته أيضاً: أنه طويل الأنف، دقيق عند أرنبته، مع حدب في وسطه، كما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«المهدي مني، أجلى الجبهة[1]، أقنى الأنف[2]، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين»[3].

ومن الأمور الدالة عليه، أنه يخرج في زمان ساد فيه الجور والظلم، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة، حيث يسقيه الله

---

(١) (أجلى الجبهة): إذا ذهب شعر الرأس إلى منتصفه.

(٢) (أقنى الأنفق): أي طويلة، ودقيقة عند أرنبته مع انحناء في وسطه.

(٣) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد في المسند (١٧/٣) وأبو داود برقم /٤٢٨٥/ في المهدي. والحاكم (٥٥٧/٤)، وقد أشار الشيخ الألباني إلى صحته في تخريج المشكاة برقم /٥٤٥٤/.

الغيث فتمطر السماء كثيراً لا تدخر شيئاً من قطرها، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عن الناس شيئاً من نباتها، وتكثر المواشي بسبب الخيرات، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً، أو ثمانياً، يعني حججاً»(١).

● زمن خروج المهدي، ومكانه، ومدة مكثه في الأرض

ليست هناك روايات صحيحة صريحة تدل على مكان خروجه، أو الزمن الذي يخرج فيه، ولكن استأنس أهل العلم في بيان ذلك من مفهوم بعض الروايات وإن لم تكن قطعية.

فقال الحافظ ابن كثير في الفتن والملاحم: (يكون ذلك في

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٥٥٧ ـ ٥٥٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث أورده الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٧١١/ وقال: هذا سند صحيح رجاله ثقات.

آخر الزمان، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الروافض من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان وهوس شديد من الشيطان. .)[1].

ويقول أيضاً في نفس المصدر: (وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث)[2].

وإلى القارىء الكريم بعض الروايات التي يستأنس بها في هذا الموضوع.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[3].

---

(١) انظر كلام الحافظ ابن كثير في الفتن والملاحم (١/٥٥).

(٢) نفس المصدر السابق (١/٤٩).

(٣) رواه مسلم برقم /١٥٦/ في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

فمن الملاحظ في هذه الرواية عدم تعيين اسم الأمير الذي يصلي إماماً حتى بالنبي عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

ولكن هناك رواية أوردها ابن القيم رحمه الله في المنار المنيف بلفظ: فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا... إلى آخر الحديث» ثم قال ابن القيم رحمه الله بعد أن أورد الحديث: وهذا إسناد جيد.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[1].

وعن حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«سيعوذ بهذا البيت ـ يعني الكعبة ـ قوم ليس لهم منعة ولا عدد ولا عدة، يبعث إليهم جيش. حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم»[2].

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٨٨٢/ في الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والترمذي برقم /٢٢٧٢/ في الفتن، باب رقم (١٠).

(٢) رواه مسلم برقم /٢٨٨٣/ في الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والنسائي (٥/٢٠٧) في الحج، باب حرمة الحرم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟؟ فقال: العجب أن ناساً من أمتي يؤمون هذا البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد تجمع الناس، فقال: نعم، فيهم المستبصر(١)، والمجبور(٢)، وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى(٣) يبعثهم الله عز وجل على نياتهم»(٤).

ففي هذه الروايات الثلاث عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً، إشارة صريحة للعائذ بالبيت وأنه من قريش، وأنه يؤيد بنصر الله، فيهلك الله أعداءه بالخسف، ولكن هل هو نفسه (المهدي) المصرح باسمه في الأحاديث الصحيحة السابقة؟ لا يوجد دليل قطعي في ذلك، والله أعلم.

وقد ورد أيضاً في الأحاديث الصحيحة ذكر خليفة يكثر الخير في زمانه حتى أنه يحثو المال حثواً ولا يعده عدداً ويعطيه

---

(١) (المستبصر): المستبين للشيء.

(٢) (المجبور): أي المقهور على الخروج دون إرادته.

(٣) (مصادر شتى): أي يهلكون جميعهم، ولكن مصادرهم عن الهلكة متفرقة، فمنهم إلى **الجنة**، ومنهم إلى النار على قدر أعمالهم ونياتهم.

(٤) رواه البخاري (٣/١٩) في البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ومسلم برقم /٢٨٨٤/ في الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

للناس بدون عدد، ولكن الروايات هنا أيضاً لم تحدد اسم هذا الخليفة.

فعن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان، يحثو المال ولا يعده».

وفي رواية **«يعطي الناس بغير عدد»**.

وفي رواية **«يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثواً»**(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج خليفة من بني هاشم فيأتي مكة فيستخرجه الناس من بيته بين الركن والمقام، فيجهز إليه جزء من الشام، أخوا له من كلب فيجهز إليه جيش فيهزمهم الله فتكون الدائرة عليهم، فذلك يوم كلب، الخائب من خاب من غنيمة كلب، فيستفتح الكنوز ويقسم الأموال، ويلقي الإسلام بجرانه(٢) إلى الأرض

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩١٣ و ٢٩١٤/ في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٢) (بجرانة) الجران: باطن العنق، والمعنى أن الإسلام قد قرَّ قراره واستقام وطبقت أحكامه.

فيعيشون بذلك سبع سنين أو قال تسع».

وفي رواية أخرى: «. . . **فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فبعث إليه بعث من الشام**. . »[1] الحديث بطوله مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ومن مجمل الروايات يتضح لنا ـ إما منطوقاً أو مفهوماً ـ بأن المهدي رجل صالح يخرج من جهة الشرق، ويأوي إلى مكة هارباً من المدينة، فيبايع بين الركن والمقام عند الكعبة المشرفة، فيبعث إليه جيش لقتله فيخسف بهم، وينصره الله ويؤيده فيحكم بالإسلام. وينشر العدل بين الناس، ويعم الرخاء والنعمة بزمانه، ويلتقي مع نبي الله عيسى عليه السلام فيؤم الأمة وعيسى عليه السلام يصلي خلفه، ويخرج معه ويساعده على قتل الدجال، ويعيش سبع أو تسع سنين.

● نقل التواتر في أحاديث المهدي:

لقد نص على تواتر الأحاديث في المهدي تواتراً معنوياً عدد

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، كما ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٨/٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.
قلت: ورواه أبو داود أيضاً برقم /٤٢٨٦ وما بعده/ في المهدي، باختلاف يسير في الألفاظ، وسنده حسن.

من الأئمة والعلماء، وإلى القارىء الكريم طائفة من هذه الأقوال لتطمئن النفس إلى ما نذهب إليه:

يقول العلامة محمد السفاريني في كتابه المسيح الدجال وأسرار الساعة: ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد ابن الحسين أنه قال: قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته ﷺ.

ويقول أيضاً: «وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات حتى بلغت هذا التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُد من معتقداتهم».

ويقول أيضاً: «وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة، وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا أنه محمد بن الحسن العسكري»[1].

ويقول الشيخ محمد البرزنجي في كتابه (الإشاعة لأشراط الساعة): (قد علمت أن أحاديث المهدي وخروجه آخر

---

(١) المسيح الدجال وأسرار الساعة ص ٣٦ و٣٩.

الـزمان وأنـه من عترة رسـول الله ﷺ من ولد فـاطمـة عليهـا السلام بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها»[1].

ويقول العلامـة محمد صـديق خالـد بن حسن القنوجي في كتابه الإذاعة لما كـان ويكون بـين يدي السـاعة: «الأحـاديث الـواردة في المهدي عـلى اختلاف روايتهـا كثيرة جـداً تبلغ حد التـواتر المعنـوي، وهي في السنن وغيرهـا من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد»[2].

ونقـل أيضاً في كتـابه الإذاعـة عن الإمام الشـوكاني قـوله: (الأحـاديث في تـواتـر مـا جـاء في المهـدي المنتـظر التي أمكن الـوقوف عليهـا منها خمسـون حديثـاً، فيها الصحيـح والحسن والضعيف المنجـبر، وهي متواتـرة بـلا شـك ولا شبهـة، بـل يصـدق وصف التواتـر على مـا دونها في جميع الاصـطلاحـات المحـررة في الأصـول، وأمـا الآثـار عن الصحـابـة المصرحـة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك)[3].

وقـال الشيـخ محمـد بن جعفـر الكنـاني في نـظم المتنـاثـر: (والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا

---

(١) الإشاعة لأشراط الساعة ص ١١٢.

(٢و٣)الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ص ١١٢ و١١٣.

الـــواردة في الــدجـــال وفي نـــزول عيسى بن مـــريم عليهـــما السلام)[1].

● كلمة أخيرة ونصيحة لا بد منها بشأن المهدي

من خـــلال البحث والتمحيص في كـل مـــا يتعلق بشـــأن المهـدي عـثرت عـلى كـلام طيب، ومـوعـظة حسنـة في هـذا الموضوع لشيخنا الفاضـل محمد نـاصر الدين الألبـاني ـ حفظه الله وبـارك لنا في عمـره وعلمـه ـ وهـا نحن أولاء نثبت تلك الكلمـة الطيبـة، لعل فيهـا ذكـرى لمن كـان لـه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول الشيخ حفظه الله:

واعلم يـا أخي المسلم أن كثيـراً من المسلمـين اليـوم قـد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع.

فمنهم من استقـر في نفسه أن دولـة الإسـلام لن تقـوم إلا بخـروج المهدي! وهـذه خرافـة وضلالـة ألقاهـا الشيـطان في قلوب كثـير من العامـة، وبخاصـة الصـوفيـة منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهـل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنـه يحكم بالإسـلام وينشر العدل

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٤٧.

بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عاماً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم ـ إلا القليل منهم ـ اتخذهم الناس رؤوساً! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معاً يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله).

ومنهم ـ وفيهم بعض الخاصة ـ من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة، ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: (وداوني بالتي كانت هي الداء)! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه

الجبر!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر.

وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق[1].

وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة، لأن بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلاً صراحة، كالشيخ شلتوت، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين.

وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلا كما لو أنكر رجل

(١) يشير بذلك إلى قول الشيخ محمد الغزالي: «من محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صريح، وما ورد صريحاً فليس بصحيح.

ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنـة! (فهل من مدكر) ا. هـ[1].

---

(١) نقلاً من سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤٢ ـ ٤٣).

٢ ـ ظهور المسيح الدجال

فتنة ظهور المسيح الدجال من أعظم الفتن وأخطرها، لأن الدجال هو منبع الكفر والضلال، وينبوع الفتن، ومن أجل هذا فقد أنذرت به الأنبياء أقوامها، وحذرت منه أممها، ومن أجل هذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ من فتنه في كل صلاة، ويعلم أمته ذلك،[١] وحذر منه، ونعته لأمته نعوتاً ظاهرة جلية لا تخفى على أحد، وبين لهم أن فتنه من أكبر الفتن منذ خلق آدم إلى قيام الساعة.

فعن حميد بن هلال رضي الله عنه عن رهط منهم: أبو الدهاء وأبو قتادة قالوا: كنا نَمُرُّ على هشام بن عامر، نأتي عمران بن حصين، فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأحضرَ لرسول الله ﷺ مني، ولا أعلم بحديثه مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما بين خَلْقِ آدم إلى قيام الساعة: خلق أكبر من الدجال».

---

(١) في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة يقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال.. الحديث بطوله). رواه البخاري في صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، ومسلم برقم /٥٨٩/ في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

وفي رواية أخرى: «**أمرٌ أكبر من الدجال**»(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة» وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من حلة بين الشام والعراق. فيعبث يميناً وشمالاً.**

يا عباد الله: أيها الناس! فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ فيقول:.. الحديث بطوله)(٢).

= ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: «عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال..» انظر صحيح مسلم برقم /٢٧٠٧/ في الذكر، باب في التعوذ من سوء القضاء.

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٤٦/ في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة برقم /٤١٢٨/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك (٤/٤٣٦ ـ ٤٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، وممن أشار إلى صحته أيضاً السيوطي في الجامع الصغير، برقم /٤٧٥٢/ وزاد نسبته إلى ابن خزيمة والضياء، وقد أشار أيضاً إلى صحته شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة =

● اسم الدجال وصفاته الدالة عليه:

إن جميع الروايات والأخبار الصحيحة تذكر أن اسمه: المسيح الدجال، أو الأعور الدجال أو الدجال بدون إضافة. وكل هذه الأسماء تدل على صفات قامت به، فهو إنما سُمي مسيحاً لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، وأما تسمية نبي الله عيسى عليه السلام بالمسيح فقد قيل: لمسح زكريا عليه السلام إياه، وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي يقطعها، وقيل: لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقيل: مأخوذة من صدقه وسماحته، وقيل: غير ذلك، وفرق كبير بين مسيح الضلالة، ومسيح الهدى عليه السلام.

وأما تسمية الدجال بالأعور، فلأنه أعور العين مطموسها، والعور: العيب، والأعور من كل شيء المعيب، وعلى هذا فالدجال أعور العينين معاً، لأن إحداهما معيبة بذهاب نورها، والأخرى بنتوئها وخضرتها كما سيأتي في الأحاديث الصحيحة إن شاء الله.

وعن تسميته بالدجال، فلأنه كذاب يغطي الحق ويستره ويظهر الباطل.

وأما عن صفاته الدالة عليه، والتي تحدد معالم شخصيته

= برقم /٢٤٥٧/ وكذا في صحيح الجامع، وهو حديث طويل فيه ذكر جميع أوصاف الدجال ووقت خروجه ومكانه. .

الملعـونة: فـأولها العيـوب التي في عينيه، وهـذه من الأوصاف التي لا يستطيع أن يخفيها، فالعينان بارزتـان واضحتان يـراهما كل أحد، وبهما صفات واضحة لا تخفى.

فعن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهـما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال:

«**إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجـال أعور العـين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة**»[1].

وفي حـديث آخر عن أحمـد في مسنده شبـه رسول الله ﷺ عور عينه اليمنى بأنها جاحظة لا تخفى كأنها نخـاعة في حـائط مجصص[2].

وأما عينه اليسرى التي يرى بها فقد وصفها رسـول الله ﷺ بالبروز والنتوء والاخضرار من شدة اتقادها.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**الدجال عينه خضراء كالزجاجة**»[3].

---

(١) رواه البخـاري (٨/١٠١) في الفتن، باب ذكـر الـدجـال، ومسلم بـرقم /١٦٩/ في الايمان، باب ذكر المسيح ابن مـريم والمسيح الـدجال، وأبـو داود بـرقم /٤٧٥٧/ في السنـة، بـاب في الـدجـال، والـترمــذي بـرقم /٢٢٣٦/ في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال.

(٢) انظر فتح الباري وكلام الحافظ ابن حجر حول ذلك (١٣/٩٨).

(٣) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في المسنـد (٥/١٢٣ و ١٢٤) وأبو نعيم=

ومن الأوصاف التي وُصف بها الدجال، أنه مكتوب بين عينيه كافر، وهذه العلامة يراها المؤمنون فقط دون غيرهم ممن طمس الله على بصائرهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر)».

وفي رواية أخرى قال:

«الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينه (كافر) ثم تهجاها (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم»[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأنا أعلم بما مع الدجال منه... وذكر في آخره.. وإن

= في أخبار أصفهان (١/٢٤٧)، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /١٨٦٣/ وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير حبيب بن الزبير وهو ثقة.

(١) رواه البخاري (٨/١٠١) في الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم برقم /٢٩٢٣/ في الفتن، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأبو داود برقم /٤٣١٦/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٢٤٦/ في الفتن، باب رقم (٤).

الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة[1] غليظة. مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»[2].

والصحيح الذي عليه المحققون كما يذكر الإمام النووي رحمه الله: أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته»[3].

ومن أوصاف الدجال: أنه قصير، متباعد ما بين الساقين لا عوجاج فيهما، مطموس العين، كثير الشعر، شديد البياض، عظيم الجثة.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إني حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال قصير أفحج[4]، جعد أعور، مطموس العين،

---

(١) (ظفرة): الظفرة هي جلدة تغشي البصر، لحمة تنبت عند المآقي كما ذكر الأصمعي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم /٢٩٣٤/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) انظر كلام النووي رحمه الله على شرح مسلم (١٨/ ٦٠).

(٤) (أفحج) الأفحج: المتباعد ما بين الفخذين.

ليست بناتئة ولا جحراء[1]، فإن التبس عليكم. فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«بينا أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف - أو يهراق - رأسه ماء، قلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت التفت، فإذا رجل جسيم، أحمر، جعد الرأس، أعور العين كأن عينه عنبة طافية، قالوا: هذا الدجال، أقرب الناس به شبهاً ابن قطنٍ، رجل من خزاعة[3]»[4].

ومن صفات الأعور الدجال أنه عقيم لا يولد له، وأنه لا يدخل المدينة المنورة، ولا مكة المكرمة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «صحبت ابن

---

(١) (عين جحراء): أي غائرة مختفية كأنها قد ألانجحرت: أي دخلت في جحر، وهو الثقب.

(٢) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (   ) وأبو داود برقم /٤٣٢٠/ في الملاحم باب خروج الدجال. وذكره السيوطي في الجامع الصغير وأشار إلى صحته.

(٣) (ابن قطن): اسمه عبد العزى بن قطن، وهو رجل من بني المصطلق من خزاعة وقد هلك في الجاهلية، ذكر ذلك الزهري كما في الفتح (١٣/٩٨ و١٠١).

(٤) رواه البخاري (٨/١٠١) في الفتن، باب ذكر الدجال.

صياد إلى مكة، فقال لي: أما قد لقيتُ من الناس، يزعمون أني الدجال؟ ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه لا يولدَ له**»؟ قال: قلت: بلى، قال: فقد وُلِدَ لي، أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل المدينة ولا مكة**»؟ قال: قلت: بلى، قال: فقد وُلدت بالمدينة وها أنا أريد مكة، ثم قال في آخر قوله: أما والله إني لأعلم مولده ومكانه، وأين هو؟ قال: فلبسني[1]»[2].

● سبب افتتان الناس بالدجال:

سبق أن ذكرنا أن فتنة الدجال من أعظم الفتن وأخطرها على دين الناس، وسبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما قدر بحكمته ابتلاء الناس به، أقدره على أشياء مذهلة تدهش العقول، وتحير الألباب، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله حتى لا يغتر ويخدع به أهل الحق والبصيرة أمثال ذلك الشاب المؤمن الذي يقتله الدجال ثم يحييه فيقول له الشاب: ما ازددت فيك إلا بصيرة.

وها نحن أولاء نستعرض مع القارىء الكريم تلك

(١) (فلبسني): أي جعلني ألتبس في أمره، وأشك فيه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم /٢٩٢٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، والترمذي برقم /٢٢٤٧/ في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

المقدورات العجيبة التي أقدره الله عليها امتحاناً وابتلاء لعباده لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

١ ـ ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، واستجابة الجماد لأمره:

لقد ثبت في الحديث الصحيح: أنه قبل خروج الدجال بثلاث سنوات يصيب الناس فيها جوع شديد حيث يأمر الله الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظِلف إلا هلكت إلا ما شاء الله[١]، ثم يأتي المسيح الدجال على هذه الحال فتكون من فتنته أنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويأمر خرائب الأرض أن تخرج كنوزها المدفونة فتستجيب له.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة... وفيه قال رسول الله ﷺ:

«.. فيأتي على القوم ـ أي الدجال ـ فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرض فتُنْبت، فتروح عليهم سارحتهم[٢] أطول ما كانت دراً[٣] وأسبغه

---

(١) انظر نص الحديث بطوله في ابن ماجة، والمستدرك، وصحيح ابن خزيمة والضياء، وقد سبق تخريجه في ص ٨٠.

(٢) (سارحتهم): أي مواشيهم، وسميت كذلك لأنها تسرح إلى المرعى.

(٣) (دراً) الدَّر: اللبن، وإنما يكثر اللبن بالخصب وكثرة المرعى.

ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين[1]، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[2] النحل... الحديث بطوله»[3].

٢ - يجيء الدجال ومعه مثل الجنة والنار يتبعه نهران:

ومن جملة فتنة الدجال التي امتحن الله بها عباده أن يأتي الدجال ومعه مثل الجنة والنار، أو نهر من ماء، ونهر من نار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدَّث به نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء، بمثال الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة: هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه»[4].

---

(١) (ممحلين) الممحل: هو الذي أجدبت أرضه وقحطت، وغلت أسعاره.

(٢) (اليعاسيب): جمع يعسوب، وهي ذكور النحل ورئيسها متى طار تبعته جماعته.

(٣) رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأبو داود برقم /٤٣٢١/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٢٤١/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

(٤) رواه البخاري (١٠٤/٤) في الأنبياء، باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) ومسلم برقم /٢٩٣٦/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار: فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء: فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار، فإنه ماء عذب بارد».

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال:

«لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين[1] ماء أبيض، والآخر: رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليُغَمِّض، ثم ليطأطىء رأسه فليشرب منه، فإنه ماء بارد»[2].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر ممن سألته، وإنه قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك»

وفي رواية أخرى: «انهم يقولون: إن معه جبالَ خبز

---

(١) (رأي العين): أي هكذا فيما يبدو للعين، ولكن الأمر عكس ما تراه.

(٢) رواه البخاري (٨/١٠١) في الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم برقم /٢٩٣٤/ في الفتن، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأبو داود برقم /٤٣١٥/ في الملاحم، باب خروج الدجال.

ولحم، ونهر ماء قال: هو أهون على الله من ذلك»[1].

٣ ـ سرعة انتقاله في الأرض، والبلاد التي لا يستطيع دخولها:

ومما أقدر الله عليه الدجال ليكون فتنة للناس، سرعة انتقاله في الأرض، وأنه سيجول في أقطار الأرض يدعو إلى الكفر والضلال، ولكن الله سيحول بينه وبين أن يدخل مكة والمدينة شرفهما الله.

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ـ الطويل ـ قال:

«. . . قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح . . . الحديث بطوله»[2].

---

(١) البخاري (٨/١٠١) في الفتن، باب ما ذكر في الدجال ومسلم /٢٩٣٩/ في الفتن باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل.
وفي معنى قوله ﷺ (هو أهون على الله) يقول الحافظ ابن حجر في الفتح نقلاً عن عياض: معناه: هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب الموهنين، بل ليزدادوا إيماناً، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض (١٣/٩٣).

(٢) جزء من حديث طويل رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأبو داود برقم /٤٣٢١/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٢٤١/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« .. ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها[1] إلا عليه الملائكة حافين تحرسها، فينزل بالسبخة[2]، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[3].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« ... وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيها من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلْتَةً، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها، كما ينفي الكير خبث الحديد»[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صحبت ابن

---

(١) (نقب من أنقابها): أي طرقها وفجاجها، والنقب هو الطريق بين الجبلين.

(٢) (السبخة): هي الأرض الرملة التي لا تنبت لملوحتها، وهذه الصفة خارج المدينة من غير جهة الحرة.

(٣) رواه مسلم برقم /٢٩٤٣/ في الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة.

(٤) قطعة من حديث طويل صحيح أخرجه ابن ماجة والحاكم وابن خزيمة والضياء وقد سبقه تخريج بعضه في ص ٨٠.

صياد إلى مكة فقال لي: أما قد لقيتُ من الناس، يزعمون أني الدجال؟ ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لا يولد له؟ قال: قلت: بلى، قال: فقد وُلد لي، أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل المدينة ولا مكة؟ قال: قلت: بلى، فقال: فقد ولدت بالمدينة، وها أنا ذا أريد مكة»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أنه قال:

«يأتي الدجالُ وهو مُحرمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس... الحديث بطوله»[2].

٤ ـ استجابة الشياطين لأوامره:

لم يدخر عدو الله الدجال وسيلة من وسائل الفتن إلا ويستعملها من أجل إضلال الناس، وإيقاعهم في الشرك والكفر، وهذا هو هدفه الوحيد، وفي هذه الفقرة نقرأ عن تسخيره للشياطين للوصول إلى غرضه، وإن كان الأحرى أن

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٢٧/ في الفتن، باب ذكر ابن صياد، والترمذي برقم /٢٢٤٧/ في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

(٢) رواه البخاري في الفتن (١٠٣/٨) باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم برقم /٢٩٣٨/ في الفتن باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه.

نقول: إن الشياطين هي التي تسخره لإضلال المؤمنين بما يقوم به من أعمال شيطانية، وهذه صورة منها.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك..»[1].

٥ ـ قتله للشاب المؤمن ثم إحياؤه:

ومن فتن الدجال العظيمة قتله للشاب المؤمن الذي يرفض بما عنده من العلم والعقيدة الراسخة ـ أن يعترف بألوهية المسيح الدجال، غير مبالٍ بما يلحقه من الأذى والقتل في سبيل الله، وحتى بعد أن يحييه عدو الله الكذاب، ويهدده بالقتل ثانية إن لم يؤمن به، فيقول له باستعلاء وإيمان صادق: ما ازددت فيك إلا بصيرة. وهذه الهداية والبصيرة هي

(١) حديث صحيح، رواه ابن ماجة برقم /٤١٢٨/ في الفتن، باب فتنة خروج الدجال والحاكم في المستدرك (٤/٤٣٦ و٤٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجها، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في الجامع مع الصغير وزاد نسبته إلى ابن خزيمة والضياء، وقد أشار الشيخ الألباني إلى صحته كما في صحيح الجامع برقم /٧٧٥٢/ وكذلك في السلسلة الصحيحة برقم /٢٤٥٧/.

المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وما فيهما من تحذير شديد من أمثال هذه الفتنة وغيرها.

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدَّثنا به أنه قال:

«يأتي الدجال وهو مُحرمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدَّثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال، اقتله، ولا يسلط عليه»(1).

ولمسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال، فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين فتلقاه

---

(1) رواه البخاري (٨/١٠٣) في الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم برقم /٢٩٣٨/ في الفتن وأشراط الساعة، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه.

المسالحُ[1]، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه. قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال: فيأمر الدجال به فيشبح[2]. فيقول: خذوه وشُجُّوه[3] فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار[4] من مَفْرِقِه[5] حيت يُفرَّق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعَلُ بعدي بأحَدٍ من الناس. قال فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى تَرْقُوته[6]

---

(١) (المسالح): المسالح هم قوم معهم سلاح، وسموا بذلك لحملهم السلاح، يراقبون في المراكز كالخفراء.

(٢) (فيشبح): أي يُمد على بطنه.

(٣) (شجوه) من الشج، وهو الجرح في الرأس والوجه.

(٤) (فيؤشر بالمنشار): أي ينشر بالمنشار، ويجوز أن يقال: يوشر بدون همز، فيقال نشرت الخشبة، وأشرتها.

(٥) (مَفْرِقه): مفرق الرأسه، أي: وسطه.

(٦) (ترقوته): هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة».

فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»[1].

● مكان خروج الدجال ومدة لبثه في الأرض:

لقد حدَّدت لنا السنة النبوية أن مكان خروج الدجال يكون من قبل المشرق، من نواحي خراسان، يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: وأما من أين يخرج الدجال؟ فمن قبل المشرق جزماً، ثم جاءت رواية أنه يخرج من خراسان أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر، وفي أخرى أنه يخرج من أصبهان أخرجها مسلم[2]. وإلى القارىء الكريم الروايات في ذلك.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال:

«**الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان،**

---

(١) رواه مسلم برقم /١٩٣٨/ في الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه.

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٩١).

يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان[1] المطرقة»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة[3]»[4].

هذا مكان خروج الدجال، ولكن ظهور أمره للمسلمين يكون عندما يصل إلى مكان بين العراق والشام كما ورد في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«... إنه خارج خلة[5] بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً[6]، يا عباد الله فاثبتوا...»[7].

---

(١) (المجان المطرقة): المجان جمع مجنة ـ وهو الترس، والمطرقة ـ التي ضوعف عليها الشيء كأن جعلت فوقها طبقاً فوق طبق.

(٢) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤ و٧)، والترمذي برقم /٢٢٣٨/ في الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٧). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) (الطيالسة) جمع طيلسان. وهو ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس ولكنه خال من التفصيل والخياطة.

(٤) رواه مسلم برقم /٢٩٤٤/ في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال.

وأصبهان، وأصفهان، اسم واحد لبلد فارسية في المشرق.

(٥) (خارج خلة بين الشام والعراق): أي ما بين البلدين.

(٦) (فعاث يميناً وعاث شمالاً) أي: أفسد أشد الفساد في كل الاتجاهات.

(٧) جزء حديث رواه مسلم برقم /٢٩٢٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب =

وأما مدة لبثه في الأرض فقد وردت في حديث النواس بن سمعان السابق إجابة منه ﷺ لسؤال الصحابة رضوان الله عليهم عن ذلك.

«. . . قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذاك اليوم الذي كسنة، اتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قدره[1] . . .»[2].

= ذكر الدجال وصفته وما معه، وأبو داود برقم (٤٣٢١/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٢٤١/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

(١) (أقدروا له قدره): يقول العلماء رحمهم الله: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرحه لنا صاحب الشرع قالوا: ولولا هذا الحديث وَوُكِلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى أقدروا له قدره: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينه وبين العصر، فصلوا العصر. وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب، فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب. وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة، فرائض كلها، مؤداة في وقتها، أما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول كما ذكر فرضي الله عن الصحابة كم كانوا حريصين على تعلم أمور دينهم ومتابعة نبيهم ﷺ في تصحيح إيمانهم وعملهم..

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي، كما في الحديث السابق. وهو جزء من حديث طويل.

وأما عن زمن خروج الدجال لعنه الله، فقد أخبر النبي ﷺ أن هناك ملحمة كبرى ستقع بين المسلمين والروم، ثم يفتح المسلمون القسطنطينية، وبعدها يخرج المسيح الدجال.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه ـ أو منكبه ـ ثم قال: إن هذا لحق، كما أنك قاعد ها هنا، كما أنك قاعد يعني: معاذ بن جبل»[1].

● ذكر أخبار الدجال كاملة كما وردت في النصوص الصحيحة:

---

(١) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٣٢ و ٢٤٥)، وأبو داود برقم /٤٢٩٤/ في الملاحم، باب إمارات الملاحم، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/٢٢٣)، وفي سند الحديث عبد الرحمن بن ثابت مختلف فيه، وأورد الحديث الحافظ بن كثير في النهاية (١/٥٩) نقلاً عن الإمام أحمد وقال: وهذا إسناد جيد وحديث حسن عليه نور الصدق وجلال النبوة، وأورده أيضاً السيوطي في الجامع الصغير وأشار إلى صحته، وكذا الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم /٣٩٧٥/ وفي مشكاة المصابيح برقم /٥٤٢٤/.

(حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه)

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل[1]، فلما رُحنا إليه، عَرَف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غيرُ الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه[2] دونكم، وإن يخرج ولست **فيكم فامرؤ** حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط[3]، عينه طافئة، كأني أشبهه بـ (عبد العزى بن قطن) فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذاك اليوم الذي كسنة: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته

---

(١) (طائفة النخل): أي ناحيته وجانبه.

(٢) (حجيجة): أي المجادل والمخاصم.

(٣) (قطط): أي صاحب الشعر الأجعد.

الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[1] أطول ما كان ذُرَى [دراً][2] وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله قال: فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[3] ليس بأيديهم شيء من أحوالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[4]، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين[5]، رمية الغرض[6] ثم يدعوه فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[7]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ[8]، فلا يحل[9] لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونفسه

---

(١) (سارحتهم): أي المواشي، لأنها تسرح إلى المرعى.

(٢) (دراً) الدر: هو اللبن ويكثر بكثرة المرعى.

(٣) (ممحلين): الممحل: الذي أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسعاره.

(٤) (يعاسيب النحل): أي ذكورها وفحولها ورئيسها تتبعه إذا طار.

(٥) (جزلتين): جعله قطعتين.

(٦) (الغَرض): هو الهدف الذي يرمي بالنشاب.

(٧) (مهرودتين): أي ثوبين مصبوغين بورس أو زعفران، وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

(٨) (جمان اللؤلؤ): أي ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه.

(٩) (فلا يحل): أي: حق واجب عليه دون إرادته.

ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد[1] فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم: إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدَان[2] لأحد بقتالهم، فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور[3]، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَبٍ[4] ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرَّة ماء، ويُحصَرُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار، فيرغب[5] نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[6] في رقابهم فيصبحون فَرْسَىَ[7]، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في

---

(١) (باب اللد): بلدة معروفة قريبة من بيت المقدس.

(٢) (لا يَدَان): أي لا قدرة لأحد ولا طاقة.

(٣) (فحرز عبادي إلى الطور): أي ضمهم واجعل الطور لهم حِرزاً يحفظهم ويصونهم.

(٤) (من كل حدب ينسلون): أي من كل أكمة ومن كل موضع مرتفع يهرعون مسرعين.

(٥) (فيرغب نبي الله): أي يدعو الله.

(٦) (النغف): هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٧) (فرسي): أي قتلى.

الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[1] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن[2] منه بيت مَدَرٍ[3] ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[4]، ثم يُقال للأرض: انبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[5] من الرمانة، ويستظلون بقحفها[6]، ويبارك في الرِّسْلِ، حتى إن اللقحة[7] من الإبل لتكفي الفئام[8] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس[9]، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيباً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُرِ[10]، فعليهم تقوم الساعة».

---

(١) (زهمهم): أي دسمهم وريحهم المنتنة.
(٢) (لا يكن): أي لا يمنع من نزول الماء.
(٣) (بيت مدر): أي البيت المصنوع من الطين الصلب.
(٤) (الزلفة): أي كالمرأة في صفائها ونظافتها.
(٥) (العصابة): أي الجماعة من الناس.
(٦) (بقحفها): أي بقعر قشرها، تشبيهاً بعظم القحف في الرأس.
(٧) (اللقحة): أي القريبة العهد بالولادة، واللقوح: ذات اللبن -.
(٨) (الفئام): أي الجماعة الكثيرة وهي أكبر من العصابة.
(٩) (الفخذ من الناس) الجماعة من الأقارب دون البطن بكثرتهم، والبطن دون القبيلة، ولتميزها عن العضو المعروف لا بد من تسكين الخاء.
(١٠) (تهارج الحمر): أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الدواب وبالأخص الحمير.

وفي رواية نحوه، وزاد بعد قوله: (لقدكان بهذه مرة ماء) - ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ - وهو جبل بيت المقدس - فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بِنُشَّابهم[1] إلى السماء، فيردُّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً»[2].

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)

وفي الصحيحين من حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال:

«يأتي الدجال وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة[3]، فينتهي إلى بعض السباخ[4] التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا، ثم أحييته هل تشكون في

---

(١) (نُشابهم): أي سهامهم.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وذوي نخوة أبو داود برقم /٤٣٢١/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٢٤١/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

(٣) (نقاب المدينة) أي طرقها وفجاجها.

(٤) (السباخ: جمع سبخة وهي الأرض الرملية التي لا تنبت المرعى.

الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال: اقتله، ولا يسلط عليه».

ولمسلم قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال: فيتوجه قِبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح[1] ـ مسالح الدجال ـ فيقولون له: أين تعمد؟ فقال: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح[2]، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مَفْرِقه حتى يفرق بين رجليه، قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين، قال: ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس: إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس،

---

(١) (المسالح) جمع مسلحة: أي القوم الذين يحملون السلاح في الثغور، لمراقبة العدو.

(٢) (فيشبح): أي يلقى على بطنه.

قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[1].

(حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وخبر تميم الداري عن الدجال).

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: فلما انقضت عِدَّتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري[2]

---

(١) الرواية الأولى أخرجها البخاري ومسلم رحمهما الله وانفرد بالثانية مسلم، انظر البخاري (١٣/٣٢٨) في الفتن، باب لا يدجل الدجال المدينة، ومسلم برقم /٢٩٣٨/ في الفتن وأشراط الساعة، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه.

(٢) هذه منقبة لتميم الداري لأن النبي ﷺ روى عنه هذه القصة، وفيه أيضاً =

كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا[1] إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقْرب السفينة[2] فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب[3] كثير الشعر، لا يدرون ما قُبُلُه من دُبُرِه من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت!؟ فقالت: أنا الجساسة[4]، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم: انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان[5] رأيناه قط خَلْقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت!؟ قال: قد قَدَرتم على

= جواز رواية الفاضل عن المفضول، وفيه أيضاً دليل على الأخذ بخبر الواحد.

(١) (أرفؤوا إلى جزيرة) أي التجؤوا إليها.

(٢) (أقرُب) جمع قارِب، وهو سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة إلى جانبها لقضاء الحوائج لسهولة استعمالها.

(٣) (أهلب) أي كثير الشعر وغليظه.

(٤) الجساسة) سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن.

(٥) (أعظم إنسان) أي: أكبره جثة، أو أهيب هيئة.

خيري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقْرُبها فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلكِ ما أنت!؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بَيْسَان[1]، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية[2]، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغَر[3]، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نَبيِّ الأُمِّيِّينَ ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل

---

(١) (بيسان): هي قرية من بلاد الشام، بين الأردن وفلسطين.

(٢) (بحيرة الطبرية): بحيرة كبيرة معروفة من بلاد الشام بسوريا، اغتصبها اليهود حديثاً مع أجزاء كبيرة من بلاد المسلمين من سوريا والأردن ومصر.

(٣) (عين زغر: بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

يـثرب، قال: أقـاتله العرب؟ قلنـا: نعم، قـال: كيف صنـع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العـرب وأطاعـوه، قـال لهم: قد كـان ذلك؟ قلنـا: نعم، قال: أمـا إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخـبركم عني، إني أنا المسيـح الدجـال، وإني أوشـك أن يؤذن لي في الخروج فـأخرج فـأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتهـا في أربعين ليلة، غـير مكة وطيبـة[1]، فهـما محرمتـان عليَّ كلتـاهما، كلما أردت أن أدخـل واحدة، أو واحداً منها، استقبلني ملك بيده السيف صَلْتاً[2] يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قـالت [يعني فـاطمـة بنت قيس]: قـال رســول الله ﷺ، وطعن بمخصرتـه[3] في المنبر: **«هـذه طيبة، هـذه طيبـة، هـذه طيبـة، يعني المـدينـة، ألا هـل كنت حـدثتكم ذلـك؟ فقـال الناس: نعم. (فإنه أعجبني حديث تميم أنـه وافق الذي كنت حدثتكم عنه، وعن المـدينة ومكـة، ألا إنه في بحـر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هـو. من قبل المشرق مـا هُـوَ. من قبـل المشرق مـا هـو»**[4]، وأومــأ بيـده إلى المشرق.

---

(١) (طيبة): يراد بها المدينة المنورة، ويقال لها أيضاً: طابة.
(٢) (السيف صلْتاً): أي مسلولاً.
(٣) (المخصرة): عبارة عن عصا أو قضيب كانت تكون بيد الخطيب عادة.
(٤) (ما هو من قبل المشرق ما هو): ليست ما هو زائد، وإنما يراد بهـا إثبات الكلام: أي أنه من جهة المشرق هو.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1].

● **الاختلاف حول ابن صياد والدجال:**

لقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً شديداً، وأشكل أمره هل هو الدجال؟ أم هو دجال آخر من جملة الدجاجلة؟

وها نحن أولاء نورد ما ذكر من الأحاديث الصحيحة في شأن ابن صياد، ثم نذكر أقوال العلماء في ذلك، ومنه سبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق.

١ ـ ذكر الأحاديث الصحيحة في ابن صياد:

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال:

«إنَّ عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رَهْطٍ من أصحابه قِبَلَ ابن صياد، حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أُطُمِ[2] بني مغالة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فنظر إليه ابن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم /٢٩٤٢/ في الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، وذكر نحوه بألفاظ متفاوتة، أبو داود برقم /٤٣٢٥/ في الملاحم، باب في خبر الجساسة، والترمذي برقم /٢٢٥٤/ في الفتن باب رقم (٦٦).

(٢) (الأطم): البناء المرتفع.

صياد فقال: أشهد أنك رسولُ الأُميين، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ وقال: (آمنت بالله وبرسله).

ثم قال له رسول الله ﷺ: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادِق وكذاب، فقال له رسول الله ﷺ: (خلط عليك **الأمر**).

ثم قال له رسول الله ﷺ: (إني قد خبأت لك خبيئاً)[(١)] فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال له رسول الله ﷺ: (اخسأ فلن تعدو قدرك)[(٢)] فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله اضرب عنقه. فقال له رسول الله ﷺ: «**إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**».

وقال سالم بن عبد الله: سمعت عبد الله بن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى

---

(١) (خبأت لك خبيئاً) فسر بالرؤية الأخرى أنه خبأ له (يوم تأتي السماء بدخان مبين).

(٢) (اخسأ فلن تعدو قدرك): إخسأ: أي أقعد فلن تجاوز القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يتبين منه حقيقته، ولا يصل به إلى بيان وتحقيق أمور الغيب، فقدر ابن صياد لا يتجاوز قدر الكهان وما معهم، من الكهانة والسحر واستعمال الشياطين، لذلك لم يستطع الشيطان أن يأخذ إلا كلمة الدخ، من قوله تعالى ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ وإلا لاحترق بالشهاب الرصد.

النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل، وهو يختل[1] أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة[2]، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف ـ وهو اسم ابن صياد ـ هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: لو تركته بين[3].

قال سالم: قال عبد الله بن عمر: فقام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم ذكر الدجال، فقال: إني **لأنذركموه،** ما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: «**تعلموا أنه أعور، وإن الله تبارك وتعالى ليس بأعور**». هذه رواية البخاري ومسلم.

وزاد مسلم: قال ابن شهاب: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري: أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ **أن** رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناسَ الدجال: «**إنه مكتوب**

(١) (يختل أن يسمع من ابن صياد): أي يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع من كلامه فيعلم هو وأصحابه حاله، هل هو كاهن أو ساحر، وفي كل هذا دليل على أن الرسول ﷺ لم يوح إليه شيء في أمر ابن صياد.

(٢) (زمزمة): هي الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم.

(٣) (لو تركته بين): أي لو لم تعلمه أمه بمجيئنا لبين لنا من حاله ما يجعلنا نعرف به حقيقة أمره، وما انطوت عليه نفسه الخبيثة.

بين عينيه كافر. يقرؤه من كرِه عمله، أو يقرؤه كل مؤمن» وقال: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر - يعني ابن صياد - في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟ قال: أرى صادقين وكاذباً - أو كاذبين وصادقاً - فقال رسول الله ﷺ: «**لُبِسَ**[2] **عليه دعوه**»[3].

وعنه أيضاً قال: خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صائد، قال فنزلنا منزلاً، فتفرق الناس وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال وجاء بمتاعه فوضعه مع

---

(١) رواه البخاري (٣٢/٤) في الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، وفي كتب وأبواب غير ذلك كثيرة، ومسلم برقم /٢٩٢٤ و ٢٩٣٠/ في الفتن، باب ذكر ابن صياد، ورواه أيضاً بنحو ذلك بتفاوت في الألفاظ، أبو داود برقم /٤٣٢٩/ في الملاحم، باب خبر ابن صائد، والترمذي برقم /٢٢٥٠/ باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

(٢) (لُبِسَ عليه) أي اختلط عليه الأمر.

(٣) رواه مسلم برقم /٢٩٢٥/ في الفتن، باب ذكر ابن صياد، والترمذي برقم /٢٢٤٨/ في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

متــاعي، فقلت: إن الحر شــديـد، فلو وضعتــه تحت تلك الشجـرة. قال ففعـل: قال فَـرُفعت لنا غُنم، فـانـطلق فجـاء بعُس[1] فقـال: اشرب أبـا سعيـد! فقلت: إن الحـرَّ شــديـد واللبن حـار. ما بي إلا أني أكـره أن أشرب عن يـده ـ أو قـال آخـذ عن يده ـ فقـال: أبا سعيـد! لقد هممت أن آخـذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم اختنق مما يقول لي الناس، يا أبا سعيد: من خَفي عليــه حـديث رســول الله ﷺ مـا خَفَى عليكم معشر الأنصـار، ألست مِن أعلم النـاس بحـديث رسـول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر؟ وأنـا مسلم، أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة، وأنا أريد مكة؟

قال أبو سعيد الخدري: حتى كـدت أن أعذره، ثم قـال: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن.

قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم[2]»[3].

---

(١) (العس): هو القدح الكبير، وجمعه عِساس وأعساس.

(٢) (تبـاً لك سـائر اليـوم): أي خسراناً وهـلاكاً لـك في بـاقي اليـوم، وهـو منصوب بفعل مصخر.

(٣) رواه مسلم بـرقم /٢٩٢٧/ في الفتن وأشراط السـاعـة، بـاب ذكـر ابن صيـاد، وللترمـذي نحـوه بـاختـلاف يسـير. انـظر سنن الـترمـذي رقم /٢٢٤٧/ في الفتن، باب ما جاء في ابن صائد.

٢ ـ أقوال العلماء في ابن صياد:

ظاهر الأحاديث يدل على أن النبي ﷺ لم يوح إليه بشأن ابن صياد، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، ولهذا لم يقطع النبي ﷺ بأنه الدجال ولا غيره، ونلمس هذا من قوله ﷺ لعمر: «**إن يكن هو فلن تستطيع قتله**». وكذلك محاولته عليه الصلاة والسلام أكثر من مرة لكشف أمر ابن صياد ومعرفة حقيقته.

ومن أجل هذا اختلفت أقوال العلماء في حقيقة ابن صياد اختلافاً بيناً، وإلى القارىء الكريم أهم ما قيل في ذلك.

قال القرطبي رحمه الله في تذكرته: «والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم من أدلة»(١).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وأقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم الداري، وكون ابن صياد هو الدجال، أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقاً، وأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أنه توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها»(٢).

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي ص ٧٠٦.

(٢) فتح الباري لشرح صحيح البخاري (١٣/٣٢٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الـرحمن وأوليـاء الشيطان: «إن أمـر ابن صياد قـد أشكـل عـلى بعض الصحابة فظنوه الـدجال، وتـوقف فيه النبي ﷺ حتى تبـين له فيما بعد أنه ليس هو الـدجال، إنمـا هو من جنس الكهـان من أصحاب الأحوال الشيطانية، ولذلك ذهب ليختبره»[1].

وقـال النووي رحمـه الله عـلى شرح مسلم: «قـال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مشتبـه في أنه هـل هو المسيـح الدجـال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجـال من الدجـاجلة، قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكـان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلـك كان النبي ﷺ لا يقـطع بأنـه الـدجال ولا غـيره، ولهـذا قـال لعمـر بن الخـطاب رضي الله عنه: (إن يكن هو فلن تستطيع قتله).

وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر، وبأنه لا يـولد للدجال وقد ولد له هو، وأنه لا يدخل مكـة والمدينـة وأن ابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة، فلا دلالة له فيـه، لأن النبي ﷺ إنمـا أخبر عن صفـاته وقت فتنتـه وخـروجـه في الأرض.

ومن اشتبـاه قصته وكـونه أحـد الدجـاجلة الكذابـين قولـه

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧.

للنبي ﷺ: (أتشهد أني رسول الله) ودعواه أن يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشاً فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه وقوله: إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن، وانتفاخه حتى ملأ السكة.

وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده، وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال[1] ا. هـ.

ونقل النووي رحمه الله عن البيهقي قوله: «. . .وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم» قال النووي: هذا كلام البيهقي وقد اختار أنه غيره[2].

وقال الحافظ ابن كثير في النهاية «في باب: ليس ابن صياد هو الدجال الأكبر، وإنما هو أحد الدجاجلة الكبار الكثار، قال بعض العلماء: إن بن صياد كان بعض الصحابة يظنه الدجال وهو ليس به، وإنما كان رجلاً صغيراً. . وبعد أن ساق بعض الأحاديث قال: والمقصود أن بن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً، وذلك لحديث

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٦).
(٢) شرح مسلم للنووي (١٨/ ٤٨).

فاطمة بنت قيس الفهرية، فإنه فيصل في هذا المقام والله أعلم» ا. هـ[1].

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً شديداً، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قولٍ، وقد يُسأل عن هذا، فيقال: كيف يُقارُ - (يقره ويسكت عليه) - رسول الله ﷺ رجلاً يدعي النبوة كاذباً، ويتركه بالمدينة يساكنه في داره، ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك (اخسأ فلن تعدو قدرك)؟!

قال أبو سليمان: والذي عندي أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم: وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجروا، وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم - أو دخيلاً في جملتهم - وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنه النبي ﷺ بذلك ليبرز أمره ويختبر شأنه، فلما كلمه علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئي من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع قوله: (الدخ) زَبَرَه فقال: إخسأ فلن تعدو قدرك، يريد

(١) انظر النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٠٧ و ١٠٨).

أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان، فألقاه إليه وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبيل الوحي السماوي إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب، ولا درجة الأولياء الذين يلهمون الغيب، فيصيبون بنور قلوبهم، وإنما كانت له نارات يصيب في بعضها، ويخطىء في البعض، وذلك معنى قوله: يأتيني صادق وكاذب، فقال له عند ذلك: قد خلط عليك.

فالجملة من أمره: أنه كان فتنة امتحن الله به عباده المؤمنين، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة[1]، كما امتحن الله قوم موسى بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا، ونجا من هداه الله وعصمه.

وقد اختلفت الروايات في كفره، وفيما كان من شأنه بعد كبره، فروي أنه تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: «اشهدوا، وروي غير ذلك، وأنه فقد يوم الحرة فلم يجدوه. والله أعلم» ا. هـ[2].

---

(١) الآية /٤٢/ من سورة الأنفال.

(٢) انظر ما قاله أبو سليمان الخطابي رحمه الله كما نقله عنه البغوي في شرح السنة (١٥/٧٤ و ٧٥)، وابن الأثير الجزري في جامع الأصول (١٠/٣٦٢ - ٣٦٤).

وكـــل هــذه الأقـــوال للعلماء رحمهم الله اجتهـادات، فهم يؤجرون عليها على كل الأحوال إن شاء الله، والراجح عندي من خلال الأدلة وأقـوال العلماء أن ابن صياد ليس هـو المسيح الدجال، وإنما دجال من الدجاجلة، والله أعلم.

ـ كلمة أخيرة لا بد منها بشأن الدجال قبحه الله:

لقـد ذكرنـا في بدايـة البحث بأن فتنـة الدجـال من أعـظم الفتن، وأنها إحـدى علامـات الساعـة الكبرى، وذكـرنا بعـد ذلك الأحاديث الصحيحة التي تدل عـلى صدق وجـوده، وها نحن أولاء نذكر موقف أهل السنة والجماعة قاطبة من الدجـال كما ذكرها الإمام النووي رحمه الله على شرحه لمسلم نقـلاً عن القاضي رحمه الله: قال: قال القاضي:

«هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغـيره في قصة الـدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجـوده، وأنه شخص بعينـه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معـه، وجنته ونـاره، ونهريه، واتبـاع كنوز الأرض لـه، وأمره السـماء أن تمطر فتمـطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كـل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثـين والفقهاء والنـظار،

خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج[1] والجهمية[2] وبعض

---

(١) (الخوارج): بشكل عام هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، سواء كان الخروج أيام الصحابة أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. وبشكل خاص هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه يوم صفين، وهم الذين كان أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «تحقر صلاةأحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم» وهم المارقة الذين قال النبي ﷺ فيهم: «سيخرج من ضئضئي هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

ومن أبرز أفكارهم الضالة: قولهم بانحراف عثمان رضي الله عنه بآخر خلافته، واستوجبوا له القتل أو العزل، ومنها قولهم: بأن مرتكب الكبيرة كافر ما لم يتب منها، ولهم طريق في مصدر التشريع (السنة) يختلف اختلافاً تاماً عن مذهب أهل السنة والجماعة.

هذا وللخوارج فرق متعددة وكبار فرقهم ستة: الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والأباضية، والثعالبة، والباقون فروعاً لهم.

وعلى الرغم من اندثار هذه الجماعات فإنه لمن المؤسف له جداً أن نجد اليوم من جاء ليجدد تلك الأفكار الضالة ويعيد مأساة الخوارج، ألا فلنتق الله ولنتذكر قول نبينا محمد ﷺ يقول: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما).

(٢) الجهمية: الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وقد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد القسري يوم الأضحى.

ومما انفرد به جهم قوله: إن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن الإنسان مجبور وإنما تنسب إليه الأفعال على سبيل المجاز فقط، وقد قتله سالم بن أحوز بمرو في آخر ملك بني أمية.

المعـتزلة[1]، وخـلافاً للبخـاري المعتزلي ومـوافقيـه من الجهميـة وغـيرهم في أنه صحيـح الوجـود ولكن الـذي يـدعي مخـارف وخيـالات لا حقائق لهـا، وزعموا أنـه لـو كـان حقـاً لم يـوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعهم، لأنه لم يدع النبـوة، فيكون مـا معه كـالتصديق لـه، وإنمـا يدعي الإلهيـة، وهو في نفس دعـواه مكذب لهـا بصورة حاله، ووجود دلائل الحـدوث فيه، ونقص صـورته، وعجـزه عن إزالـة العور الـذي في عينيه، وعن إزالـة الشاهـد بكفـره المكتوب بين عينيه.

ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر بـه إلا رعاع من النـاس لسد

---

(١) (المعـتزلة): هـذه الفرقـة نشأت في العصر الأمـوي، وقـد شغلت الفكـر الإسلامي في العصر العباسي ردحاً من الزمن طويلاً، ويـرى الأكثرون أن رأس المعتزلة هو (واصل بن عـطاء) عندمـا اعتزل مجلس الحسن البصري كما أثيرت مسألة مرتكب الكبيرة.

ومن أبـرز معتقدات المعـتزلة الضـالة: القـول بخلق القرآن، ونفي صفـة الكلام عن الله سبحانه وتعالى، ويقولون أيضاً بأن الإنسان خالق لأفعـال نفسه.

ومن أصـولهم: أن لا يضر مع الإيمـان معصية، كـما لا تنفـع مـع الكفـر طاعة، وقـولهم أن المسلم العاصي في منـزلة بـين المنزلتـين (أي بين المؤمن والكافر).

هذا وقد تأثرت المعتزلة بالفلسفة اليونانيـة وغيرهـا. وأخذوا عنهـا كثيراً في استدلالهم لأنهم وجدوا فيها ما يرضي نهمهم العقلي، وشغفهم الفكري.

وطريقة المعتزلة في معرفة العقائد عقلية بحتة، فإذا ظهر خـلاف في ظاهـر النصوص وبين آرائهم أولوا النصوص لتناسب مقالتهم.

الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفاً من أذاه، لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأمر، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ودلائل الحدوث فيه، والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة.

ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به، ولا يخدعون لما معه لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة» ا. هـ[1].

وأخيراً أخي المسلم أقدم لك نصيحة في كيفية النجاة من فتنة الدجال فأقول أولاً: الدجال لعنه الله مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب، وهو جسم مرئي، وفيه عور بإحدى عينيه وكل هذا محال على الباري سبحانه وتعالى.

ثانياً: عليك أخي المسلم بحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها فإنها تعصم من فتنة الدجال وإن استطعت حفظ السورة كاملة فذلك خير، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف

---

(١) انظر النووي على شرح مسلم (١٨/٥٨ و ٥٩).

عصم من فتنة الدجال) وفي رواية (من آخر الكهف)[1].

ثالثاً: عليك أخي المسلم أن تستعيذ بالله من شرِّ فتنة المسيح الدجال بعد تشهدك من كل صلاة، فقد ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللهي عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[2].

رابعاً: عليك أخي المسلم أن تكثر من ذكر الله تعالى بالتهليل والتسبيح، وأن تذكِّر دوماً إخوانك ومن له علاقة بك بحديث الدجال ليكون على معرفة وبصيرة من عدو الله قبحه الله، وأعاذنا من شر فتنته، إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه مسلم برقم /٨٠٩/ في صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، وأبو داود برقم /٤٣٢٣/ في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي برقم /٢٨٨٨/ في ثواب القرآن، باب فضل سورة الكهف، وكلهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٩٢/٣) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر. ومسلم برقم/ ٥٨٨/ في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

٣ - نزول مسيح الهدى عيسى بن مريم ﷺ

العلامة الثالثة من علامات الساعة العظمى: أن ينزل من السماء نبي الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

ونزول المسيح ابن مريم من السماء ثابت في القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، وإجماع أمة محمد ﷺ.

أما الكتاب: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[1].

أي ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته بعد نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة، ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، وقد ورد هذا عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية بسند صحيح كما ذكر ذلك ابن كثير، وابن جرير الطبري، وغيرهم من أئمة التفسير رحمهم الله.

وأما السنة: ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم

---

(١) الآية /١٥٩/ من سورة النساء.

حكماً[1] مقسطاً[2]، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[3]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وزاد في رواية: وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته..».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[4] فلا يَسْعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»[5].

---

(١) (حكماً): أي قاضياً بين الناس، وأميراً يلي أمورهم.

(٢) (مقسطاً): أي عادلاً.

(٣) (وضع الجزية): هو إسقاطها عن أهل الكتاب، وإلزامهم بالإسلام، حيث لا يقبل منهم غير ذلك، وهذا معنى وضعها.

(٤) (ولتتركن القلاص): القلاص: جمع قلوص، وهي من الإبل كالفتاة من النساء، والحدث من الرجال، ومعنى ذلك: أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها أحد لكثرة الأموال، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل، وأنفس الأموال عند العرب.

(٥) رواه البخاري (٤/١٤٣) في الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، ومسلم برقم /١٥٥/ في الإيمان، باب نزل عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، وأبو داود برقم /٤٣٢٤/ في الملاحم، باب خروج الدجال، =

وأما الإجماع: فقد أجمعت أمة محمد ﷺ على نـزول المسيح عليه السلام ولم يخالف في ذلك أحد: إلا الفلاسفة والملاحـدة ممن لا يعتد بخلافهم، وقد انعقد الاجماع على أنه ينزل ويحكم بـالإسلام وليس بشريعـة مستقلة، وإن كانت النبـوة قائمـة به وهـو متصف بها، وقـد تقدم أنـه ينزل ويصـلي خلف المهـدي تكـرمة لهـذه الأمة، ثم يتسلم الأمـر منه ويكـون المهـدي من أتباعه، ويساعده على قتل مسيح الضلالة والدجل.

● **سبب تسميته بالمسيح، وصفاته، ومكان نزوله ووقته:**

سبق أن ذكـرنا عنـد الكـلام عن الـدجـال: أن السبب في تسمية نبي الله عيسى عليه السلام بالمسيح: لمسح زكريا عليـه السلام إياه، وقيـل: لأنه يمسـح الأرض أي يقطعهـا، وقيل: لأنه يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقيل: أنها مـأخوذة من السـماحة. وقيـل غير ذلـك.. وفرق كبـير بين مسيـح الضلالـة ومسيـح الهـدى عليـه السـلام.

وهذه التسمية قد وردت في القرآن الكـريم والسنة النبـوية المطهرة. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

= والـترمذي بـرقم /٢٢٣٤/ في الفتن، بـاب مـا جـاء في نـزول عيسى بن مريم.

(١) الآية /١٧/ من سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ . . ﴾[2].

وجاء في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « . . **فبينما هو كذلك - يعني الدجال - إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام** . . »[3].

وغير ذلك كثير.

وأما عن صفاته عليه السلام، فقد أخبرنا عنها نبينا عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام: بأنه رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد أحمر اللون (أشقر)، عريض الصدر، أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض،**

---

(١) الآية /٧٢/ من سورة المائدة.

(٢) الآية /١٧١/ من سورة النساء.

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم /٢٩٣٧/ في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهلك المسيح الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون»(١).

وعنه أيضاً قال: قال النبي ﷺ:

«ليلة أُسْرى بي... ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ورأيت.. الحديث بطوله»(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«عُرِضَ عليَّ الأنبياء، فإذا موسى... ورأيت عيسى بن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً: عروة بن مسعود.. الحديث»(٣).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أبو داود برقم /٤٣٢٤/ في الملاحم، باب خروج الدجال، وكذا أخرجه الحاكم وابن خزيمة وصححاه.

(٢) رواه البخاري (٤/١٢٤) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**هل أتاك حديث الغاشية**﴾، وباب ﴿**واذكر في الكتاب مريم**﴾ - ومسلم برقم /١٦٨/ في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ. وأحمد في المسند (٢/٢٨٢) والترمذي برقم /٣٨٢٩/ في التفسير باب ومن سورة بني اسرائيل.

(٣) رواه مسلم برقم /١٦٧/ في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ=

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكر رسول الله ﷺ ليلة أسري به فقال: «**ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس... الحديث**»[1].

وأما عن محل نزوله ووقته: فيكون ذلك عند المنارة البيضاء شرق دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، ويكون هذا الوقت مع الفجر حيث اصطف المسلمون للصلاة، وتقدم إمامهم ـ الرجل الصالح وعلى الغالب هو المهدي ـ للصلاة فيهم، فعندما يعلم بعيسى يتأخر طالباً من عيسى أن يتقدم ليؤمهم، فيأبى، فيصلي بهم المهدي ويقتدي به نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام تكرمة لهذه الأمة.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديث الدجال الطويل: قال رسول الله ﷺ: «**... فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.. بين مهر ودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه... الحديث بطوله**»[2].

= والترمذي برقم /٣٦٥١/ في المناقب، ، باب شبه الأنبياء ببعض أصحابه.

(١) رواه البخاري (٤/٧٧) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**هل أتاك حديث موسى**﴾، ومسلم برقم (١٦٥/ في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم وقد سبق تخريجه ص ٨٩.

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»(٢).

قال الحافظ ابن كثير في النهاية: (هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فتصرف الراوي في التعبير

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير، وذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم /٨٠٢٥/ وصحيحه، وأشار أيضاً إلى صحته الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريج فضائل الشام ص ٢٢ و٢٣ و٢٥ و٢٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم /١٥٦/ في الإيمان، باب نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة..»[1].

وكل هذا كائن والمسلمون في حالة حرب يعدون أنفسهم لحرب الدجال قبحه الله، لما ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ:

«.. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأَمَّهُم[2]. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»[3].

● مدة مكث المسيح عليه السلام في الأرض والأحداث التي تجري على يديه في هذه الفترة

لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ أن مدة بقاء نبي الله عيسى عليه السلام في الأرض أربعون عاماً، ثم يتوفى ويصلي عليه

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٩٢)

(٢) (فأمهم): ليس المراد هنا في الصلاة، فقد ورد في بعض الروايات (فأقكم منكم) قال ابن أبي ذئب؛ تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل، وسنة نبيكم ﷺ.

(٣) رواه مسلم برقم /٢٨٩٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب فتح القسطنطينية.

المسلمون، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«. . . **ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون**»[1].

وأما عن الأحداث التي تجري في زمن عيسى عليه السلام والمهام التي يؤديها فهي:

١ ـ القضاء على الدجال وفتنته:

لقد علمنا مما سبق أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ينزل بينما يكون المسلمون في حال إعداد أنفسهم لحرب الدجال، وعلمنا أن الصلاة تقام في ذلك الوقت، فيصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلف الرجل الصالح، وعندما يعلم الدجال بنزول عيسى عليه السلام يهرب فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين، فيأمرهم عيسى عليه السلام بفتح الباب فيفعلون ويكون وراءه الدجال فينطلق هارباً «فيلحقه نبي الله عليه

---

(١) رواه أبو داود برقم /٤٣٢٤/ في الملاحم، باب خروج الدجال، واسناده صحيح، وأورده السيوطي في الجامع الصغير برقم /٥٢٦٥/ وأشار إلى صحته. وأول الحديث: (ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل. . . . الحديث).

السلام فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقضي عليه وعلى من معه من يهود.

ففي الحديث الصحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف[1] قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي[2]، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل ليتوارى به يهودي إلا أنطق ذلك الشيء. لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق،

---

(١) (فإذا انصرف): أي إلى بيت المقدس، لأن النزول بدمشق، بينما الدجال في هذا الوقت يحاصر عصابة من المسلمين عند بيت المقدس، يدل على ذلك الأحاديث الأخرى الآتية إن شاء الله.

(٢) (باب اللد الشرقي): اللد: بلدة مشهورة من أعمال فلسطين، بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ إلى جهة الشمال.

إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله . .»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«. . . فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»(2).

وهكذا يكون أول عمل يقوم به نبي الله عيسى بن مريم بعد نزوله من السماء هو مواجهة الدجال والقضاء عليه وعلى من يتبعه من يهود.

٢ ـ هلاك يأجوج ومأجوج بضراعة عيسى وأصحابه:

إن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى وسنتحدث عنها مفصلاً إن شاء الله بشكل مستقل، والداعي للحديث عنهم في هذا الموضع هو أنهم يخرجون في

---

(1) حديث صحيح، رواه ابن ماجة برقم /٤١٢٨/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٦ و٤٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي. وكذلك أشار إلى صحته ابن خريجة والضياء. وهو حديث طويل فيه ذكر جميع أوصاف الدجال، ووقت خروجه، ومكانه، وقتله من قبل نبي الله عيسى عليه السلام.

(2) رواه مسلم برقم /٢٨٩٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

زمن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال وفتنته، فيفسد هؤلاء القوم في الأرض فساداً كبيراً، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم شر هلكة، كما ورد ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديثه الطويل عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وسيأتي قريباً إن شاء الله.

٣ ـ القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام:

لا شك في أن عيسى عليه السلام عندما ينزل من السماء يكون تابعاً لشرع الإسلام، فيحكم بكتاب الله عز وجل، وبسنة نبينا محمداً ﷺ، وبذلك يقضي على كل الشرائع التي تحكم الناس سوى الإسلام، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

ومن أجل هذا فهو يكسر رمز النصرانية المحرفة

---

(١) الآية /٨١/ من سورة آل عمران.

(الصليب)، ويقتـل الخنـزيـر المحـرم في كتـاب الله، ويضـع الجزية فـلا يقبل من أحـدٍ من اليهود أو النصـارى وغيرهم إلا الإسلام، أو القتل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«والـذي نفسي بيـده، ليـوشكن أن ينـزل فيكم ابن مـريم حكـماً مقسـطاً، فيكسر الصليب، ويقتـل الخنـزيــر، ويضـع الجزية».

وفي روايـة أخـرى: «**كيف أنتم إذا نـزل ابن مـريم فيكم فــأمكم منكم**» قــال ابن أبي ذئب للولـيــد بن مـسلم راوي الحديث عن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ»[1].

وعن أبي هـريـرة رضي الله عنـه أيضـاً أن رسـول الله ﷺ قال:

«ليس بيني وبـين عيسى نبي، وإنـه نـازل، فـإذا رأيتمـوه فـاعرفـوه، رجل مـربـوع إلى الحمـرة والبيـاض، ينـزل بـين ممصرتين، كأن رأسـه يقطر وإن لم يصبـه بلل، فيقاتـل الناس عـلى الإسـلام، فيـدق الصليب، ويقتـل الخنـزيـر، ويضـع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلهـا إلا الإسلام، ويهلك

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهم وقد سبق تخريجه في ص ٩٦.

المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[1].

٤ ـ رفع الشحناء والتباغض من بين الناس، وشيوع الأمن والرخاء بين الخلق.

ومن الأمور التي أخبرنا عنها محمد ﷺ أنها تحدث في زمن المسيح عيسى عليه السلام: أن الشحناء والتباغض والتحاسد ترفع من بين الناس حيث تجتمع كلمة الجميع على الإسلام، وتعم البركة وتكثر الخيرات حيث تنبت الأرض نبتها كعهد آدم عليه السلام، ولا يُرغب في اقتناء المال لكثرته، وينزع الله في ذلك الوقت سُمَّ كل ذي سم حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها، فتملأ الأرض أمناً وسلماً، وينعدم القتال بين البشر فترخص الخيل لعدم القتال، وترتفع أسعار الثور لأن الأرض تحرث كلها.

ففي الصحيح عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«... ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ[2] منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض:

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه في ص ٩٧.

(٢) (لا تكُنُّ): أي لا يمسك الماء.

أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها[1]، ويبارك في الرِّسْل[2] حتى أن اللقحة[3] من الإبل لتكفي اللفئام[4] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[5] من الناس. . الحديث»[6]

ومن حديث أبي أمامة الطويل أن رسول الله ﷺ قال:

«. . . فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً يدق الصليب، ويذبح[7] الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يُسْعى على شاة ولا بعير[8]، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة[9]، حتى يُدخل

---

(١) (بقحفها): أي بقشرها.

(٢) (الرِّسْل): بكسر الراء. اللبن.

(٣) (اللقحة): الناقة التي يكون لها لبن.

(٤) (اللفئام): الجماعة من الناس.

(٥) (الفخذ من الناس): هم دون القبيلة، والقبيلة دون اللفئام.

(٦) جزء من حديث طويل في الدجال ونزول عيسى، رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٧) (يذبح الخنزير): أي يقتل الخنزير كما في الأحاديث الأخرى.

(٨) (فلا يسعى على شاه ولا بعير): يكون ذلك لعدم الحاجة إلى السعي، وطلب الرزق من كثرة وفرة الخيرات.

(٩) (تنزع حمة كل ذات حمة): ينزع السم من كل ذات سم كالأفعى والعقرب وغيرها.

الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور[1] الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات، . . .»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«طوبى لعيش بعد المسيح[3]، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبَّك على الصفا لنبت، وتُشاح ولا تحاسد ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره»[4].

---

(١) (الفاتور): هو الخوان الذي تخزن فيه المجوهرات.

(٢) جزء من حديث صحيح. سبق تخريجه في ص ٨٠.

(٣) (طوبى لعيسى بعد المسيح): أي بعد نزول المسيح، وليس المقصود بعد موته وهذا موافق للأحاديث الصحيحة الأخرى، فإن الخير والأمن والسلام وبحبوحة العيش تكون في زمنه عليه السلام.

(٤) أنظر السلسلة الصحيحة لشيخنا الألباني في حفظه الله برقم /١٩٢٦/ حيث عزاه للأقباري، ومن طريقه الدياسمي، والضياء في المنتقى من طريق آخر والحديث صحيح على شرط البخاري. وذكره السيوطي في=

● كلمة أخيرة لا بد منها:

لا شك أن القارىء الكريم سيدرك مما أسلفنا في الكلام عن مسيح الهدى عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بأنه قد تواترت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على نزوله عليه السلام، وأن هذا ما عليه إجماع الأمة المسلمة من لدن عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأنه لا عجب في هذا التواتر في الأحاديث والاجماع، فإنما مبناهما على تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء آية(١٥٩) وهذا ما صرح به المفسرون قاطبة عليه **فأخرجوا** ما تواتر من هذه الأحاديث تحت هذه الآية، ولا سيما حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، فقد قال فيه بعد ذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام متأكداً بالقسم: (واقراءوا إن شئتم: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته).

ولعل القارىء الكريم سيتساءل عن الحكمة بنزول المسيح عليه السلام في ذلك الوقت، وعن سبب ورود الأحاديث النبوية بألفاظ متعددة حيث وردت تارة مصرحة بلفظ النزول كقوله ﷺ: **«ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم..»** و**«كيف**

= الجامع الصغير برقم /٣٨١٤/ وأشار إلى صحته. ووافقه الألباني على ذلك في صحيح الجامع.

إذا نـزل فيكم ابن مريم . .» وتـارة بلفظ البعث كقولـه ﷺ : «**إذا بعث الله المسيــح ابن مـريم . .**» و«**يبعث الله عيسى بن مريم . .**» .

وتـارة بلفظ الرجـوع كقـولـه ﷺ : «**إن المسيـح ابن مـريم خارج قبل يوم القيامة . .**» .

وتارة عبر عنها بموت المسيح والبشارة لمن يعيش بعده كقوله ﷺ : «**طوبى لعيش بعد المسيح . .**» وللإجـابة عن ذلـك نقول وبالله التوفيق .

إن الـداعي لهذا التعـدد بألفـاظ الحـديث والله أعلم ـ أن الخـطاب في هذا البـاب موجـه إلى ثلاثـة أصنـاف من النـاس (اليهود والنصارى والمسلمين) .

فنـاسب في خطاب اليهـود الذين يـزعمـون بـأنهم صلبـوا المسيح وأنه قد مات، أن يذكر الألفاظ الدالة على الحياة ونفي الموت عنه عليـه السلام، ومن المعلوم أن يهـود قد همت بقتـل المسيح عيسى بن مريم وصلبه، وقد جـرى من أمرهم مـا بينه الله في كتابه العـزيز، وهم لا يـزالون يـدعون قتله وينسبـون معجزاته إلى السحر وغير ذلك . وعلى هذا يكون نزول المسيح في الـوقت الذي يكـون اليهود فيـه جنوداً من جنـود الـدجـال اللعـين، وقتل عيسى ابن مـريم لـرئيسهم وكبـيرهم الـدجـال المدعى للربوبيـة، وتواري اليهـود خلف الحجارة والأشجـار،

ونطق الأحجار والأشجار وإخبارها للمسلمين بمن خلفها لدلالة واضحة لهم ولغيرهم من الكاذبين على تبرئة المسيح عليه السلام من كل ما نسبوه إليه من البهتان.

وناسب أيضاً أن يكون الخطاب للنصارى الذين يعتقدون بحياة المسيح حياة أبدية كما يعتقدون بألوهيته أن يذكر لهم الأحاديث المعبرة عن الموت للمسيح والبشارة لمن يعيش بعده، فيكون بهذا رداً مفحماً للنصارى ودليلاً لهم ليؤمنوا بأن المسيح عليه السلام عبد لله ورسول منه، وأنه سيجري عليه ما يجري على البشر في تلك المدة بقدر الله عندما يدنو أجله، فإنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء ولكن أمره يجري على ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (سورة طه، الآية: ٥٥).

كما ناسب أيضاً أن يكون الخطاب للمسلمين الذين يعتقدون بحياة المسيح وأنه لم يصلب ولم يقتل، وإنما رفعه الله إليه، وأنه نازل ليستوفي بقية حياته على الأرض، فيجدد دين الإسلام ويحكم به، ويقيم العدل، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ثم يموت كغيره من البشر والأنبياء المرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم. وعلى هذا كان الاكثار في هذا المقام بخطاب المسلمين من لفظ النزول وما يشبهه من الألفاظ وبالله التوفيق.

٤ ـ خروج ياجوج وماجوج

العلامة الرابعة من علامات القيامة الكبرى: ظهور يأجوج ومأجوج، ووجود يأجوج ومأجوج وخروجهم، ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾(١).

وأما السنة: فما ورد في صحيح مسلم وغيره من حديث النواس بين سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«... إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون... الحديث بطوله»(٢).

وقوله ﷺ عن الساعة: **«إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر**

---

(١) الآية /٩٦/ من سورة الأنبياء.

(٢) جزء من حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال، رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ:

«لن تكون ـ أو لن تقوم ـ حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، و... الحديث»[1].

وأما الإجماع: فقد أجمعت أمة محمد ﷺ على أن خروجهم حق، وقد نقل الإجماع جمهور علماء الأمة، يقول الإمام ابن عبد البر بعد أن نقل الإجماع على ذلك: فإنه أي أمر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت، لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله عقل فوجب اعتقاده.

● ما قيل في أسمائهم وأنسابهم وأوصافهم:

يجمع أكثر القراء على أن ياجوج وماجوج بغير همز، وقرأ

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٠١/ في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف.

عاصم بالهمزة الساكنة فيهما، وهما اسمان أعجميان عند الأكثر منعاً من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل: بل عربيان، واختلف في اشتقاقهما، فقيل: من أجيج النار وهو التهابها، وقيل: من الآجة بالتشديد وهي الاختلاط، وقيل: من الآج، وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجاج، وهو الماء الشديد الملوحة، وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح[1].

واختلف أيضاً في نسبهم، والصحيح أنهم من ولد آدم وحواء عليهما السلام، وقد ذكر الإمام، ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: يا آدم قم فابعث بعث النار[2]، قال: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، يا رب وما بعث النار؟ قال: فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قال: فيقولون: وأيُّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/١٠٦).
(٢) (بعث النار): المراد هنا: ميز أهل النار من غيرهم.

ومأجوج، ومنكم واحد، قال: فقال الناس: الله أكبر».

وفي رواية قال: «فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله! أيُّنا ذلك الرجل؟ فقال: ابشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل»[1].

وأما عن صفاتهم فهم عراض الوجوه، صغار العيون، شعورهم شقراء، كأن وجوههم المجان المطرقة، لاستدارتها وكثرة اللحم عليها، ويتصفون أيضاً بكثرة العدد.

فعن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب اصبعه من لدغة عقرب فقال:

«إنكم تقولون لا عدو لكم، إنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يخرج يأجوج ومأجوج عِراض الوجوه، صغار العيون صُهْب[2] من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة»[3].

---

(١) رواه البخاري (١٩٦/٧) في الرقاق، باب قول الله تعالى: **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** ومسلم برقم /٢٢٢/ في الإيمان، باب قوله: **﴿يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين﴾**.

(٢) (صُهب) الصهبة: حمرة أو شقرة في الشعر.

(٣) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٢٧١/٥)، والطبراني كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٨) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«... **إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه[1]، يأجوج ومأجوج**»[2].

ومما يدل على كثرة قوم يأجوج ومأجوج أن المسلمين يوقدون من أدواتهم الحربية سبع سنين.

فمن حديث النواس بن سمعان الطويل عند الترمذي وابن ماجة قال: قال رسول الله ﷺ:

«... **ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين**». هذه رواية الترمذي، وعند ابن ماجة بلفظ: (سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين»[3].

ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة أوأطول، وأن منهم

---

(١) (كثرتاه): أي يفوقهم بالكثرة من حيث العدد.

(٢) جزء من حديث طويل في بعث النار، رواه الترمذي برقم /٣١٦٨/ في التفسير، باب ومن سورة الحج، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

(٣) رواه الترمذي برقم /٢٢٤٠/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال، وابن ماجة برقم /٤١٢٧/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج. وسند الحديث صحيح إسناد الترمذي إسناد مسلم ولكنه لم يسقه بلفظه. أنظر ما قاله الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /١٩٤٠/.

القصير مثل الشيء الحقير بطول الشبر، وأن منهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويفترش بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم به، وقال مالا دليل عليه، ويكفينا ما ورد في الصحيح من صفاتهم ففيها غنى عن الضعيف والموضوع.

● حفرهم السد، وإشارته ﷺ إلى اقتراب الشر من العرب بسبب خروجهم:

لقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن ذا القرنين أثناء تطوافه في الأرض بلغ بين السدين، وأنه وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، وأنهم اشتكوا له من الضرر الذي يلحق بهم من يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه أن يقيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً يمنع عنهم فسادهم، وقد استجاب لطلبهم، وبنى لهم السد كما ورد ذلك في سورة الكهف من آية /٩٣ حتى ٩٩/.

وأخبرنا أيضاً سبحانه وتعالى أن ذلك السد يمنع يأجوج ومأجوج من الخروج إلى أن يأذن الله، فإذا تم ذلك كان علامة كبرى من علامات قرب الساعة. قال جل شأنه: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[1].

---

(١) الآيات /٩٧ - ٩٩/ من سورة الكهف.

وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول:

«**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها**» قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[1].

● وقت خروج يأجوج ومأجوج وما يحصل من الفساد بسببهم

أخبرنا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بأن خروج قوم يأجوج ومأجوج يكون بعد نزول نبي الله عيسى عليه السلام من السماء وقتله للدجال قبحه الله. وفي الفقرة السابقة ذكرنا حديث رسول الله ﷺ وإخباره أنه فتح على زمانه فتحة صغيرة من السد، وستبقى هذه المحاولات منهم مستمرة، ولكن الله يحول بينهم وبين فتحه إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويجيء الوقت المحدود.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (٨/١٠٤) في الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ومسلم برقم /٢٨٨٠/ في الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء»[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قال ابن العربي: (في هذا الحديث ثلاث آيات: الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً. الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقى على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه. الثالثة: أن صدهم عن أن يقولوا: إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود)[2].

(١) حديث صحيح، رواه الأمام أحمد في المسند (٢/ ٥١٠ و٥١١)، والترمذي برقم /٣١٥٣/ في التفسير، باب ومن سورة الكهف، وابن ماجة برقم /٤١٣١/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وابن حيان في صحيحه برقم /١٩٠٨/ كما في الموارد والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. قال شيخنا الألباني حفظه الله: وهو كما قال. انظر السلسلة الصحيحة برقم /١٧٣٥/.

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٩٠).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: قلت: (وفيه أن فيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة، ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها)[1] ا. هـ.

وفي حديث الدجال الطويل عند مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... ثم يأتي عيسى قومٌ قد عصمهم الله منه (أي من الدجال) فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم[2]، فحرِّز عبادي إلى الطور[3]، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربوا ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماءً، ويُحصَرُ نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم».

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٠٩٠).

(٢) (لا يدان لأحد بقتالهم) معناه: لا قدرة ولا طاقة لأحد على قتال يأجوج ومأجوج.

(٣) (فحرز عبادي إلى الطور): أي ضمهم إلى جبل الطور واجعله لهم حفظاً وحضناً لهم.

وزاد في رواية بعد قوله: «ـ لقد كان بهذه مرة ماء ـ ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر[1] وهو جبل ببيت المقدس. فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم[2] إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تُفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[4] فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ها هنا ماءً مرة!! حتى إذا لم يبق من الناس إلا في حصن أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء!

---

(١) (الخَمَرِ): الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وهذا موجود بكثرة في جبل بيت المقدس كما فسره في الحديث.

(٢) (بنشابهم): أي سهامهم. وأحدها نشاب.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٤) الآية /٩٦/ من سورة الأنبياء.

قال: «ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مختضبة دماً للبلاء والفتنة»[1].

● هلاك يأجوج ومأجوج وعودة الرخاء والبركة على المسلمين:

وبعد طغيان أقوام يأجوج ومأجوج وإفسادهم وعتوهم في الأرض، وإهلاكهم للحرث والنسل، يتضرع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الله سبحانه وتعالى، ليكشف عنهم ما حلَّ بهم من البلاء والمحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها، فيستجيب الله لهم، فيسلط أضعف خلقه من الدود الصغير على أشد خلقه عتواً وطغياناً فيهلكهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فتمتلىء الأرض من نتنهم، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله فيرسل طيراً تحملهم وتطرحهم في الأرض، ثم يرسل مطراً تغسل آثارهم، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمارها،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٧٧)، وابن ماجة رقم /٤١٣٠/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، وابن حيان برقم /١٩٠٩/ كما في الموارد، والحاكم في المستدرك (٤/٤٨٩)، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

فيعم الرخاء، وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم وأصحابه في عيش رغيد.

ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديثه الطويل، قال: قال رسول الله ﷺ:

«... ويُحاصَر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف(1) في رقابهم، فيصبحون فرسى(2) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم(3) ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(4) فتحملهم فتطرحهم حيثما شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة(5) ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة،

---

(1) (النغف): دود صغير يكون في أنوف الإبل والغنم.

(2) (فرس): جمع فريس، وهو القتيل.

(3) (زهمهم) الزهمة: الريح المنتنة.

(4) (البخت): الإبل الخراسانية، وهي جمال طوال الأعناق.

(5) (الزلفة): أي كالمرآة في صفائها ونقائها.

ويستظلون بقحفها[1]، ويبارك في الرِّسْلِ[2] حتى إن اللقحة[3] من الإبل لتكفي الفئام[4] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[5] من الناس»[6].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«... ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مخضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو، قال: فيتجرد منهم رجل محتسباً لنفسه قد أطنها على أنه

---

(١) (بقحفها): أي مقعر قشرها.

(٢) (الرُّسْل): هو اللبن.

(٣) (اللقحة): هي من الإبل والقنح وغيرها القريبة العهد بالولادة، واللقوح ذات اللبن.

(٤) (الفئام): هي الجماعة الكثيرة.

(٥) (الفخذ من الناس): أي الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

(٦) رواه مسلم برقم /٢٩٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، وروى الترمذي نحوه بتغير بسيط في الألفاظ وبنفس السند برقم /٢٢٤١/ في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط»[1].

---

(١) جزء من حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٧٧) وابن ماجة برقم /٤١٣٠/ في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، وابن حيان برقم /١٩٠٩/ كما في موارد الظمآن، والحاكم في مستدركه (٤/٤٨٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

٥ ـ تخريب الكعبة شرفها الله
على يدي ذي السويقتين الأفحج قبحه الله

من علامات الساعة الكبرى هدم الكعبة المشرفة وسلبها حليها، وتجريدها من كسوتها على يد رجل من الحبشة سماه رسول الله ﷺ بوصفه «ذو السويقتين».

● **اسمه وصفته:**

إنما سمي ذو السويقتين بهذ الصفة وبالتصغير لصغر ساقيه وضعفهما ودقتهما، ومعلوم أن عامة الحبشة في أسوقتهم دقة وحموشة.

وقد وصفه رسول الله ﷺ وصفاً دقيقاً، فذكر أنه أسود اللون، وأنه بعيد ما بين الرجلين، وهذه من نعوت الحبشان أيضاً، ووصفه بأنه أصلع قد ذهب شعر مقدم رأسه، وبأن في مفاصله اعوجاج قد زال بعضها عن مواضعه.

ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كأني به أسود أفحج[1]، يقلعها حجراً حجراً ـ يعني الكعبة»[2].

---

(١) (الأفحج): البعيد ما بين الفخذين.

(٢) رواه البخاري (٢/٥٩) في الحج، باب هدم الكعبة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلعاً[1] أفيدعاً[2] يضرب عليها بمساحيه[3] ومعوله[4]»[5].

● الزمن الذي تهدم فيه الكعبة:

لا شك أن هدم الكعبة المعظمة واقع لا محالة ويجب اعتقاده لما أخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

وفي رواية قال:

«ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله»[6].

(١) (أصيلع): هو تصغير الأصلع. الذي انحسر الشعر من مقدم رأسه.

(٢) (أفيدع): من به فدع، وهو اعوجاج المفاصل.

(٣) (مساحيه): آلة مصنوعة من الحديد يجرف بها التراب، ويقال لها: المجرفة.

(٤) (المعول): الفأس العظيم الذي ينقر بها الصخر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٢٠) بإسناد صحيح، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠١) وقال: رواه أحمد الطبراني في الكبير وهو ثقة، ولكنه يدلس.

(٦) رواه البخاري (٢/٥٩) في الحج، باب هدم الكعبة، وباب قول الله=

وللبخاري منفرداً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كأني به أسود أفحج، يقلعها حجراً حجراً - يعني الكعبة»(1).

وأما بالنسبة للزمن الذي يحصل فيه هذا الأمر الخطير، فقد اختلف فيه العلماء، فقيل: أن ذلك يكون في زمن عيسى عليه السلام، وقيل: زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج ويحج الناس ويعتمرون، كما ثبت ذلك، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَيُحجَّنَّ هذا البيت وليُعتمرَّن بعد خروج يأجوج ومأجوج»(2).

وثبت أيضاً أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال سينزل إلى الروحاء - مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة - فيهل بالحج أو العمرة، أو يجمع

= تعالى: ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس**﴾ وسلم برقم /٢٩٠٩/ في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبره الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، والنسائي (٥/٢١٦) في الحج، باب بناء الكعبة.

(1) سبق تخريجه في الفقرة السابقة.

(2) رواه البخاري (٢/٥٨) في الحج، باب قول الله تعالى: ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس**﴾.

بينهما فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً، أو معتمراً، أو ليثنيهما»[1].

والظاهر من الأحاديث أن هدم البيت الحرام يكون بعد موت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من إيمان، وبعدها يهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبداً.

● كلمة أخيرة لا بد منها:

لعل الكثير من الناس يتساءل مستغرباً! كيف يسلط الله هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله الحرام؟ وكيف يتم ذلك وهو يتنافى مع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]؟ وقد حماه سبحانه وتعالى من أصحاب الفيل، وجيرانه حينئذ كفار ومشركون، فكيف يسلط عليه الحبشة، وهو قبلة المسلمين والحج إليه أحد أركان الدين؟!

---

(١) رواه مسلم برقم /١٢٥٢/ في الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه.

(٢) الآية /٦٧/ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية /٢٥/ من سورة الحج.

والجواب على ذلك ما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري حيث قال: «. . وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض من أحد يقول: الله، الله كما ثبت في صحيح مسلم «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1] ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان (لا يعمر بعده أبداً، وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية، ثم من بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة[2] بعد الثلاثمائة، فقتلوا من المسلمين في المطاف من

---

(١) رواه مسلم برقم /١٤٨/ في الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، ورواه أيضاً الترمذي برقم /٢٢٠٨/ في الفتن، باب رقم (٥)، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) (القرامطة): حركة باطنية هدامة، اعتمدت التنظيم السري العسكري، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ، وقد بدأت هذه الحركة بعبد الله بن ميمون القداح الذي نشر المبادىء الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، ويعتبر مؤسس دولة القرامطة الحقيقي سليمان بن الحسن بن بهرام الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة. هاجم مكة عام ٣١٩ هـ وفتك بالحجاج وهدم زمزم، وملأ المسجد بالقتل ونزع الكسوة وقلع باب البيت العتيق واقتلع الحجر الأسود وسرقه إلى الأحساء وبقي الحجر هناك إلى عام ٣٣٩ هـ. من أهم معتقداتهم الفاسدة الشيوعية في كل شيء حتى في النساء، =

لا يحصى كثرة، وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم، ثم أعادوه بعد مدة طويلة، ثم غُزي مراراً بعد ذلك، وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[1] لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله ﷺ: **«ولن يستحل هذا البيت إلا أهله»**[2] فوقع ما أخبر به النبي ﷺ،

= ويعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وان الجنة هي النعيم في الدنيا، ويقولون بالعصمة وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول النصوص ويساوي النبي في العصمة. كما يقولون بالرجعة، وأن علياً يعلم الغيب، ويسقطون التكاليف، وقد دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان وسيطرت على رقعة واسعة، وكان سقوط آخر معاقلهم في الإحساء والبحرين.

ومن المؤسف له أن نلاحظ اليوم بعض الكتابات المشبوهة، تحاول أن تقدم حركة القرامطة وغيرها من حركات الردة والتخريب على أنها حركات إصلاحية تنشد العدالة والحرية.

انظر كتاب أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، وتاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، تاريخ المذاهب الإسلامية وكتاب المؤامرة على الإسلام، وكتاب فضائح الباطنية.

(١) الآية /٦٧/ من سورة العنكبوت.

(٢) إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سمعان في سنده وهو ثقة ولهذا سكت عنه الحافظ ابن حجر بعد ما عزاه لأحمد، وهو عند الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٩١ و٣١٢ و٣٢٨ و٣٥١) من طرق عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان قال: سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه، فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم =

وهو من علامات نبوته، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها. والله أعلم». ا. هـ[1].

= تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً. وهم الذين يستخرجون كنزه».

(١) انظر كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٣/٤٦١ و٤٦٢).

٦ ـ ذكر الدخان الذي يكون قبل يوم القيامة

ومن علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة يملأ الأرض كلها فتصبح كبيت أوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزكمة، ويدخل في منافذ الكفار والمنافقين فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم.

وظهور أية الدخان ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإجماع الأمة، فأما دليل الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾(١).

وأما السنة: فما أخرجه مسلم وغيره من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أنه قال: «اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى

---

(١) الآيات /١٠ حتى ١٦/ من سورة الدخان.

بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن الدخان علامة من علامات الساعة، ولكنهم اختلفوا في ماهية الدخان، وهل هذه الآية مضت وانقضت، أم أنها لم تأت بعد؟

● مذاهب العلماء حول الدخان:

لقد انقسم الناس في ذلك إلى رأيين:

فمنهم من ذهب إلى أن الدخان هو ما أصاب قريشاً لشدة الجوع والقحط بعد دعاء النبي ﷺ بذلك، فكان أحدهم يرى كأن فيما بينه وبين السماء دخان من شدة الجوع، وأنها قد انقضت ومضت، وهذا هو مذهب ابن مسعود رضي الله عنه، وجماعة من السلف ذهبوا مذهبه كمجاهد، وأبي العالية، وعطية العوفي، والنخعي، والضحاك، وهو اختيار ابن جرير الطبري.

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٠١/ في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف، واللفظ لمسلم.

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما رواه البخاري ومسلم من حديث مسروق بن الأجدع رحمه الله قال: (كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود ـ وهو مضطجع بيننا ـ فآتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم: أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام، فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس، اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم، فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1] إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعاً كسبع يوسف[2].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوه، واستعصوا عليه، فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة حَصَّت[3] كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم، فيرى كهيئة

---

(١) الآية /٨٦/ من سورة ص.

(٢) (سبعاً كسبع يوسف): دعاء من النبي ﷺ بأن يبعث ويسلط عليهم سبع سنين كالتي كانت في زمن يوسف عليه السلام المجدبة التي ذكرها الله في كتابه العزيز.

(٣) (حصَّت): حلقت واستأصلت.

الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله عز وجل لهم، قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[1] قال عبد الله: أفيكشف عذاب الآخرة؟ (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) فالبطشة: يوم بدر.

وفي رواية قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لآن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط[2] وجهد[3] حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: فأُتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، قال: لمضر؟ إنك لجريء، فاستسقى لهم، فسقوا، فنزلت (إنكم

---

(١) الآيات /١٠ حتى ١٦/ من سورة الدخان.

(٢) (القحط): احتباس المطر.

(٣) (الجَهد): بفتح الجيم: المشقة والعناء.

عائدون) فلما أصابتهم الرفاهية[1] عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال: يعني يوم بدر.

وفي رواية أخرى قال: قال عبد الله: (خمس قد مضين: الدخان، واللزام،[2] والروم[3]، والبطشة[4]، والقمر[5])[6].

المذهب الثاني: أن الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده ولم تأت بعد، وهو قول الإمام علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس رضي الله عنهم، وجمهور من السلف كالحسن البصري وغيره. وقد رجح هذا المذهب ابن كثير رحمه الله مستدلاً بظاهر حديث الباب (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها الدخان)، وبما في الصحيحين من قول الرسول الله ﷺ لابن صياد: «**إني خبأت لك خبأ**،

---

(١) (الرفاهية): الدعة وسعة العيش.

(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿**فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**﴾

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**﴾

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾

(٦) رواه البخاري (٦/ ٣٩) في التفسير، في تفسير حم الدخان، باب (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)، وفي أبواب كثيرة وطرق متعددة بألفاظ متفاوتة، ومسلم برقم /٢٧٩٨/ في صفات المنافقين، باب الدخان.

قال: هو الدخ، فقال ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك؟»، قال وخبأ رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب. واستدل أيضاً بحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدابة، والثالثة: الدجال». رواه الطبراني وابن جرير وإسناده جيد[1] واستدل أيضاً بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لم تمض آية الدخان بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وتنفخ الكافر حتى ينقذ).

وبما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة أنه قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحت! قلت: لِمَ؟ قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أنه يكون الدخان قط طرق، فما نمتُ حتى أصبحت! قال ابن كثير رحمه الله: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة

---

(١) قول ابن كثير رحمه الله: وإسناده جيد، فيه نظر، فإن في السند فعالاً. وهو لا يخلو من الضعف كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥٧١).

وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد. وليس كما فسره ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع.

وهكذا قوله تعالى: (يغشى الناس) أي يغشاهم ويعميهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: (يغشى الناس) ا. هـ[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: قوله ﷺ في أشراط الساعة: «**لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال**» هذا الحديث يؤيد قول من قال: إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة، وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا وإنكار ابن مسعود عليه، وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٣ و١٢٤ و١٢٥).

الدخان، وقد وافق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر: حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً[1]، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار»[2].

---

(١) طريق حديث حذيفة رضي الله عنه. كما رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٥/١١٤) إسناده ضعيف. ذكر هذا الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥٧٣). وقال ابن جرير رحمه الله: لو كان صحيحاً فرسول الله ﷺ أعلم بما أنزل عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول، وإنما لم أشهد له بالصحة لأنه.. وساق العلة) انظر نفس المصدر المذكور (٢٥/١١٤) من جامع البيان عن تأويل أي القرآن.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥٧٣): ولو ثبت طريق حديث حذيفة لاحتمل أن يكون هو القاص المراد في حديث ابن مسعود. وقال قبل ذلك: لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٢٧).

٧ ـ طلوع الشمس من مغربها

لقد اقتضت سنة الله الجارية في الكون أن تطلع الشمس من جهة الشرق، وأن تغيب من جهة الغرب، وشاءت حكمته البالغة عز وجل أن يجعل طلوع الشمس من مغربها آية وعلامة من العلامات البينات الدالة على وقوع الساعة.

وآية طلوع الشمس من مغربها كغيرها من الآيات ثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك.

أما الكتاب: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾(١).

وقد أجمع جمهور المفسرين على أنها طلوع الشمس من مغربها.

أما السنة: فما رواه الإمام مسلم وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) الآية /١٥٨/ من سورة الأنعام.

«**إن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وخويصة أحدكم، وأمر العامة**»[2] قال هشام بن عامر: خويصة أحدكم: الموت، وقال قتادة: وأمر العامة: الساعة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَنْ عليها**».

وفي رواية: «**فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً**»[3].

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٤١/ في الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض وأبو داود برقم /٤٣١٠/ في الملاحم، باب أمارات الساعة.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٩٤٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال. وأحمد في المسند برقم /٨٨٣٦/.

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٩٠) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا =

وأما الإجماع: فقد أجمعت أمة الإسلام قاطبة على أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة وأشراطها مستندين في ذلك لما ثبت من الأحاديث الصحيحة والصريحة، ولما في القرآن الكريم المنزل على النبي ﷺ.

● أحوال الناس في الإيمان والعمل حين طلوع الشمس من مغربها:

يتلخص من معنى الآية الكريمة والأحاديث المذكورة السابقة وما في معناهما، بأن الشمس إذا طلعت من مغربها فإنه لا ينفع الإيمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان مشركاً أو كافراً، ولا بالتوبة المحدثة لمن كان مؤمناً ولكنه مقيماً على المعاصي، ولا تقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك، وإن كان الإيمان السابق ينفعه لأصل النجاة فلا يخلد في النار، وإن دخلها بذنوبه، وأما صاحب الإيمان السابق مع التخليط، فإنه ينفعه مع ما تقدم له من الأعمال الصالحة التي كان يعملها، وإنما الممنوع قبول توبته عن تخليطه، وقبول ما لم يكن متصفاً به من الإيمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم.

وأما المؤمن التائب عن المعاصي والذي يكسب في إيمانه

= والساعة كهاتين»، ومسلم برقم /١٥٧/ في الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان وأحمد في مسنده، برقم /٨٨٣٧/ وأبو داود برقم /٤٣١٢/ في الملاحم، باب أمارات الساعة.

خيراً ما استطاع، فهذا ينفعه إيمانه السابق لأجل نجاته، وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته، وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه مثلها.

● الضابط الشرعي في ذلك:

والضابط الشرعي في ذلك: أن كل برٍ محدث يكون السبب في إحداثه رؤية آية طلوع الشمس من مغربها، ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع، سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل برٍ سابق كان صاحبه عاملاً به قبل رؤية الآية فهو ينفع[1].

وقد علل العلامة القرطبي عدم قبول الإيمان في ذلك الوقت بقوله: «قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم ـ لإيقانهم بدنو القيامة ـ في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم

---

(١) للاستزادة في المعرفة في هذا الموضوع راجع الدر المنثور للسيوطي، وتفسير القرطبي وفتح الباري. وكلهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾. الآية /١٥٨/ من سورة الأنعام.

تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت»[1].

وقال الحافظ ابن كثير في النهاية[2]: فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه، وإنما كان كذلك ـ والله أعلم ـ لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة كما قال تعالى:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4].

---

(١) التذكرة للقرطبي، ص ٧٩٣ و٧٩٤.
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٢٢).
(٣) الآية /١٥٨/ من سورة الأنعام.
(٤) الآيتان /٨٤ ـ ٨٥/ من سورة غافر.

وقال تعالى:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

(١) الآية /٦٦/ من سورة الزخرف.

٨ - خروج دابة الارض وتكليمها للناس

ومن علامات الساعة الكبرى - بعد إغلاق باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها - تخرج دابة من الأرض تخالف ما عهده البشر من الدواب إذ تخاطب الناس وتكلمهم، وتميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة. وخروج هذه الآية العظيمة كغيرها من الآيات ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

وأما السنة: فما رواه مسلم وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين فسمعوه وهو يحدث عن الآيات: أن أولها خروجاً: الدجال، فقال عبد الله بن عمرو: لم يقل مروان شيئاً، قد حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ما سمعته يقول:

«أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها،

---

(١) الآية /٨٢/ من سورة النمل.

وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»(٢).

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:

«اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم»(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٤١/ في الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض، وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٩٤٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٩٠١/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من =

● صفات الدابة:

من أوصاف هذه الدابة التي جعلها الله آية وعلامة من علامات الساعة أنها تخالف معهود البشر من الدواب خلقة وعملاً، مثل مخاطبتها للناس وتكليمهم، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، كما ورد في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم[1]، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين»[2].

وكل ما ذكر من أوصاف في الشكل والفعل غير هذا فلم أجد له مستنداً صحيحاً، والله أعلم، لذا فضلت السكوت

= **فتوحات** المسلمين قبل الدجال، وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب **أمارات** الساعة والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف.

(١) (تسِم الناس على خراطيمهم): أي تكويهم بالنار على أنوفهم، بالإيمان أو الكفر، فيصبح ذلك سمة ووصفاً عاماً ظاهراً لذلك الإنسان.

(٢) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٢٦٨/٥) والبخاري في التاريخ الكبير (١٧٢/٢/٣)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٩) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة، وذكره شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في السلسلة الصحيحة برقم /٣٢٢/.

عند هذا الحد، مكتفياً بالصحيح خشية الوقوع في المحظور.

● كلمة أخيرة لا بد منها:

لقد اختلفت الأقوال في ما هية الدابة اختلافاً بيناً، وحاول أصحاب الأهواء يؤولون النص بما يوافق معتقداتهم وأهواءهم، فقيل بأن الدابة هي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه سيرجع إلى الدنيا بصفتها، وقيل أنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة، وقيل بأنها الجساسة الموجودة في بحر القلزم، وقيل بأنها فصيل ناقة صالح لما قتلت هرب فصيلها فانفتح له جحر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه فهو فيه حتى يخرج بصفة الدابة هذه، وقيل أنها الجراثيم، وقيل غير ذلك كثير، مما ليس له مستند صحيح، بل ولا ضعيف. ووجدت أثناء البحث كلاماً طيباً للأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله، أحببت أن أثبته لتعم الفائدة:

قال رحمه الله:

«والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة) ومعنى (الدابة) في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، وقد بين الحديث بعض فعلها، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه (الدابة) الآية، وأنها تخرج آخر الزمان، ووردت آثار أخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ

عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها، فانظر مثلاً تفسير ابن كثير (٦/ ٣٠٥ ـ ٣١٠).

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين إلى الإسلام، الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم من ملحدي أوروبا الوثنيين الإباحيين، المتحللين من كل خلق ودين، فهؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً، فيجمحون ويحاورون ويداورون، ثم يتأولون فيخرجون الكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون!

بل إن بعضهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسب للإسلام، وهي له عدو مبين، وعبيد لأعدائه المستعمرين!! فانظر إليهم أنَّى يترددون ويُصرفون؟ وأي نار يقتحمون؟ ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون»[1] ا. هـ.

---

(١) أنظر مسند الإمام أحمد بتحقيق الاستاذ أحمد محمد شاكر (١٥/ ٨٢).

٩ ـ رفع القرآن واندراس الاسلام وعودة الناس إلى عبادة الاوثان

من أشد معضلات الأمور وأخطرها على الأمة رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من المصاحف والصدور، واندراس الإسلام بالكلية، وقبض روح كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كل ذلك يتم في آخر الزمان علامة من علامات الساعة وتمهيداً لإقامتها على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئاً من الإسلام البتة.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَدْرُسُ[1] الإسلام كما يدرس وشي الثوب[2]، حتى لا يُدْرَى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وَلَيُسْرَى[3] على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقوله».

---

(١) (يَدْرُسُ)؛ مأخوذة من درس: الرسم دروساً إذا عفا وهلك وذهب أثره.

(٢) (وشي الثوب): نقشه وما عليه من الزينة المرسومة.

(٣) (وليسرى على كتاب الله): أي يطاف عليه ليلاً، فيؤخذ حتى لا يبقى منه آية لا في الصور ولا في المصاحف أو الكتب.

فقال صلة بن زفر لحذيفة بن اليمان: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة! تنجيهم من النار. ثلاثاً»(١).

وحتى هذه الطوائف من الشيوخ والعجائز الذين يقولون: لا إله إلا الله تقليداً **لآبائهم** سوف يكون مصيرهم الانقراض قبل قيام الساعة، فإنها لا تقوم إلا على شرار الخلق وأراذلهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله يبعث ريحاً من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»(٢).

وعن عبد الرحمن بن شماسة رضي الله عنه قال: (كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شرٌّ

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة في سننه برقم /٤٠٩٨/ في الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، والحاكم في المستدرك (٤/٤٧٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد على ابن ماجة: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. رواه مسدد في مسنده.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٩١٣/ في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون **مكان** الميت من البلاء.

من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم).

فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة، إسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**».

قال عبد الله: «أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مَسُّها مَسُّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة»(١).

ويكون قبض الصالحين الأفضل فالأفضل وهكذا حتى لا يبقى من الناس إلا الحثالة وهم أردأ الناس وأراذلهم كما روى ذلك الإمام البخاري من حديث مرداس الأسلي رضي الله عنه وكان من أصحاب الشجرة سمعه قيس بن أبي حازم يقول: «يُقبض الصالحون الأول فالأول، ويبقى حثالة كحثالة التمر والشعير لا يعبأ الله بهم شيئاً».

وفي رواية: قال النبي ﷺ: «**يذهب الصالحون: الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة التمر والشعير، لا يباهم الله بالة**» وقال: «ويقال: حفالة وحثالة»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم /١٩٢٤/ في الأمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».
(٢) رواه البخاري (٤/١٧٤) في الرقاق، باب ذهاب الصالحين.

ثم يتفاقم الأمر، ويتزايد الحال سوءاً، حتى يترك ذكر الله في الأرض، وينسى بالكلية، وينعدم أصل التوحيد.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله**».

وفي رواية أخرى: «**حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[1].

وعند هذا الحد الخطير باندراس الإسلام، تكون البشرية قد عادت إلى الجاهلية الأولى؛ بل إلى شر منها، فيصبح الناس عبيداً لشهواتهم، فيتلاعب بهم الشيطان، ويأمرهم بعبادة الأوثان، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند مسلم وفيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**. . . فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع[2] لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً. فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. . .**» الحديث[3].

---

(١) رواه مسلم برقم /١٤٨/ في الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، والترمذي برقم /٢٢٠٨/ في الفتن، باب رقم (٣٥) وأحمد في مسنده (١٠٧/٣)

(٢) (في خفة الطير وأحلام السباع): قال العلماء: معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور، وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير. وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العادية.

(٣) جزء من حديث طويل رواه مسلم برقم /٢٩٤٠/ في الفتن وأشراط =

وشرار الناس الذين أخبر عنهم المصطفى ﷺ سوف يتدنى عندهم المستوى الأخلاقي تدنياً هائلاً حتى يصل بهم الأمر إلى مستوى البهائم فيتهارجون ويتسافدون في الطرقات كما تتهارج الحمير، حيث يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير غير مكترثين لذلك والعياذ بالله.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا[1] في الطريق تسافد الحمير، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكونن»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى

= الساعة. باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياد، وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان.

(١) (التسافد والتهارج) بمعنى واحد، وهو مجامعة النساء بحضرة الناس دون مبالاة.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه ابن حبان برقم /١٨٨٩/ في الفتن، باب في أمارات الساعة كما في موارد الظمآن، وأخرجه أيضاً البزار في مسنده وقال: لا نعلمه من وجه يصح إلا من هذا الوجه.
وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٤٨١/ وقال: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم غير أحمد بن علي وهو أبو يعلى الموصلي الحافظ صاحب المسند وهو ثقة حافظ.

المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول لو واريتها وراء هذا الحائط»[1].

هذا ورفع القرآن يكون بأخذه من الصدور ومن المصاحف أما أخذه من الصدور فيكون بترك تذاكرة وترك المواظبة على دراسته وتُدبر معانيه، وترك العمل به، فإن العلم بالقرآن دون عمل لا يجدي شيئاً، بل يكون مدعاة لنسيانه ورفعه من
والكفر به، ولهذا شدد الله سبحانه وتعالى في الأمر
به، حتى جعل تارك العمل به، بل جعل العامل
الكتاب دون بعض كافراً بالجميع، فقال تعالى:
ذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ ﴾ وفي هذه الآية حجة
ـة على الذين يقرأون القرآن وليس لهم حظ منه إلا التغني
ـاظه وهز الرؤوس والأبدان دون الأفئدة، فإن قلوبهم خالية منه، ولذا كانت أعمالهم لا تنطبق عليه، فهم أشر ممن لم يقرأوا القرآن.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٤) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وذكره أيضاً الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم /٤٨١/، ولهذا الحديث شاهد من حديث النواس بن سمعان الطويل في حديثه عن الدجال ويأجوج ومأجوج وجاء في آخره:
«فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شراء الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة».
وهذا أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم /٢١٣٧/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، وأحمد في المسند (٤/١٨٢).

وقد أخبر المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بحدوث هذا الصنف من القراء في آخر الزمان، وأنهم يجعلون القرآن مزامير، وأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأنهم يتعجلونه ولا يتأجلونه أي يأخذون الأجرة العاجلة عليه في الدنيا، لأنهم لا يريدون به وجه الله في الدار الآخرة.

وقد بلغ بهم الأمر في بعض البلاد أن المقرئين يعلمون القراء تلحين القرآن على أوتار العود، وأن طالب التجويد لا يمكن أن يحصل على شهادة إلا بهذه الطريقة والعياذ بالله، وهذا أمر محقق لا يمكن إنكاره، وهو من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام، حيث أخبر به قبل أن يقع بأربعة عشر قرناً، وما القصد من إنزال الكتب الإلهية إلا العمل بها، فتعطيل العمل بكتاب الله تعطيل لألوهية في الأرض، وعودة إلى شرك أفظع من شرك التحريف، ونذير برفع القرآن من المصاحف واندراس الإسلام بالكلية. والله المستعان.

● **كلمة أخيرة لا بد منها:**

قد يفهم البعض من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقول الرسول ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب... الحديث**» أموراً مغلوطة، لذا وجدت من الفائدة التنبيه إلى بعض ما قد يرد على أذهان بعض أصحاب النفوس المريضة، فأقول مستعيناً بالله:

لا يجوز أن يفهم الناس أن اندراس معالم الإسلام واقع في الحاضر القريب، مما يؤدي إلى الوقوع في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن، فإن ذلك لا يقع قطعاً إلا بعد أن يسيطر الإسلام على المعمورة قاطبة، وتكون كلمة الله هي العليا كما بشرت بذلك الآيات الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره على الدين كله.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1].

وقال النبي ﷺ:

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»[2].

ومن هذا يتضح لكل ذي لب مبلغ ظهور الإسلام ومدى

---

(١) الآية /٢٨/ من سورة الفتح.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (٤/١٠٣)، وابن منده في كتاب الإيمان (١/١٠٢) والحاكم في المستدرك (٤/٣٣٠). وقال، صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي وذكره الشيخ الألباني بهامش تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد /ص ١٧٣/، وأشار على صحته، ورد على قول الحاكم: فقال: إنما هو على شرط مسلم فقط.

انتشاره بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه، فليشحذ العاملون للإسلام هممهم ويشمروا عن سواعدهم فيعدوا أنفسهم مادياً ومعنوياً ليستطيعوا التغلب على قوى الكفر والطغيان، وأي مكرمة أعظم عند الله ممن ينتصر الإسلام على يديه!! وأما الاندراس لمعالم الإسلام فكما ذكرنا في أول البحث بأنه سيكون في آخر الزمان وقبل قيام الساعة تمهيداً لإقامتها على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئاً من الإسلام البتة.

والأمر الآخر الذي أحب التنبيه إليه، هو أنه لا يجوز أن يفهم البعض من رد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه على صلة بن زفر بشأن كلمة التوحيد وقوله: (يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً). أن شهادة أن لا إله إلا الله تنجي قائلها من النار يوم القيامة، وأنه لا يكفر ولا يقتل ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى، ولو فعل ما فعل. فهذا مفهوم خاطىء وخطير يلتقي مع عقيدة المرجئة[1] الفاسدة

---

(١) المرجئة: نشأت هذه الفرقة في وسط كثر الكلام فيه حول مرتكب الكبيرة، أهو مؤمن؟ أم غير مؤمن؟ وفي هذا الوسط جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: إن الإيمان إقرار وتصديق واعتقاد ومعرفة، فلا يضر مع هذه الحقائق معصية، فالإيمان عندهم منفصل عن العمل. هذا والمرجئة أصناف أربعة: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، ومن رجالهم: يونس السحري وتنسب له (التونسية) وغسان الكوفي وتنسب له=

الذين يقولون بأن الإيمان هو الإقرار فقط والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ولو كان الأمر كما يدعيه هؤلاء الجهال: بأن كلمة التوحيد لفظ فقط، فَلِمَ قاتل رسول الله ﷺ اليهود وسباهم وهم يقولونها؟! ولِمَ أمر عليه الصلاة والسلام بقتل الخوارج[1]، مع

= (الغسانية) وأبو ثوبان المرجئي وتنسب له (الثوبانية) وصالح بن عمر والصالحي وتنسب له (الصالحية) وغيرهم كثير.
انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٩٠).

(١) (الخوارج): هم الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين، وهم الذين كان أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية، وهم الذين قال فيهم النبي الكريم ﷺ: «تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم» وهم المارقة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «سيخرج من ضئضئي هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».
ومن أبرز أفكار هذه الفرقة الضالة؛ قولهم بانحراف عثمان بن عفان رضي الله عنه بآخر خلافته، واستوجبوا له القتل أو العزل، وقولهم: بأن مرتكب الكبيرة كافر ما لم يتب منها.
وللخوارج طريق في مصدر التشريع (السنة النبوية) يختلف تماماً عن مذهب أهل السنة والجماعة.
وللخوارج أسماء كثيرة، وكبار فرقهم ستة: الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والأباضية، والثعالبة، والباقون فروعاً لهم. وعلى الرغم من اندثار هذه الجماعة المنحرفة الضالة فمن المؤسف له جداً أن=

كـونهم من أكثر النـاس عبـادة وتهليـلاً وتسبيحـاً؟! ولِمَ قـاتـل أصحـاب رسول الله ﷺ بني حنيفـة وهم يشهدون أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسول الله ويصلون ويـدعون الإسـلام؟! وكذلك تحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه للغـلاة الذين غالوا في علي رضي الله عنه.

بـل لِمَ جعل الله سبحـانه وتعـالى المنافقـين الذين يقـولـون كلمة التوحيد بألسنتهم، تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار؟ بل لو كانت كلمة التوحيـد مجرد كلمـة لكان أمـرها عـلى كفار قـريش سهلاً فتنـطقها، وتتخلص من هـذا العنـاء وتسفيه الآلهة. ولكن للأسف الشديـد أن كفار قـريش كانـوا أكـثر علماً من كثير ممن يـدعي الإسلام اليـوم فقـد فهمـوا من كلمة التوحيد التي طالبهم رسول الله ﷺ بقولها بأن لها مدلولاً سيغير أوضاعهم الجاهلية، وأن من مقتضياتها تحطيم كل صور الطغيان واستعباد الناس.

ومن المعلوم أن العلماء اتفقوا قديمـاً وحديثـاً على أن قضيـة التحليـل والتحريم من خصـائص رب العالمـين فمن ادعـاهـا

= نجد اليوم من جاء ليجدد تلك الأفكار الضالة ويعيد مأساة الخوارج. ألا فلنتق الله ولنتذكر دوماً قول الرسول ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر فقد بـاء بها أحدهما».

انـظر الفصل في الملل والنحـل (١/١٥٤ حتى ١٨٥) والفرق بـين الفـرق ص ٧٢ حتى ١٠٩.

لنفسه فقد نصب نفسه إلهاً ونداً يعبد من دون الله.

واتفقوا أيضاً على أن إقصاء شريعة رب العالمين المتمثلة بأركان الإسلام والإيمان كفر بواح لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة.

ومن أجل هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن أورد قول النبي ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»**[1].

(١) رواه الإمام مسلم في صحيح برقم /٢٣/ في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. وهو من حديث طارق الأشجعي رضي الله عنه.
وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه كما في البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال:
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا. حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها».
وفي رواية قال: «سأل ميمون بن سياه أنساً: ما يحرم دم العبد وماله؟
قال: من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم.
انظر صحيح البخاري (١٠٣/١) في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، وأبو داود برقم /٢٦٤١/ في الجهاد، باب ما يقاتل المشركون، والترمذي برقم /٢٦٠٩/ في الإيمان، أول الباب، والنسائي (١٠٩/٨) في الإيمان، باب على ما يقاتل الناس.

(وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإن لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه)[1].

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله: (ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[2] وقوله: «**لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله**»[3]، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت

---

(١) انظر كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في فتح المجيد ص ١١٥ بتحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

(٢) رواه مسلم برقم /٢٦٣/ في المساجد، باب.

(٣) رواه البخاري (١/١٠٩) في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، وفي الرقاق، باب العمل الذي ابتغي به وجه الله.

على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة، فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار...»[1]،

وقال أيضاً رحمه الله: (والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله، ومعلوم أن عصمة المال والدم على الإطلاق لم تحصل إلا بها وبالقيام بحقها، وكذلك النجاة من العذاب على الإطلاق لم تحصل إلا بها وبحقها)[2].

هكذا فهم أصحاب رسول الله ﷺ معنى كلمة التوحيد فالتزموا أحكامها وعملوا بمقتضياتها، ولنستمع إلى الإمام

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٣٠).
(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم رحمه الله ص ٤٣.

سفيان بن عينية[1] رحمه الله وهو يشرح حقيقة كلمة التوحيد وكيف فُهمت من قبل خير القرون ومن بعدهم من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد حدّث محمد بن عبد الملك المصيصي فقال: كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة، فسأله رجل عن الإيمان؟ فقال: قول وعمل، قال: يزيد وينقص؟ قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه، وأشار سفيان بيده، قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون: أن الإيمان قول بلا عمل؟ قال سفيان: كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الإيمان وحدوده، فإن الله عز وجل بعث نبينا محمداً ﷺ إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا: لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، فلما قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل.

فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن

---

(١) (سفيان بن عيينة): هو الإمام الكبير الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي، وُلِد في الكوفة سنة /١٠٧/. طلب الحديث ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً في الحديث والتفسير حتى انتهى إليه علو الإسناد، حتى أصبح الناس يتكلفون المشقة من أجل لقائه.
قال الإمام الشافعي رحمه الله: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز. وقال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة، وقال الإمام أحمد بن حنبل: لا أعلم أحداً أعلم بالسنن من سفيان. انظر كامل ترجمته في سير أعلام النبلاء (٨/٤٥٤ حتى ٤٧٤).

يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول.

فلما علم الله جل وعلا صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم.

فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقولوا كقولهم، ويصلوا صلاتهم ويهاجروا هجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أتى أحدهم برأس أبيه فقال: يا رسول الله هذا رأس شيخ الكافرين، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتالهم.

فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللاً ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم.

فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها، فأمرهم ففعلوا حتى أتوا بها قليلها وكثيرها، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آبائهم، ولا طوافهم.

فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده قال عز وجل: قل لهم: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(١).

قال سفيان: (فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان بها عندنا كافراً، ومن تركها كسلاً أو تهاوناً بها أدبناه بها وكان عندنا ناقصاً. هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس)(٢).

أجل، هذه هي السنة، وهذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ما عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة، وهذا هو مفهوم الإسلام الصحيح، الذي لا بد فيه من الاستسلام والانقياد لله، وحده دون سواه، لأن المبدأ الكلي في دين الله: أنه لا قيمة للأقوال ما لم تصدقها الأعمال، لأن الدعاوى لا تتعذر على أحد، ولكن المحك الذي يظهر به صدق الدعاوى والأقوال هو صلاح الأعمال ومطابقتها لحكم الله ومرضاته.

ولذلك لما زعم اليهود والنصارى أنهم هم المهتدون وحدهم، وأن الجنة وقف عليهم طالبهم الله بالبرهان على

---

(١) الآية /٣/ من سورة المائدة.

(٢) انظر كتاب الشريعة للأجبري ص ١٠٤.

دعواهم ليقرر لعباده المؤمنين قاعدة لا توجد في غير القرآن الكريم من الكتب السماوية: وهي أنه لا يقبل من أحد قول إلا بدليل، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها، وكل ما لا دليل عليه ولا برهان فهو قول مرفوض ودعوى باطلة من الأساس.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية /١١١/.

١٠ - خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم

وآخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى التي تكون قبل قيام الساعة خروج نار من قعر عدن، تحيط بالناس من ورائهم فتسوقهم من كل جانب إلى محلة الحشر وأرض المحشر، وهي الشام، ويكون الناس يوم ذاك على أصناف ثلاثة: فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى يعتقبون البعير الواحد، اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وذلك من قلة الظهر يومئذ. وقسم وهم بقية الناس تحشرهم النار الخارجة من قعر عدن إلى أرض الشام، ومن يتخلف منهم أكلته النار. ويكون آخر من يحشر راعيان من مزينة يسوقان أغنامهما فيمران بثنية الوداع بالمدينة خارجين، فيخران على وجوههما عندما يسمعان صعقة الساعة.

وأدلة هذه الآية الكبرى ما سبق ذكره من الأحاديث الصحيحة التي عدد فيها الرسول ﷺ أشراط الساعة العشر وفيها قال: «... **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**» وفي رواية: «**تخرج من قعر عدن**» وفي رواية: «... **وآخر ذلك: تخرج نار من اليمن، من قعر**

عدن تسوق الناس إلى المحشر»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه وقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه[2]؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرني بهن انفاً جبريل، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ:

«أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة، فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله»[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٩٠١/ في الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، وأبو داود برقم /٤٣١١/ في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي برقم /٢١٨٤/ في الفتن، باب ما جاء في الخسف. وكلهم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

(٢) (ينزع الولد) إلى أبيه أو إلى أمه: إذا جاء يشبه أحدهما.

(٣) رواه البخاري (١٠١/٤) في الأنبياء، باب خلق آدم.

«سيخرج نار من نحو حضرموت، أو من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس، قلنا: يا رسول الله ما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»[1].

● كيفية حشر النار للناس:

أما عن الكيفية التي تحشر النار فيها الناس فقد حدثنا عنها الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام وبين لنا فيها أن هيئة الحشر على ثلاثة أشكال:

الهيئة الأولى: أناس يحشرون راغبين طاعمين كاسين راكبين.

الهيئة الثانية: أناس يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون البعير الواحد.

الهيئة الثالثة: أناس تحشرهم الناس فتحيط بهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم تأكله النار.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٨ و٥٣ و٦٩ و٩٩ و١١٩) والترمذي برقم /٢٢١٨/ في الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز، وإسناده صحيح، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وصححه ابن حبان برقم /٢٣١٢/ كما في الموارد.

وإليك أخي القارىء الكريم ما ورد في الحديث الصحيح في كيفية حشر النار للناس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**يُحشر الناس على ثلاث طرائق**[1]**: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل**[2] **معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[3].

وقد اختلف أهل العلم في زمن وقوع هذا الحشر، فذهب بعضهم إلى القول بأن هذا الحشر يكون يوم القيامة، وهذا قول الطيبي والحليمي والبيهقي وأبو حامد الغزالي، مستدلين بأن كلمة الحشر إذا أطلقت يراد بها شرعاً الحشر من القبور، وغير ذلك من الأدلة.

وذهب الخطابي والقاضي عياض والقرطبي وابن كثير وابن حجر وغيرهم إلى القول بأن هذا الحشر يكون في الدنيا في

---

(١) (طرائق) جمع طريقة، وهي الحالة.

(٢) (تقيل) من القائلة، والقيلولة: كسر الحرِّ.

(٣) رواه البخاري (١٩٤/٧) في الرقاق، باب كيف الحشر، ومسلم برقم /٢٨٦١/ في الجنة، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (١١٥/٤) في الجنائز، باب البعث.

آخر الزمان قبل قيام الساعة. مستدلين بحديث أبي هريرة من أن النار تقيل معهم، وتبيت وتصبح وتمسي، وكذلك قوله: اثنان على بعير إلى عشرة، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر، فهذه كلها من أحوال الدنيا التي تختص بها.

يقول الحافظ ابن كثير في النهاية بعد أن ساق الأحاديث: (فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد كما تقدم في الصحيحين اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، يعني يعتقبون من قلة الظهر كما تقدم، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر، وتحشر بقيتهم النار وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته النار.

وهذا كله ما يدل على أن هذا في آخر الدنيا، حيث الأكل والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات[1]. والعجب كل العجب أن الحافظ أبا بكر

---

(١) (العرصات): أي الساحات الواسعة.

البيهقي بعد روايته لأكثر هذه الأحاديث حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة. . . »[1].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح بعدما نقل قول الطيبي وترجيحه: (لم أقف في شيء من طريق الحديث الذي أخرجه البخاري على لفظ (يوم القيامة) في صحيحه ولا في غيره، وكذا عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة.

وبعد مناقشته لجميع الأدلة اختار أن يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف[2] الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا[3].

قلت: والراجح والله أعلم ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني من العلماء الذين قالوا: بأن هذا الحشر قبل قيام الساعة ويكون إلى الشام والناس أحياء.

● الشام هي الأرض التي تحشر النارُ الناسَ إليها:

لقد أخبرنا النبي المصطفى ﷺ أن الأرض التي تحشر النار

(١) انظر كلام الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٨٧).
(٢) (الشارف): الناقة المسنة.
(٣) انظر كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح مطولاً (١١/ ٣٧٨ وما بعدها)

الناس إليها هي بلاد الشام، ففي الحديث الصحيح عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنكم محشورون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم ههنا، وأومأ بيده نحو الشام»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«الشام أرض المحشر والمنشر»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

«ليأتين على الناس زمان لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام»(٣).

---

(١) إسناده حسن، أخرجه الأمام أحمد في المسند (٥/٣ و٥) والترمذي برقم /٢٤٢٦/ في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٨٠): أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) انظر صحيح الجامع برقم /٣٦٢٠/ حيث عزاه لأبي الحسن بن شجاع الربعي في فضائل الشام وأحمد في المسند وابن ماجة. وقد صححه الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم موقوفاً على عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (٤/٤٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكر العز بن عبد السلام رحمه الله في رسالته (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام) وقال: ومثل هذا لا يقوله إلا توقيفاً، دلَّ علم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين تفضيل الشام على غيره =

ولعل السبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر، أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام، ويكون أهل الشام براء من تلك الفتن ثابتين على الإيمان، ومن أجل هذا أشار معلم الخير للبشرية ﷺ عند خروج النار بسكن الشام لعلمه بأنها خير للمؤمنين حنيئذ من غيرها. وكان صلوات الله عليه وسلامه يقول لأصحابه:

«عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غُدُره[1]، فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله»[2].

● آخر من تحشرهم النار:

إن آخر من تحشرهم النار راعيان من مُزَينة، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

= دخل إليها منهم عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ على ما ذكره لوليد بن مسلم.

(١) (غُدْره) الغدر: جمع غدير، وهي القطعة من الماء يغادرا السيل.

(٢) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦١) وقال: ورجاله ثقات. وذكره أيضاً السيوطي في الجامع الصغير، وأشار إلى صحته الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم /٣٩٤٩/، وكذا في فضائل الشام ٢ و٩.

«يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي السباع والطير - فآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما[1] فيجدانها ملئت وحوشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما».

وفي رواية أخرى «ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي»[2]. والمراد من الحديث أن المدينة حرسها الله ستكون في آخر الزمان غير محمية ولا ممتنعة فتنتابها السباع والوحوش بسبب خلوها من الساكنين حيث حشرتهم النار إلى أرض المحشر من بلاد الشام.

وفي الختام أحببت أن أختم هذا الفصل من أشراط الساعة بقصيدة اخترتها من كتاب الزهديات[3] تتحدث عن أشراط الساعة عساها تنال إعجاب القارىء الكريم، والله ولي التوفيق.

---

(١) (ينعقان بغنهما): أي يدعوانها لتعود إليهما.

(٢) رواه البخاري (٢/٢٢١) في فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ومسلم برقم /١٣٨٩/ في الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، والموطأ (٢/٨٨٨) في الجامع، باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها، وأحمد في المسند (٢/٢٣٤).

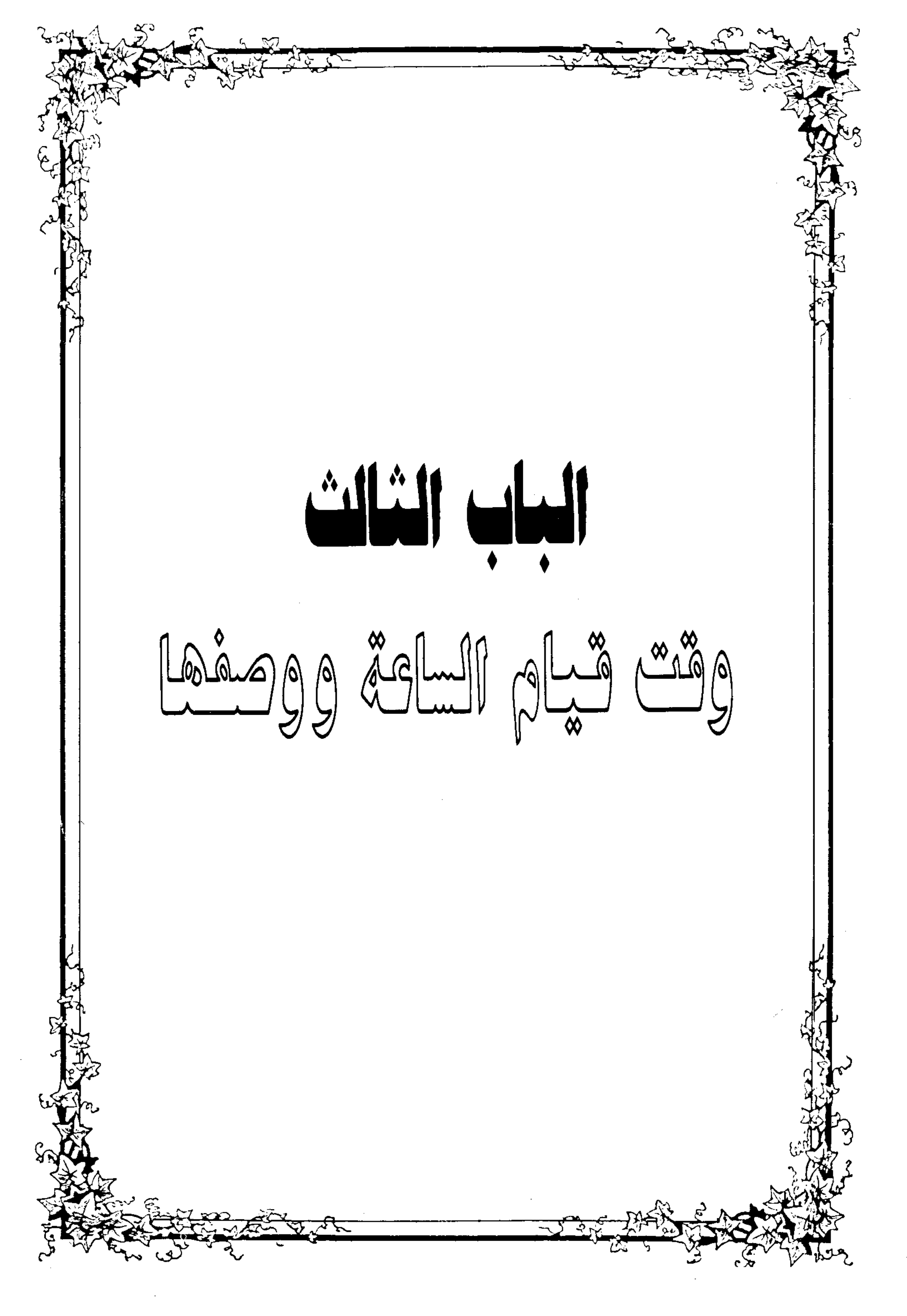
(٣) كتاب مجموعة القصائد الزهديات هو من جمع الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩، وهو وقف لله تعالى، وهو مطبوع في مطابع الخالد بالأفست - بالرياض. وهو كتاب طيب ومفيد يستحسن اقتناؤه.

قصيدة في أشراط الساعة

وكُــلُ مَــا صَــحَ مِــن الأَخْــبَــارِ
أَوْ جَــاءَ فِي الــتَــنْــزِيْــلِ وَالآثَــارِ
مِــن فِــتْــنَــةِ الــبَــرْزَخِ والــقُــبُــورِ
وَمَــا أَتَى فِــيْــهَــا مِــنْ الأُمُــوْرِ
وأنَّ أَرْوَاحَ الــوَرَى لَمْ تُــعْــدَمِ
مَــعْ كَــوْنِهَا مَخْــلُوقَــةً فــاسْــتَــفِــهِــمْ
فَــكُــلُ مَــا عَــنْ سَــيِّــدِ الخَــلْقِ وَرَدْ
مِــن أَمْــرِ هَــذَا الــبَــابِ حَــقٌ لَا يُــرَدْ
وَمَــا أَتَى في الــنصِ مِــن أَشْرَاطِ
فَــكُــلُهُ حَــقٌ بِــلَا شِــطَاطِ
مِــنْهَــا الإمــامُ الخَــاتِــمُ الــفَــصِــيْــحُ
مُحَــمَّــدُ المَــهْــدِي والمَــسِــيْــحُ
وأنّــه يَــقْــتُــلُ لِــلدُّجَــالِ
بِــبَــابِ لُــدِّخَــلْ عَــنْ جِــدَالِ
وأمْــرِ يَــأجَــوْجَ ومــأجُــوْجَ أثْــبِــتِ
فَــإِنــه حــق كــهــدم الــكــعــبَــة

وإنْ مِنْهَا آيَةُ الدُّخانِ
وإنَّهُ يُذهَبُ بالقرآنِ
طُلُوعُ شَمس الأُفُقِ مِن دَبُوْرِ
كَذَاتِ إجْيَادٍ عَلَى المَشْهُورِ
وآخِرُ الآياتِ حَشْرُ النارِ
كما أتي فِيْ مُحْكَمِ الأخْبَارِ
فَكُلَها صَحتْ بِها الأخْبارُ
وَسَطَّرَتْ آثَارَهَا الأخْيَارُ
واجزم بأمرِ البَعْثِ والنَشُورِ
والحَشْرِ جَزْماً بعد نفخ الصُوْرِ
كذا وقُوفِ الخَلْقِ لِلْحِسَابِ
والصُحْفِ والمِيْزانِ لِلثَّوَابِ
كذا الصراطُ ثُم حَوضُ المُصْطَفى
فيا هنا لمن به نالَ الشَفَى
عنه يُزَادُ المُفْتَرحي كَمَا وَرَدْ
وَمَنْ نَحَى سُبْلَ السَّلاَمَةْ لم يُرد
فكُنْ مُطيْعاً وأقف أهل الطاعة
فِي الحَوْضِ والكَوْثَرِ والشفَاعَةْ
فإنّها ثَابِتَة لِلمُصْطَفى
كغيره من كل أرباب الوفى

مـن عـالم كـالـرسـل والأبـرار
سـوى الـتي خـصـت بـذي الأنـوار
وكُـلِ إنـسـان وكُـلُ جـنـة
فِي دَارِ نَـارٍ أَوْ نَـعِـيْـمِ جَـنَّـة
هُمَـا مَـصِـيرُ الخَـلقِ مِـن كُـلِ الـورى
فـالـنـار دار مـن تـعـدى وافـترى
ومَـنْ عَصَى بِـذنْـبِـهِ لَمْ يَخْـلُدِ
وإنْ دَخَـلْهَـا يَـا بَـوَارَ المُـعْـتَـدِىْ
وجَـنَّـةُ الـنَّـعِـيْـمِ لِـلأبْـرَارِ
مُـصُـوْنَـة عَـن سَـائِـر الـكُـفـارِ
واجـزِمْ بـأَن الـنَّـار كـالجَـنَـةِ فِي
وجـودهـا وأنَّهَا لَمْ تَـتْـلَفِ
فَـنَـسْـأل الـله الـنَـعـيْـمَ والـنـظرْ
لـرَبّـنَـا مِـن غَـيْرِ مَـا شَـيْنٍ غَـبَرْ
فـإنـه يـنـظُر بـالأبـصَـارِ
كَـمَا أتى في الـنَص والأخـبـارِ
لأنـه سـبـحـانـه لم يحـجـبِ
إلا عـن الـكـافـر والمـكـذب



الباب الثالث

وقت قيام الساعة ووصفها

وقت قيام الساعة ووصفها

١ ـ النفخ في الصور:

إن أول شيء يطرق أسماع أهل الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة الكبرى نفخة الفزع التي تنبعث من النفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا رفع صفحة عنقه، وأمال الأخرى يستمع هذا الأمر العظيم، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[1].

كذا فسره عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما في البخاري وغيره: قال في قوله تعالى: « **فإذا نقر في الناقور قال: الصور، قال والراجفة: النفخة الأولى، والرادفة الثانية** »[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية /٨ ـ ١٠/

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (١١/٣١٧) كما في الفتح، في الرقاق، باب نفخ =

والصور غيب من ناحية ماهيته وحقيقته، وكل ما نعلمه أنه بوق ينفخ فيه، كما ورد في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

«جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه»[1].

ثم بعد ذلك بمدة يأمر الله تعالى فينفخ في الصور نفخة أخرى، فيكون أول من يسمعها رجل يلوط (يصلح) حوض إبله، فيصعق، ويصعق كل من يكون باقياً على ظهر الأرض من حثالة الناس وشرارهم، وكذلك يصعق من في السموات ـ إلا من شاء الله ـ ثم يأمر الله تعالى فينفخ فيه أخرى فيقوم الناس لرب العالمين، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[2].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

= الصور، قال الحافظ في الفتح: وصله الطبري وابن ابي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ ـ ١٦٢) وأبو داود برقم /٤٧٤٢/ في السنة، باب في ذكر البعث والصور، والترمذي برقم /٢٤٣٢/ في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أيضاً ابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٢) سورة الزمر، آية /٦٨/.

«ما بين النفختين أربعون، قيل: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد وهو عجب الذنب[1]، منه يركب الخلق يوم القيامة»[2].

والمراد هنا ما بين نفخة الصعق، ونفخة الفزع الأولى، وقد يكون المراد ما بين نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والنشور ـ والله أعلم ـ والذي ينبغي معرفته في هذا المقام أنه يتبع نفخة الصعق انقلاب كوني عام تختل فيه الأفلاك، وتضطرب دورتها فترتجف الأرض الثابتة وتزلزل، وتتناثر الجبال الراسية وتسير كأنها تمر مرَّ السحاب، وتحمل الأرض والجبال لتدك دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[3].

وهذا الإنقلاب الكوني الهائل في جميع أوضاعه وأشكاله

---

(١) (عجب الذنب): هو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز، وأصل الذنب.

(٢) رواه البخاري (٦/٣٢) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله﴾** ومسلم برقم /٢٩٥٥/ في الفتن، باب ما بين النفختين.

(٣) سورة الحاقة، الآية /١٣ ـ ١٢/

وارتباطاته لا يقتصر على الأرض وحدها وإنما يشمل النجوم والكواكب وجميع الأفلاك، كما ورد في سور شتى من القرآن الكريم وكلها توحي بانفراط عقد هذا الكون المنظور انفراطاً مروعاً مذهلاً.

وبعد ذلك ينزل الله مطراً تنبت منه أجساد الناس فينبتون كما ينبت البقل، ثم ينفخ في الصور مرة أخرى (ثالثة) فيقوم الناس للحساب والجزاء، كما ورد في طرف الحديث الطويل عند الإمام مسلم: «.. **ثم يرسل الله ـ أو قال: ينزل الله ـ مطراً كأنه الطَّل، أو الظِّل، فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقفوهم إنهم مسؤولون) الصافات، آية ٢٤، ثم يقال لهم: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق**»[1].

٢ ـ صفة الأرض يوم القيامة، واليوم الذي يكون النفخ فيه لبعث الأجساد من قبورها.

لقد سبق وأن بينا أن وقت القيامة غيب من جملة الغيوب التي استأثر الله بعلمها، ولما سئل الرسول ﷺ عن الساعة

---

(١) أخرجه مسلم برقم /٢٩٤٠/ في الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه.

قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1] مع العلم أن السائل كان جبريل عليه السلام. ومع ذلك فقد أعلمنا الله بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها لنكون على حذر وحالة تأهب. وكان من جملة ما أخبرنا به أيضاً أن أرض المحشر تكون بيضاء شديدة البياض كالدقيق النقي من الغش والنخال، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كَقُرصَة النَّقي ليس فيها علم لأحد**».

وفي رواية: (ليس فيها معلم لأحد)[2].

والعلم والمعلم بمعنى واحد يطلق على الشيء الذي يستدل به على الطريق قال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات، كالجبل والصخرة البارزة وغير ذلك[3].

وقال أبو محمد بن أبي جمرة، في هذا دليل على عظيم

---

(١) راجع حديث جبريل الطويل بكل رواياته الصحيحة في جامع الأصول (١٠/٤٠٤).

(٢) رواه البخاري (٧/١٩٣) في الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ومسلم برقم /٢٧٩٠/ في المنافقين، باب في البعث والنشر، وصفة الأرض يوم القيامة.

(٣) أنظر فتح الباري (١١/٣٧٥).

القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول، لأنه في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة للنفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة، وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده»[1].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت واعدمت، وأن أرض الموقف تجددت[2].

وكما أخبرنا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه عن صفة الأرض في ذلك اليوم، كذلك أخبرنا عن اليوم الذي ينفخ فيه في الصور لبعث الأجساد من قبورها وأن ذلك يكون يوم الجمعة تعظيماً لهذا اليوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[1].

٣ - بيان أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة:

لقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام بأن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو جسده الشريف الطاهر عليه أفضل الصلاة والسلام ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مُشفَّعٍ».

وفي رواية قال: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض فأُكسى الحلة من حُلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»**[2].

---

(١) رواه مسلم برقم /٨٥٤/ في الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، والترمذي برقم /٤٨٨/ في الصلاة، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة، والنسائي (٣/ ٨٩ و٩٠) في الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة. واللفظ المسلم.

(٢) الرواية الأولى أخرجها مسلم برقم /٢٢٧٨/ في الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق وأخرجها أيضاً أبو داود برقم /٤٧٦٣/ في السنة، ولم يقل: يوم القيام.
والرواية الثانية أخرجها الترمذي برقم /٣٦١٥/ في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ.

٤ ـ أحوال الناس في يوم الحشر:

في هذا اليوم الرهيب يخرج الناس من الأجداث في لحظة واحدة كأنهم جراد منتشر، مسرعين مهطعين إلى الداعي، وقد خفتت كل حركة وخيم الصمت الرهيب، حيث تنتشر صحف الأعمال، فيكشف المخبوء، ويظهر المستور، ويفتضح المكنون في الصدور.

ففي هذا الموقف المهيب العصيب يحشر الناس حفاة، عراة، غرلاً كما ورد في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يحشر الناس حفاة عراة غرلاً، قالت عائشة، فقلت: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»[1].

وفي هذا اليوم يحشر المعرضون عن الحق والهدى في الحياة الدنيا في صورة مزعجة مذلة، يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام، وذلك جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن

(١) رواه البخاري (٧/١٩٤) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم برقم /٢٨٥٩/ في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (٤/١١٤) في الجنائز، باب البعث.

إدراك دلائل الهدى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾[1].

وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾[2] أيُحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا**»[3].

وفي هذا اليوم العسير الثقيل يعرق الناس من شدة الهول وتقرب الشمس من رؤوس الخلائق ويشتد العرق بالناس فيغرقون بالعرق على قدر أعمالهم في الدنيا، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعاً، وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»[4].

---

(١) الآية /٩٧/ من سورة الإسراء.

(٢) الآية /٣٤/ من سورة الفرقان.

(٣) رواه البخاري (١٩٤/٧) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم برقم /٢٨٠٦/ في المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه.

(٤) رواه البخاري (٧ - ١٩٦) في الرقاق، باب قول الله تعالى: ﴿**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾، ومسلم برقم /٢٨٦٣/ في الجنة، باب صفة القيامة أعاننا الله على أهوالها.

وفي مسلم والترمذي من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**تُدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل - قال سُليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكْحَلُ به العين؟ - قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه**»(١).

وفي هذا اليوم الشديد تسود وجوه، وتبيض وجوه، وجوهٌ تعلوها غبرة الحزن والحسرة، ويغشاها سواد الذل والانقباض، فقد عرفت ما قدمت واستيقنت ما ينتظرها من جزاء، ووجوه مستنيرة مستبشرة مطمئنة، قد عرفت مصيرها، وتبين لها مكانها، فتهللت بعد الهول والفزع المذهل، يقول تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢). ويقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ

---

(١) رواه مسلم برقم /٢٨٦٤/ في صفة الجنة، باب صفة يوم القيامة، والترمذي برقم /٢٤٢٣/ في صفة القيامة، باب رقم (٢).

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ - ١٠٧.

﴿ٱلۡفَجَرَةُ﴾[1].

وفي هذا اليوم يُبعث الناس على ما ماتوا عليه من خير أو شر، وكل نفس تُشغل بأمرها ولا تلتفت إلى سواها حيث تقطع أواصر القربى والدم، ووشائج الرحم والنسب، فالكرب يلف الجميع، والهول يغشي الجميع في هذا اليوم الرهيب، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾[2]، بل إن المجرم كما يصوره لنا سبحانه وتعالى ليود لو يفتدى من عذاب ذلك اليوم بأعز الناس عليه ممن كان يفتديهم بنفسه في الحياة الدنيا ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[3] ولكن أنّى له ذلك فكل فرد يحمل تبعة نفسه بما قدمه من خير أو شر قبل هذا اليوم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«يبعث كل عبد على ما مات عليه»[4].

---

(١) الآيات /٣٨ ـ ٤٢/ من سورة عبس.

(٢) الآيات /٣٣ ـ ٣٧/ من سورة عبس.

(٣) الآيات /١١ ـ ١٤/ من سورة المعارج.

(٤) رواه مسلم برقم /٢٨٧٨/ في الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

وفي هذا اليوم - يوم الفصل - توزع الكتب على أصحابها، فالذي يؤتى كتابه بيمينه هو السعيد الناجي في ذلك اليوم العصيب، فقد آمن وأحسن وعمل لهذا اليوم، فهو يدعو الخلائق كلها لتقرأ كتابه، فقد قبل الله عمله، فكتبت له النجاة، فيا لغبطته وفرحته سيحاسب حساباً يسيراً، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (١).

وأما من يؤتى كتابه بشماله - عياذاً بالله - فهو الهالك الشقي الذي لم يؤمن ولم يعمل لما بعد الموت فهو الآن مؤاخذ بسيئاته، فيقف أمام الحشود الهائلة وقفة المتحسر الكئيب البائس متمنياً لو كانت نهايته موتاً بلا رجعة، ومتحسراً مما كان يعتز به وجمعه، فلم ينفعه شيء لا سلطان ولا مال ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ (٢).

وفي هذا اليوم - يوم الجزاء والحساب - لا يقبل من الذين كفروا وماتوا على كفرهم فلا تنفعهم توبة ولا ندامة، ولا يقبل منهم فدية من مال ولا ولد، فليس هناك من شيء يصلح

---

(١) سورة الحاقة، الآيات (١٩ - ٢٤).
(٢) سورة الحاقة الآيات (٢٥ - ٢٩).

للافتداء به من العذاب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

لقد كان باب التوبة مفتوحاً طيلة حياة الإنسان في الدنيا ولم يكن يمنع الإنسان من ذلك مانع ليتقي به مثل هذا اليوم، أما وإن أصر على الكفر فقد انتهى وقت التوبة والاختيار، ففي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله تعالى: لأهون أهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا كلها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أيسر من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار، وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك»[3].

---

(١) سورة آل عمران، آية /٩١/.

(٢) سورة الزمر، آية ٤٧.

(٣) رواه مسلم برقم /٢٨٠٥/ في المنافقين، باب طلب الكافر النداء بملء الأرض ذهباً.

وفي هذا اليوم ـ يوم الفزع الأكبر ـ يقدم المؤمنـون إلى ربهم وفداً في كرامة وحسن استقبال لا يحزنهم الفزع الأكبر متطلعين إلى العيش في ظل الله وكنفه يوم لا ظل إلا ظله ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[1] وأما المجرمون فيساقون إلى جهنم ورداً كما تساق القطعان من البهائم حاملين أوزاراً من الأثقال ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[2].

٥ ـ وصف مهيب ومجملٌ ليوم القيامة:

بعد استعراضي بعضـاً من أحوال النـاس في يـوم القيـامـة وجدت أنه من المفيد جداً أن أنقـل وصفاً مجمـلاً لهذا المـوقف المهيب المفزع الذي يهز المشاعر هزاً، للإمام الحارث المحاسبي رحمه الله من كتابـه القيم (التوهم)، وقـد حرصت عـلى عدم نقـل النصـوص التي يستشهـد بهـا لأنها لا تخلوا أحيـانـاً من الضعف، ولأن الصحيح منها قد تمَّ الاستشهاد به في مواضعه من خـلال بحثي. سائـلاً الله عـز وجـل أن يكـون في ذلـك ترقيق للقلوب ودعوة لها للعمـل الجاد، والتـأهب والإكثار من الـزاد الطيب الكـريم لما بعـد المـوت. . وكم نحن في حـاجـة ماسة وملحـة ونحن نعيش في خضم الفتن إلى مواعظ الآخـرة التي تكشف الغطاء عن العيون وبالله التوفيق.

---

(١) سورة مريم الآية ٨٥

(٢) سورة مريم الآية ٨٦

يقول الإمام الحارث المحاسبي رحمه الله:

(.. حتى إذا تكاملت عدة الموتى وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حِسَّ يُسمع، ولا شخص يُرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا ابتداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم).

فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى فطار فؤادك، وشَابَ رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فبينا أنت فزع للصوت، إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائم على قدميك. شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة، وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك، وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة، صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم، والصوت ينادي، والخلائق مقبلون نحوه وأنت فيهم مقبل

نحو الصوت، ساعٍ بالخشوع والذلـة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلهـاً من الجن والإنس عـراة حفـاة، قـد نُـزِع الملك من ملوك الأرض، ولـزمتهم الذلـة والصغار، فهم أذل أهـل الجمع، وأصغـرهم خلقة وقـدراً، بعد عتـوهم وتجبرهم عـلى عباد الله عـز وجل في أرضـه، ثم أقبلت الـوحـوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لـذل يوم القيـامة، بعـد تـوحشها وانفـرادها من الخـلائق ذليلة ليوم النشـور لغير بليـة نـابتها، ولا خـطيئة أصـابتها. فتـوهم إقبالهـا بذلهـا في اليـوم العظيم، ليوم العرض والنشور.

وأقبلت السبـاع بعد ضراوتهـا وشهامتهـا منكسـة رؤوسهـا ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار.

وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعـة لذل العـرض عـلى الله سبحانـه، فسبحان الـذي جمعهم بعـد طـول البـلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم، وتوحش بعضهم من بعض، قد أذلهم البعث، وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكـاملت عـدة أهــل الأرض من إنسهـا وجنهـا وشياطينها ووحوشها وسبـاعها، وأنعـامها، وهـوامها واستـووا جميعـاً في موقف العـرض والحساب تنـاثرت نجـوم السماء من فـوقهم، وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمـود سراجها وإطفاء نورها.

فبينا أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة. والملائكة قيام على أرجائها، وهي حافات ما يتشقق ويتفطر، فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة بفزع يوم القيامة كما قال الجليل الكبير: فصارت وردة كالدهان، يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن.

فبينا ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتها بعظم أجسامهم وأخطارهم، وعلى أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه، والسؤال بين يديه.

فتوهم تحدرهم من السحاب بعظيم أخطارهم وكبير أجسامهم، وهول أصواتهم، وشدة فرقهم منكسين لذل العرض على الله عز وجل، فتوهم، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بعظم خلقهم في الذل والمسكنة والخشوع لربهم، ثم كل شيء على ذلك، وكذلك إلى السماء السابعة،

كل أهل سماء مضعفين بالعدد وعظم الأجسام، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفاً.

حتى إذا وافى الموكب أهل السموات السبع والأراضي السبع كسيت الشمس حرَّ عشر سنين. وأدنيت من رؤوس الخلائق، قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس قد صهرته بحرها، واشتد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع بعضها بعضاً، وتضايقت فاختلفت الأقدام، وانقطعت الأعناق من العطش، واجتمع حر الشمس، ووهج أنفاس الخلائق، وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض، ثم علا الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، ومنهم من قد كاد أن يغيب في عرقه، ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه.

فتوهم نفسك راجعة لكربك وقد علاك العرق، وأطبق عليك الغم، وضاقت نفسك في صدرك من شدة العرق والفزع والرعب، والناس معك ينتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة. أو إلى دار الشقاء.

حتى إذا بلغ المجهود منك ومن الخلائق منتهاه وطال

وقوفهم لا يكلمون ولا ينظرون في أمورهم.

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه ينادي: نفسي، نفسي، فلا تسمع إلا قول: نفسي نفسي، فيا هول ذلك وأنت تنادي معهم بالشغل بنفسك، والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه.

فما ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى، مع كرامتهم على الله عز وجل، وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادي: نفسي نفسي، شفقاً من شدة غضب ربهم، فأين أنت منهم في إشفاقك لذلك اليوم، واشتغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك.

حتى إذا آيس الخلائق من شفاعتهم أتوا النبي ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم، فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له، ثم خرَّ إلى ربه ساجداً، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم والنظر في أمورهم.

.. فبينما أنت مع الخلائق في ظلم القيامة، وشدة كربها منتظر متوقع لفصل القضاء والحلول في دار النعيم، أو الحزن، إذ سطع نور العرش وأشرقت الأرض بنور ربها،

وأيقن قلبك بالجبار، وقد أتى لعرضك عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحد سواك، ولا ينظر إلا في أمرك.

ثم نادى: يا جبريل ائتني بالنار، فتوهمها وقد أتى جبريل فقال لها: يا جهنم أجيبي، فتوهم اضطرابها وارتعادها بفرقها أن يكون الله عز وجل خلق خلقاً يعذبها به، فتوهمها حين اضطربت وفارت وثارت، ونظرت إلى الخلائق من بعد مكانها فشهقت إليهم، وزفرت نحوهم، وجذبت خزانها متوثبة على الخلائق غضباً لغضب ربها على من خالف أمره وعصاه، فتوهم صوت زفيرها وشهيقها وقد امتلأ منه سمعك، وارتفع له فؤادك، وطار فزعاً ورعباً، ففر الخلائق هرباً من زفيرها على وجوههم.

فتوهم اجتماع أصوات بكاء الخلائق عند زفيرها وشهيقها، وينادي الظالمون بالويل والثبور، وينادي كل مصطفى وصديق ومنتخب وشهيد ومختار وجميع العوام: نفسي نفسي، فتوهم أصوات الخلائق، الأنبياء فمن دون، كل عبد منهم ينادي: نفسي نفسي، وأنت قائلها.

فبينا أنت مع الخلائق في شدة الأهوال، ووجل القلوب إذ زفرت الثانية فيزداد رعبك ورعبهم، وخوفك وخوفهم، ثم زفرت الثالثة، فتساقط الخلائق لوجوههم ينظرون من طرف خاشع خفي خوفاً أن تلفهم فتأخذهم بحريقها، وانتصفت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين،

فكظموا عليها، وقد غصت في حلوقهم، وطارت الألباب، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين، ولا يبقى رسول ولا عبد صالح مختار إلا ذهل لذلك عقله، فأقبل الله عز وجل عند ذلك على رسله وهم أكرم الخلائق عليه، وأقربهم إليه لأنهم الدعاة إلى الله عز وجل والحجة على عباده، وهم أقرب الخلائق إلى الله عز وجل في الموقف وأكرمهم عليه، فيسألهم عما أرسلهم به إلى عباده، وماذا ردوا عليهم من الجواب، فقال لهم: (ماذا أجبتم)؟ فردوا عليه الجواب عن عقول ذاهلة غير ذاكرة فقالوا: (لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) فأعظم به من هول تبالغ من رسل الله عز وجل في قربهم منه وكرامتهم حتى أذهل عقولهم، فلم يعلموا بماذا أجابتهم أممهم.

فتوهم نفسك لذلك الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير إذا تبرأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب والعشائر، وفررت أنت منهم أجمعين، فكيف خذلتهم وخذلوك، ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والحفاظ أن تفر من أمك وأبيك وصاحبتك وبنيك وأخيك، ولكن عظم الخطر واشتداد الهول فلا تلام على فرارك منهم ولا يلامون.

فبينما أنت في ذلك إذا ارتفعت عنق من النار فنطقت بلسان فصيح بمن وكلت بأخذهم من الخلائق بغير حساب، وهم: (كل من جعل مع الله إلهاً آخر، وكل جبار عنيد،

وبالمصورين)، ثم يقبل ذلك العنق فيلقطهم لقط الطير للحب، ثم انطوتِ عليهم فألقتهم في النار، فابتلعتهم، ثم خنست بهم في جهنم، فيفعل ذلك بهم.

ثم ينادي منادٍ: فيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الحمادون لله على كل حال فيقدمون فيسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر مولاه، حتى إذا دخلت هذه الفرق من أهل الجنة والنار، ثم تطايرت الكتب في الأيمان والشمائل نصبت الموازين...)[1] ا. هـ.

وأخيراً أخي القارى الكريم أقدم لك بعض القصائد المختارة من كتاب مجموعة القصائد الزهديات[2] عساها تساهم في أداء الغرض فتكون دافعاً للمسلم للتزود بزاد التقوى والعلم واليقين والتوكل والصبر والشكر فيزهد في الدنيا ويؤثر الآخرة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) مقتطفات من كتاب التوهم للحارث المحاسبي من ص ١٠ حتى ص ١٧.

(٢) كتاب مجموعة القصائد الزهديات من جمع واعداد الشيخ الفاضل عبد العزيز المحمد السلمان، وهو كتاب طيب ومفيد في تصحيح القصيدة على أساس الدعوة للعمل الصالح والتذكير باليوم الآخر، والتحذير من الدنيا والانغماس في ملاذها وشهواتها، لذا أنصح باقتنائه. وهو مطبوع وقفاً لله تعالى كعادة الشيخ في جميع كتبه جزاه الله خيراً.

ذكر أحوال وأهوال القيامة

إذا قَـرُبـت الـسـاعـة يـا لهـا
وزلـزلـت الأرض زلـزالهـا
تـسـير الجـبـال عـلى سرعـة
كمـر السحـاب تـرى حسـالهـا
وتـنـفـطر الأرض مـن نـفـخـة
هـنـالـك تخـرج أثـقـالهـا
ولا بـد مـن سـائـل قـائـل
مـن الـنـاس يـومئـذ مـالهـا
تُحـدِّثُ أخـبـارهـا ربّهـا
وربـك لا شـك أوصى لهـا
ويـصـدر كـل إلى مـوقـف
يـقـيـم الـكـهـول وأطـفـالهـا
تـرى النفس مـا عملت محـضـراً
ولـو ذرة كـان مـثـقـالهـا
يحـاسـبـهـا مـالـك قـادر
فـإمـا عـليـهـا وإمـا لهـا
تـرى الناس سكـرى بـلا خمـرة
ولـكن تـرى الـعـين مـا هـالهـا

ذنــوبي بــلائــي فــما حــيــلتي
إذا جئــت بــالــبــعــث حمــالهــا
نــســيــت المــعــاد فــيــا ويــلتي
وأعــطيــت لــلنــفس أمــالهــا

في البعث بعد الموت والجزاء

وإن نـفـخـة إسرافـيـل ثـانـيـة
في الصـور حقـاً فيحيى كـل من قـبرا
كـما بـدأ خـلقـهـم ربي يـعـيـدهـم
سـبحـان من أنـشـأ الأرواح والـصـورا
حتى إذا مـا بـدا لـلجـمـع صـارخـة
وكـل مـيـت مـن الأمـوات قـد نُشرا
قـال الإلـه: قـفـوهـم لـلسؤال لـكي
يـقتص مـظلومـهـم ممـن لـه قـهـرا
فـيـوقـفـون ألـوفـاً مـن سنـينهـم
والـشـمس دانـيـة والـرشـح قـد كـثرا
وجـاء ربـك والأمـلاك قـاطـبـة
لهم صفـوف أحـاطـت بـالـورى زمـرا
وجيء يـومئـذ بـالـنـار تـسحـبـهـا
خـزانها فـأهـالـت كـل مـن نـظرا
لهـا زفـير شـديـد مـن تـغـيـظهـا
عـلى الـعصـاة وتـرمي نحـوهـم شرراً
ويـرسـل الـله صحـف الخلق حـاويـة
أعـمالهـم كـل شيء جـل أو صـغـرا

فمن تلقته باليمنى صحيفته
فهو السعيد الذي بالفوز ظفرا
ومن يكن باليد اليسرى تناولها
دعا ثبوراً وللنار قد حشرا
ووزن أعمالهم حقاً فإن ثقلت
بالخير فاز، وإن خفت فقد خسرا
وإن بالمثل تجزى السيئات كما
يكون في الحسنات الضِّعْفُ قد وفرا
وكل ذنب سوى الإشراك يغفره
ربي لمن شاء وليس الشرك مغتفرا
وجنة الخلد لا تفنى وساكنها
مخلد ليس يخشى الموت والكِبَرا
أعدها الله داراً للخلود لمن
يخشى الإله وللنعماء قد شكرا
وينظرون إلى وجه الإله بها
كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا
كذلك النار لا تفنى وساكنها
أعدها الله مولانا لمن كفرا
ولا يخلد فيها من يوحده
ولو بسفك دم المعصوم قد فجرا
وكم ينجي إلهي بالشفاعة مِن
خير البرية من غَاصَ بها سُجِرَا

الزهد في الدنيا

قَـطّعْـتُ مِنْـكِ حَـبـائِـلَ الآمـالِ،
وَحَـطَطْتُ عَـنْ ظَـهَـرِ المَـطي رِحـالي

وَيَئِـسـتُ أنْ أبـقَـى لشيء نِـلتُ مّمـا
فـيـكِ، يـا دُنـيـا، وَأنْ يَـبْـقَـى ليْ

فَـوَجَـدْتُ بَـرْدَ اليّأسِ بَـيْنَ جَـوانِحي،
وَأرَحْـتُ مِـنْ حَـلّي وَمِـنْ تَـرْحَـالِي

وَلَئِـنْ بَئِـسْـتُ، لَـرُبّ بَـرْقَـةِ خُـلّبِ
بَـرَقَـتْ لـذي طَـمَـعٍ، وبَـرَقْـةِ آلِ

مـا كـانَ أشـأمَ، إذْ رَجـاؤكِ قـاتـلي،
وَبَـنـاتُ وَعْـدِكِ يَـعْـتَـلِجُـنَ بِـبَـالي

فـالآن، يـا دُنيـا، عَـرَفْتـكِ فـاذهبي،
يـا دَار كُـلّ تَـشَـتـتٍ وَزَوالِ

وَالآنَ صَـارَ ليَ الـزّمـانُ مـؤَدِّبـاً،
فَـغَـدَا عَـليّ وَرَاحَ بـالامْـثَـالِ

وَالآنَ أبـصَـرْتُ الـسَبـيـلَ إلى الهُـدَى،
وَتَـفَـرّغَـتْ هِـمَـمِـيْ عَـنِ الأشـغَـالِ

وَلَقَدْ أقامَ لِيَ المَشيبُ نُعاتَّهُ،
يُفْضي إليّ بمَفْرِقٍ وَقَذالِ
وَلَقَدْ رَأيْتُ المَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفَهُ
بيَدِ المَنيّة: حَيثُ كنتُ، حِيالي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عُرَى الحَياةِ تَخَرّمَتْ،
وَلَقَدْ تَصَدّى الوَارِثُونَ لِمَالِي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عَلَى الفَنَاءِ أدِلّةً،
فِيْمَا تَنَكّرَ مِنْ تَصَرّفِ حَالِي
وَإذَا اعتَبَرْتُ رَأيتُ خَطْبَ حوادِثٍ
يَجرِيْنَ بالأرْزاقِ، وَالآجَالِ
وإذَا تَنَاسبتِ الرّجالُ، فما أرَى
نَسَباً يُقاسُ بصالِحِ الأعْمالِ
وَإذَا بحَثْتُ عَنِ التّقيّ وَجَدْتُهُ
رَجُلاً، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بفَعَالَ
وَإذَا اتّقَى الله امْرُؤ، وَأَطَاعَهُ،
فَيَداهُ بَيْنَ مَكارِمٍ وَمَعَالِ
وَعَلى التّقِيّ، إذَا تَرَسّخَ في التُّقَى،
تَاجَانِ، تاجُ سَكينَةٍ، وَجَلالِ
وَاللّيْلُ يَذْهَبُ وَالنّهارُ، تَعَاوُراً
بالخَلْقِ في الإدْبارِ، وَالإقبالِ

وَبِـحَـسْـبِ مَـنْ تُـنْـعَـى إِلَـيْـهِ نَـفْـسُـهُ
مِــنْــهُ بــأَيَّــامٍ خَــلَــتْ، وَلَــيَــالِ
إضــربْ بـطَرْفِـكَ حَيْثُ شِئْتَ فـأَنْتَ في
عِــبَرٍ لَهُــنَّ تــدَارُكٌ، وَتَــوَالِ
يَـبـكِـي الجَـديـدُ وَأنـتَ في تَجْـدْيْـدِهِ،
وَجَمـيـعُ مـا جَـدَّدْتَ مـنـهُ، فـبَـالِ
يـا أيُّهـاالـبَـطِرُ الـذي هـوَ في غَـدٍ،
في قَــبــرِهِ، مُــتَــفَــرِّقُ الأوْصــالِ
حَــذَفَ المُـنَى عَنـهُ المُشَمِّـرُ في الهُـدى،
وَأرَى مُـنَـاكَ طَـويـلَـةَ الأَذْيَـالِ
وَلَــقَــلّ مــا تَــلْقَــى أغَــرَّ لِـنَـفْـسِـهِ
مِـنْ لاَعِـبٍ مَـرحٍ بهـا، مُخـتـالِ
يـا تـاجِـرَ الـغَـيِّ المُضِرَّ بِـرُشْـدِهِ،
حَـتَّى مَـتَى بـالـغَـيّ أنْـتَ تُـغَـالي
الحَـمْـدُ لِـلَّهِ الحَـمـيـدِ بِمَـنّـهِ
خسرت ولم تـربـح يـد الـبـطال
لــله يــوم تــقــشــعــر جــلودهــم
وَتَـشِـيـبُ مِـنـه ذَوَائِـبُ الأَطْـفـالِ
يَـوْمُ الـنّـوازِلِ والـزّلازِلِ، وَالحَـوا
مِـلِ فـيـهِ، إذْ يَـقْـذِفْـنَ بـالأَحْمَـالِ

يَـوْمُ الـتّـغـابُـنِ، والـتّـبـايُـنِ والـتّـنـا
زُلِ، وَالأُمُـورِ عَـظِـيـمَـةِ الأهْـوَالِ
يَـوْمٌ يَـنَـادَي فـيـهِ كُـلُّ مَـضَـلَّلٍ
بِمُـقَـطِّعَـاتِ الـنّـارِ، والأغْـلالِ
لِـلْمُـتّـقِـينَ هُـنـاكَ نَـزْلُ كَـرامَـةٍ،
عَـلَتِ الـوُجُـوهَ بِـنَـضـرَةٍ، وَجَمـالِ
زُمَـرٌ أضَـاءَتْ لِلْحِسَـابِ وُجُـوهُـهـا،
فَـلَهَـا بَـرِيـقٌ عِـنـدَهَـا وَتَـلالي
وَسَـوَابِـقٌ غُـرٌّ، مُحَـجَّـلَةٌ، جـرَتْ
خُمْصَ البُـطونِ، خَـفِـيفَـةَ الأَثْـقـالِ
مِنْ كُـلّ أَشْعَـثَ كَـانَ أغْـبَرَ نـاحِـلاً،
خَـلَقَ الـرّداءِ، مُـرَقَّـعَ السِّرْبـالِ
حِـيَـلُ ابـنِ آدَمَ في الأُمُـورِ كَـثـيـرَةٌ،
وَالمَـوْتُ يَـقـطَعُ حِـيـلَةَ المُـحْـتَـالِ
نَـزَلُـوا بِـأَكْـرَمِ سَـيِّـدٍ، فَـأظَـلّهُـمْ
في دارِ مُـلْكِ جَـلالَـةٍ، وَظِـلالِ
وَمِـنَ الـنُّـعـاةِ إلىَ ابـنِ آدَمَ نَـفْـسَـهُ،
حَـرَكُ الخُـطَى، وطُـلُوعُ كُـلِّ هِـلالِ
مـالِيْ أرَاكَ لِحُـرّ وَجْـهِـكَ مُخْـلِقـاً،
أخْـلَقْـتِ، يـا دُنـيْـا، وُجُـوهَ رِجـالِ

قِسْتَ السـوّالَ، فكـانَ أَعْـظَمَ قيمـةً

مِـنْ كُـلِّ عَـارِفَـةٍ جَـرَتْ بِـسُـؤالِ

كُنْ بـالسـوّالِ أَشَـدَّ عَـقْـدِ ضَنَـانَـةٍ،

مِمّـنْ يَـضِـنّ عَـلَيْـكَ بـالأَمْـوَالِ

وَصُنِ المَحـامِـدَ مـا استَـطَعتَ، فـإنّها

في الـوَزْنِ تَـرْجُـحُ بَـذْلَ كـلّ نَـوَالِ

وَلَـقَـدْ عَجِبْتُ مِـنَ المُـثَـمِّـرِ مـا لَـهُ،

نَسِيَ المُـثَـمِّـرُ زِيـنَـةَ الإقْـلالِ

وَإذا امْـرُؤٌ لَـبِسَ الـشُّـكُـوكَ بِـعَـزْمِـهِ،

سَـلَكَ الـطّريـقَ عَـلى عُـقـودِ ضَـلالِ

وَإذا ادَّعَـتْ خُـدَعُ الحَـوادِثِ قَـسْـوَةً،

شَـهِـدَتْ لَهُـنّ مَـصـارِعُ الأَبْـطالِ

وَإذا ابتُليتَ ببَـذْلِ وَجْـهِـكَ سـائِـلاً،

فـابْـذُلْـهُ لِلْمُـتَـكَـرّمِ، المِـفْـضَـالِ

وَإذا خَـشِـيْـتَ تَـعَـذُّراً في بَـلْدَةٍ،

فـاشْـدُدْ يَـدَيْكَ بعـاجِـلِ الـتّرْحـالِ

وَأصْـبِرْ عَـلَى غِـيرِ الـزّمـانِ، فـإنّمـا

فَـرَجُ الـشّـدائِـدِ مِـثْـلُ حَـلِّ عِـقـالِ

الغريب

ليس الغريبُ غريبَ الشام واليمن
ان الغريب غريب اللحد والكفن
لا تنهرن غريباً حال غربته
الدهر ينهره بالذل والمحن
ان الغريب له حقٌ لغربته
على المقيمين في الأوطان والسكن
سفري بعيدٌ وزادي لن يبلغني
وقوتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست اعلمها
الله يعلمها في السر والعلن
ما أحلم الله عني حيث امهلني
وقد تماديت في ذنبي ويسترني
تمر ساعات أيامي بلا ندم
ولا بكاء ولا خوف ولا حزن
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً
على المعاصي وعين الله تنظرني
يا زلة كتبت في غفلة ذهبت
يا حسرة بقيت في القلب تحرقني

دعـني أنـوح عـلى نـفسي وأنـدبها
وأقـطع الـدهـر بـالـتـفـكـير والحـزن
كـأنـني بـين جـل الأهـل مـنـطرحـاً
عـلى الـفـراش وأيـديهـم تـقـلبـني
كـأنـني وحـولي مـن يـنـوح ومـن
يـبـكـي عـلي ويـنـعـاني ويـنـدبـني
وقـد أتـوا بـالـطبـيـب كـي يـعـالجـني
ولم أرى الـطب هـذا الـيـوم يـنـفـعـني
وسـتـخـرج الـروح مـني في تـغـرغـرهـا
وصـار ريـقـي مـريـراً حـين غـرغـرني
واشـتـد نـزعـي وصـار المـوت يجـذبهـا
مـن كـل عـرق بـلا رفـق ولا هـون
وسـل روحـي وظـل الجـسـم مـنـطرحـاً
بـين الأهـالي وأيـديهـم تـقـلبـني
وغـمـضـوني وشـدوا الحـلق وانصرفـوا
بـعـد الأيـاس وجـدوا في شرى الـكـفـن
وسـار مـن كـان أحـب الـنـاس في عـجـل
نـحـو المـغـسـل يـأتـيـني لـيـغـسـلني
واضـجـعـوني عـلى الألـواح مـنـطرحـاً
وقـام في الحـال منـهـم مـن يـغـسـلني
وأسـكـب المـاء مـن فـوقـي وغـسـلوني
غـسـلاً ثـلاثـاً ونـادى الـقـوم بـالـكـفـن

وألبسوني ثياباً لا كمام لها
وصار زادي حنوطي حين حنطني

وأخرجوني من الدنيا فوأسفا
على رحيل بلا زاد يبلغني

وحمَّلوني على الأكتاف أربعة
من الرجال وخلفي من شيعني

وقدموني إلى المحراب وانصرفوا
خلف الإمام وصلى ثم ودعني

صلوا علي صلاة لا ركوع لها
ولا سجود لعل الله يرحمني

وانزلوني إلى قبري على مهل
وقدمو واحداً منهم ليلحدني

وكشَّف الثوب عن وجهي لينظرني
واسبل الدمع من عينيه وقبلني

وقال هلوا عليه التراب واغتنموا
فضل الثواب وكل الناس مرتهني

وفي ظلامات قبري لا أمي ولا أحد
ولا أبي ولا أخ ولا من يؤنسني

وهالني إذ رأت عيناي إذ نظرت
من هول مطلع إذ كان أغللني

من منكر ونكير ما أقول لهم
قد هالني أمرهم جداً فأفزعني

واقـعـدوني وجـدوا في سـؤالهـم
مـالي سـواك إلهـي مـن يخلـصـني
فـأمنن عـلي بـعـفـو مـنـك يـا أمـلي
أمــنــن عــلى تــارك الأولاد والــوطــن
تـقـاسـمـوا أهـلي المـيراث وانصرفـوا
وصـار وزري عـلى ظـهـري يـثـقـلني
واسـتـبـدلـت زوجـتي بـعـلاً لهـا بـدلي
وحـكـمـتـه في الأمـوال والـسـكـن
وصـيرت ابـنـهـا لـيـخـدمـه
وصـار مـالي لهـم حـلاً بـلا ثـمـني
فـلا تـغـرنـك الـدنـيـا وزخـرفـهـا
انـظر لأفـعـالهـا بـالأهـل والـوطـن
وانـظر إلى مـن حـوى الـدنـيـا بـأجـمـعـهـا
هـل راح مـنـهـا بـغـير الحـنط والـكـفـن
خـذ الـقـنـاعـة مـن دنـيـاك وارض بهـا
لـو لم يـكـن لـك فـيـهـا إلا راحـة الـبـدن
يـا زارع الخـير تحـصـد بـعـده ثـمـراً
يـا زارع الشر مـوقـوف عـلى الـوهـن
يـا نـفس كـفي عـن الـعـصـيـان واكـتـسـبي
فـعـلاً جمـيـلاً لـعـل الـلـه يـرحمـني
يـا نـفس ويحـك تـوبي واعـمـلي حـسـنـا
عسى تجـازيـن بـعـد المـوت بـالحـسـن

ثم الصلاة على المختار سيدنا
ما ضاضأ البرق في شام وفي يمن
والحمد لله ممسينا ومصبحا
بالخير والعفو والإحسان والمنن

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفق الجميع إلى اتباع كلمة الحق، والتمسك بها، والصبر عليها، كما أسأله جل شأنه أن يجنب الأمة الإسلامية الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مصطفى بن أبو النصر الشلبي
الطائف في ٢٧ /محرم/ ١٤١١ هـ
الموافق ١٨ /آب أغسطس/ ١٩٩٠ م



مصادر البحث
ومراجعه

أولاً: القرآن الكريم وتفسيره.

- القرآن الكريم بخط عثمان طه - طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي/ طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير القرآن العظيم/ للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير/ طبعة دار المعرفة - بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة دار الفكر - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الدر المنشور في التفسير بالمأثور/ للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. طبعة دار الفكر - بيروت.

- تفسير فتح القدير/ للعلامة محمد بن علي الشوكاني/ طبعة دار الفكر ـ بيروت.
- تفسير النسفي / لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.
- أحكام القرآن/ لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي طبعة دار المعرفة ـ بيروت.
- تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي / طبعة المطابع الأهلية بالرياض.
- في ظلال القرآن/ لسيد قطب رحمه الله/ طبعة دار الشروق ـ بيروت.

ثانياً: في الحديث الشريف وشروحه

- صحيح البخاري/ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري/ طبعة المكتبة الإسلامية ـ استانبول.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ نشر دار المعرفة ـ وتوزيع مكتبة المعارف بالرياض ـ وهو بإشراف وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- صحيح مسلم/ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري/ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

- صحيح مسلم بشرح النووي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والاقتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال ـ طبعة المكتب الإسلامي بيروت ـ مع فهرس الألباني.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل/ للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الساعاتي ـ دار الحديث ـ القاهرة.
- موطأ الإمام مالك بن أنس ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة إحياء دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- سنن أبي داود/ لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني/ طبعة مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.
- عون المعبود/ شرح سنن أبي داود/ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق أحمد محمد شاكر ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ للعلامة المبارك فوري/ طبعة مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ ترقيم وفهرسة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ طبعة دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
- سنن ابن ماجة/ للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد

القزويني / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة دار التراث العربي .
- سنن الدار قطني / للإمام علي بن عمر الدارقطني / .
- المستدرك على الصحيحين / لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم / ـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت .
- المصنف / للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني / تحقيق جيب الرحمن الأعظمي ـ طبعة المكتب الإسلامي بيروت .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / للعلامة علاء الدين علي المنتقى الهندي / طبعة دار الرسالة ـ بيروت .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول / لابن الأثير الجزري / تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ مطبعة السلاح ومكتبة البيان ـ دمشق .
- شرح السنة / للإمام البغوي / تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت .
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان / للحافظ نور الدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الكتب العلمية بيروت .
- مشكاة المصابيح / للعلامة محمد بن الله التبريزي / تحقيق شيخنا محمد ناصر الدين الألباني ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ - ٤) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي - بيروت.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة/ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي - المكتب الإسلامي - مكتبة المعارف - بيروت - الرياض.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته/ للسيوطي/ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت.
- ضعيف الجامع الصغير وزياداته/ للسيوطي/ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. طبعة المكتب الإسلامي - بيروت.
- الترغيب والترهيب/ للحافظ المنذري/ تحقيق مصطفى عمارة - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مجموع فتاوي شيخ الإسلام بين تيمية رحمه الله - فطبعة الدار العربية - بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف/ ترتيب عدد من المستشرقين/ طبعة مكتبة بريل - في مدينة ليدن.
- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف/ إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول/ طبعة عالم التراث - بيروت.

ثالثاً: عقيدة وفرق

- الملل والنحل/ للعلامة أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني/ طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

- الفرق بين الفرق/ للعلامة عبد القاهر بن طاهر البغدادي/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني ـ القاهرة.

- منهاج السنة/ لشيخ الإسلام بن تيمية/ طبعة مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

- شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة/ للألكائي/ طبعة دار طيبة ـ الرياض.

- أعلام السنة المنشورة/ للحافظ الحكمي/ نشر وتوزيع مكتبة السوادي جدة.

- عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر/ للشيخ عبد المحسن العباد/ مطابع الرشيد ـ المدينة المنورة.

- شرح العقيدة الطحاوية/ للإمام علي بن علي بن أبي العز الحنفي/ خرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت.

- التصريح بما تواتر في نزول المسيح/ للشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي/ تحقيق وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ مطبعة الأصيل ـ حلب.

- فتح المجيد/ شرح كتاب التوحيد/ للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة/ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر/ للشيخ الكناني/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي/ للشيخ عبد المحسن العباد/ مطابع الرشيد ـ المدينة المنورة.

- العواصم من القواصم/ لأبي بكر بن العربي المالكي/ تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة السلطية ـ القاهرة.

- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة/ للشيخ محمد صديق حسن القنوجي البخاري ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- النهاية/ الفتن والملاحم/ للحافظ ابن كثير/ تحقيق طه زيني ـ نشر دار الكتب الحديثة ـ مصر.

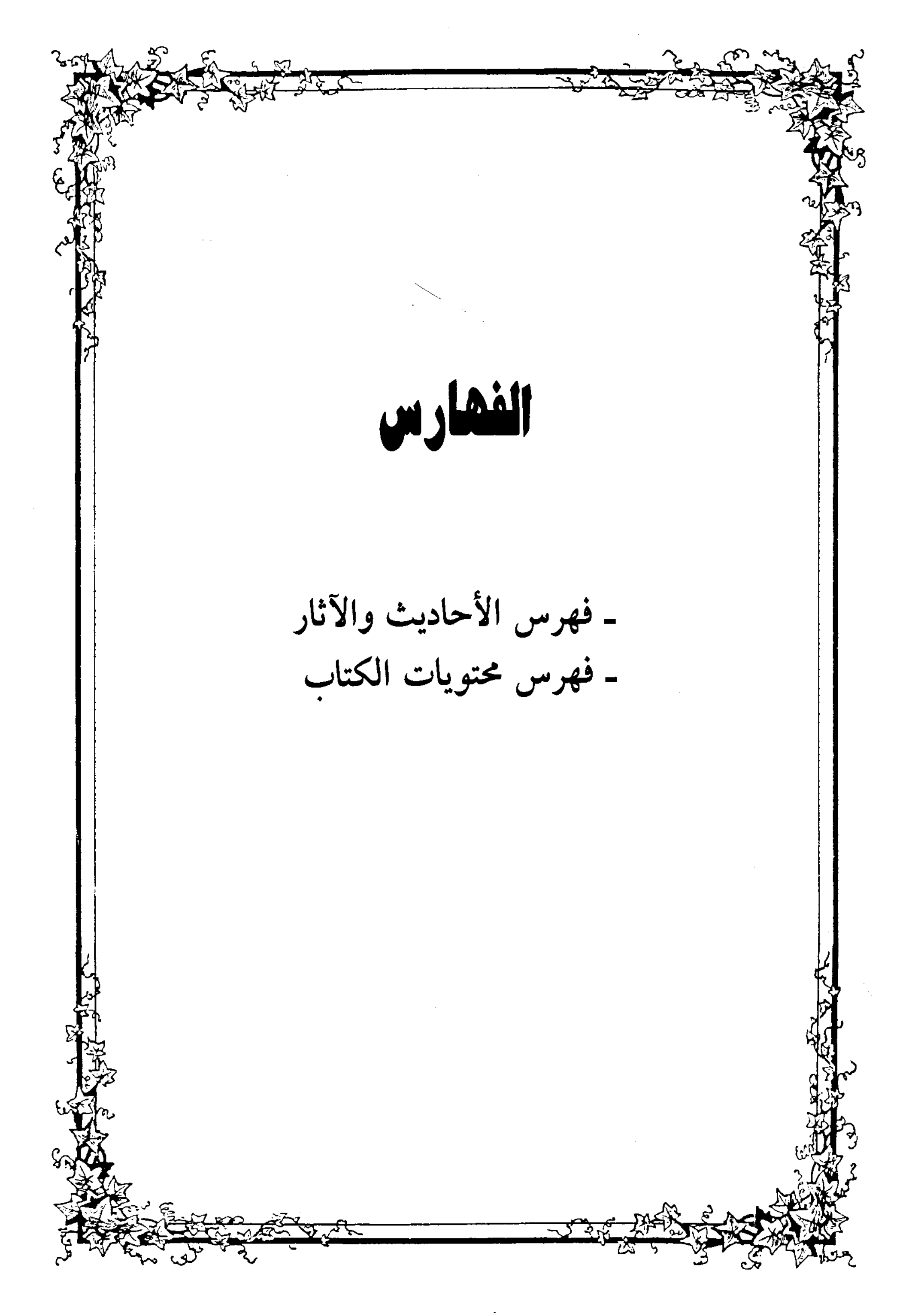
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/ للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- المسيح الدجال وأشراط الساعة/ للعلامة محمد السفاريني/ مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة.

- البداية والنهاية/ للحافظ إسماعيل بن كثير/ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

رابعاً: متفرقات:

- اليوم الآخر في ظلال القرآن/ للأستاذ سيد قطب/ جمع وإعداد الأستاذ أحمد فائز ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- طريق الدعوة في ظلال القرآن/ للأستاذ سيد قطب/ جمع وإعداد الأستاذ أحمد فائز ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- القدس تحت الحكم الصليبي/د. شفيق جاسر أحمد محمود.
- الطريق إلى مكة/ للأستاذ محمد أسد/.
- برنامج عملي للمتفقهين/ للدكتور عبد العزيز القارىء/ طبعة الصديق ـ الطائف.
- التوهم في وصف أحوال الآخرة/ للحارث المحاسبي/.
- مختصر الصواعق المرسلة/ لابن القيم الجوزية/.
- كتاب الشريعة /للأجري/.
- التاريخ الإسلامي/ للأستاذ محمود شاكر/ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت.
- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوام الكلم/ لابن رجب الحنبلي/ طبعة دار المعرفة ـ بيروت.
- لسان العرب/ لابن منظور/ طبعة دار الفكر ـ بيروت.
- مجموعة القصائد الزهديات/ جمع الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان/ مطابع الخالد بالأرفست ـ الرياض.



الفهارس

- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس محتويات الكتاب

فهرس الأحاديث

(أ)

الحديث	الصفحة
إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات	٧٧، ٢٧٠
إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا . . .	٢١٠
إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي	٣٢٩
إني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً	١٦٥
إني قد خبأت لك خبيئاً	٢٣٧
إني لأنذركموه، ما من نبي إلا وقد أنذره قومه	٢٣٨
أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها	٣٠٥
أيحشر الكافر على وجهه؟	٣٥١
إيكن الدجال فلن تسلط عليه . . .	٢٣٧
أيما امرىء قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما	٦٤
أين السائل عن الساعة؟	٨٨
ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه . .	٢١٤
ألا أحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ . . .	١٠٤
ألا إن الفتنة ها هنا يشير إلى المشرق	٤٤
ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان	٤٥
ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	١٦٤

(ب)

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم	٤٣
بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها	٣٠٠
بعثت أنا والساعة كهاتين	١٨، ٢٥
بعثت بين يدي الساعة	٢٦
بعثت في نسيم الساعة	٢٦

الحديث	الصفحة

(ت)

(ث)

الحديث	الصفحة

(ج)

(ح)

...

(خ)

(د)

الحديث	الصفحة

(ذ)

(ر)

. . .

(ز)

. . .

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

. . .

(ط)

(ع)

(غ)

. . .

الحديث	الصفحة

(ف)

(ق)

(ك)

الحديث	الصفحة

(ل)

الحديث	الصفحة

(م)

الحديث	الصفحة

(ن)

(هـ)

(و)

الحديث	الصفحة
ولن يستهان هذا البيت إلا أهله	٢٨٩
ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل. .	٦٢

(ي)

الحديث	الصفحة
لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون. . .	٩١
لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان	١٢٣
لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع	١٤٨
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك	٨٠
لا تقوم الساعة حتى ينزوها سبعون ألفاً من نبي	١٨٣
لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس	١٧٠
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى. . .	١٢٧
لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق	١٨٢
لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض	١٣٩
لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله.	٣١٣
لا تنقضي الأيام والليالي حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي	١٩٠
لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة	٢١٧
لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه	١٢٨
لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم	١١٩
لأنا أعلم بما مع الدجال منه	٢٠٩
لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان. . .	٢١٥
لأهون أهل النار عذاباً	٣٥٥

محتويات الكتاب

الباب الأول
أشراط الساعة الصغرى

الباب الثاني
أشراط الساعة الكبرى

الباب الثالث

وقت قيام الساعة ووصفها

من منشورات مكتبة السوادي/ جدة

٣٠ ـ الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي	الدكتور حسان شمسي باشا
٣١ ـ الشفاء بالحبة السوداء	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٢ ـ إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام	تحقيق عثمان جمعة ضميرية
٣٣ ـ الرضاعة من لبن الأم	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٤ ـ تربية الأطفال في رحاب الإسلام	محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش
٣٥ ـ تخريج أحاديث شفاء العليل	تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي
٣٦ ـ ادلة علو الله على خلقه	محمد احمد سيد أحمد
٣٧ ـ قبسات من الطب النبوي	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٨ ـ أسرار الختان	الدكتور حسان شمسي باشا
٣٩ ـ العلاج بالثوم والبصل	الدكتور حسان شمسي باشا
٤٠ ـ جامع العلوم والحكم	تحقيق بالاشتراك
٤١ ـ اللمعة في الأجوبة السبعة	تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي
٤٢ ـ الدهون والقلب والكولسترول	الدكتور حسان شمسي باشا
٤٣ ـ الذنوب وقبح آثارها على المجتمع	محمد بن أحمد سيد أحمد

تحت الطبع

١ ـ الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير	للسيوطي
٢ ـ تخريج أحاديث جامع العلوم	تحقيق مصطفى ابو النصر الشلبي